كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية

جامعة القصيم
Qassim University
كلية العلوم والآداب بعنيزة College of Science and Arts in Unaizah

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة
عبدالرحمن بن ناصر السعدي
آثاره العلمية والدعوية

الجزء الأول

الأربعاء والخميس
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١

الرعاة

مصرف الإنماء
alinma bank

القاضي

سبكيم
Sipchem
EXCELLENCE everywhere

ح جامعة القصيم، كلية العلوم والآداب بعنيزة، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الباحثون في مؤتمر الشيخ عبدالرحمن السعدي

السجل العلمي لمؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، آثاره العلمية والدعوية. / الباحثون في مؤتمر الشيخ عبدالرحمن السعدي.- بريدة، ١٤٤١هـ

٤ مجلدات

ردمك: ٨ - ٨١ - ٨١٧٦ - ٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٥ - ٨٢ - ٨١٧٦ - ٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، ت ١٣٧٦هـ ٢- الدعوة الإسلامية - السعودية أ. العنوان

ديوي ٩٢٢،١١٧ ١٤٤١/٢٦٢٠

رقم الإيداع: ١٤٤١/٢٦٢٠

ردمك: ٨-٨١-٨١٧٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٥ - ٨٢ - ٨١٧٦ - ٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

تقديم

تضطلع الجامعات بدور مهمّ في التعريف بالعلماء المبرزين في مجال العلم الشرعي والفكري، والعلوم التجريبية، ومن هذا المنطلق قررت جامعة القصيم ممثلة بكلية العلوم والآداب بمحافظة عنيزة، وكرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية تنظيم مؤتمر بعنوان: (الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، آثاره العلمية والدعوية)، ويهدف المؤتمر إلى تناول جهود الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- وتسليط الضوء على تراثه العلمي والإضافات التي تفرد بها.

وقد تناولت محاور المؤتمر جوانب مهمة في منهجية الشيخ السعدي العلمية في خدمة القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكذلك منهجه في التعامل مع المخالفين، وآثاره في الفقه وأصوله، وأعماله في الدعوة والتربية وعلوم اللغة العربية، واجتهاده في الأحكام والنوازل، إضافة إلى ترجمة ضافية عن الشيخ السعدي، ودوره في العلوم الشرعية في منطقة القصيم، وذلك من خلال (٥٢) بحثًا كتبها مجموعة من المتخصصين من داخل المملكة وخارجها.

ويطيب لي أن أقدم الشكر والتقدير للزملاء والزميلات في كلية العلوم والآداب في عنيزة، وللزملاء في كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية بالجامعة على الجهود التي بذلوها للإعداد لهذا المؤتمر، والشكر أيضًا للباحثين الذين أثروا المؤتمر بأبحاثهم ودراساتهم العلمية، سائلًا الله أن يعين الجميع ويوفقنا لخدمة هذا الوطن الغالي بقيادة خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز حفظهما الله، وبالمتابعة والدعم اللذين تحظى بهما أنشطة الجامعة ومؤتمراتها من قبل سمو أمير المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير د.فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز، وسمو نائبه صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن تركي بن فيصل بن تركي بن عبدالعزيز حفظهما الله.

أدام الله على بلادنا نعمة الأمن والرخاء والاستقرار، والله ولي التوفيق.

أ.د.عبدالرحمن بن حمد الداود

مدير الجامعة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن العناية بتراث أهل العلم والفكر، جمعًا وحفظًا وتوثيقًا ودراسة ونشرًا، لَمن الواجب المتأكد على طلابهم والذين يلونهم ممن جاء بعدهم، فبذلك يتصل العلم، ويتواتر نقله، وينشر خيره، ويعرف اللاحقُ فضل السابق.

والشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ) -رحمه الله تعالى- من أبرز علماء القرن الرابع عشر، في علوم الشريعة، وخاصة التفسير والفقه والعقيدة، فقد كتب ما طار صيته وبلغ الآفاق، وتتلمذ على يديه علماء بارزون، بلغوا من الشهرة ما بلغ، وإذا تجاوزنا الإنشاء إلى الإحصاء، فإن الأطروحات العلمية التي تناولت تراثه العلمي عدت بالعشرات.

وحري بمن بلغ هذا المبلغ من الأثر، أن يعنى به عن قرب، وأن يتناول تراثه بالتفصيل، من خلال جهات متعددة، لينشر ما لم ينشر، وليسلط الضوء على ما لم يجد بعد العناية اللائقة بمقداره كمًّا وعمقًا وأثرًا.

ولأجل هذا فقد نظمت كلية العلوم والآداب بعنيزة، بالتعاون مع كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية هذا المؤتمر، سعيًا لتحقيق عدد من الأهداف، يجمعها العناية بتراث الشيخ عبد الرحمن السعدي والإفادة منه.

وتقسمت محاور المؤتمر على العلوم التي اشتغل بها، فألّف ودرّس، كالتفسير، والعقيدة، والفقه وأصوله، والدعوة والتربية، وعلوم اللغة، كما أفرد ما تميز به الشيخ من الاجتهاد والتجديد بمحور خاص، فقد سبق عصره، واتسعت دائرة نظره للمستقبل، فكانت فتاواه مراعى فيها هذا النظر.

ولقربه رحمه الله، زمانًا ومكانًا، ما زال الناس يتناقلون عنه الروايات والأخبار، فكان حقها أن تفرد بمحور خاص، لتوثّق وتدرس.

ولقد وجد هذا المؤتمر إقبالاً من الباحثين، وتوالت طلبات المشاركة فيه، حتى وصل إلى المؤتمر خلال فترة وجيزة أكثر من مئة فكرة بحثية، قبل منها ١٠٨، وبعد تحكيم البحوث وأوراق العمل قبل منها ٥٢ بحثًا وورقة عمل.

وإننا في هذا المقام، لنحمد الله تعالى ونشكره أن يسر هذا العمل العلمي، حول هذه الشخصية المباركة، ونشكر شركاءنا في هذا العمل، كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية، الذي كان شريكًا أساسيًّا، اضطلع بالمهام العلمية، فأبلى الزملاء فيه بلاء حسنًا، كما أشكر زملائي في كلية العلوم والآداب بعنيزة، الذين تحملوا المسؤولية وكانوا خير من عمل فأبدع، وأخص بالشكر أيضًا الإدارات المعنية في الجامعة، التي كانت الرافد الرئيس في إنجاح هذا المؤتمر.

والشكر كل الشكر لهذه الجامعة التي نتفيأ ظلالها جميعًا، ممثلة بمعالي مديرها أ.د. عبدالرحمن بن حمد الداود، وسعادة وكلاء الجامعة، الذين ما زال دعمهم ممتدًا.

أسأل الله العلي القدير أن يبارك في الجهود، وأن يسدد الخطى، وأن يحفظ هذه البلاد التي كان دأبها وما زال، رعاية العلم والعلماء، في ظل حكومتها الرشيدة، بقيادة خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبد العزيز، وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز، فما فتئت تبذل كل شيء لخدمة هذا الوطن المبارك، والأمة من ورائه.

أ.د. فريد بن عبدالعزيز الزامل السليم

رئيس اللجنة التنظيمية بالمؤتمر

وعميد كلية العلوم والآداب بعنيزة

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله، خير معلم، أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليبين للناس ما نزل إليهم على صراط مستقيم ومنهج قويم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن أشرف ما صرفت فيه الأوقات طلب العلم الشرعي، لما يقود طالب العلم إلى خشية الله والالتزام بأوامره، قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر (٢٨)]، ومن أهم وسائل العلم الشرعي الدراسات البحثية، لذا سعت الكراسي البحثية للإسهام في بناء مجتمع المعرفة، من خلال المؤتمرات والأبحاث العلمية.

ومن هنا أصبح كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية يسعى لإعداد أبحاث علمية شرعية ترقى بالمجتمع نحو المعرفة المتخصصة، محققاً أهدافه من خلال العناية بتراث الشيخ محمد بن صالح العثيمين والدراسات التي تعنى به، ودعم البحوث الشرعية المتميزة في شتى التخصصات الشرعية، وتزويد المجتمع بالحلول العلمية لكافة المشكلات التي يواجهها، وتدريب الباحثين على وسائل البحث العلمي المنهجي مما كان له أثر علمي على المستفيدين.

ولما للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله من أثر علمي بالغ على الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله، حيث يقول: «ولقد كنا نقتدي بشيخنا عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله ..... لأننا نعتقد أنه شيخنا وإمامنا فنعتبره قدوة لنا » = كان هذا المؤتمر العلمي (**مؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، آثاره العلمية والدعوية**) مشاركة من كرسي الشيخ ابن عثيمين

للدراسات الشرعية بالتعاون مع كلية العلوم والآداب بعنيزة، وذلك من خلال اختصاص الكرسي في الجانب العلمي في الإشراف على البحوث وتحكيمها وطباعتها ضمن أعمال اللجنة العلمية بالمؤتمر. شاملة اثنين وخمسين بحثا علميا عن آثار هذا الإمام المتفنن - ابن سعدي رحمه الله - في شتى الفنون من علوم القرآن، والسنة، والفقه وأصوله، والعقيدة ومنهجه في الرد على المخالفين، واللغة، والدعوة، ومعالم التجديد والاجتهاد في تراث الشيخ رحمه الله، إضافة لجوانب مهمة في إبراز سيرته الشخصية وأثرها في النهضة العلمية.

شاكرا الله عز وجل على تيسيره وتسديده في أعمال هذا المؤتمر، فله الحمد كله والثناء أبلغه والشكر أتمه .

ثم أثني بالشكر للجامعة المعطاء جامعة القصيم ممثلة بمعالي مدير الجامعة أ.د. عبدالرحمن بن حمد الداود، ووكلاء الجامعة، وأمانة الكراسي البحثية على دعمهم ومؤازرتهم.

كما أخص بالشكر الجزيل كلية العلوم والآداب بعنيزة التي شرف الكرسي بمشاركتها في هذا المؤتمر، فكانوا نعم الشريك، والقائد في المسيرة التنظيمية لهذا المؤتمر.

ولا أنسى أعضاء اللجنة العلمية في هذا المؤتمر، وأعضاء اللجنة العلمية بالكرسي، فالشكر والعرفان يسدى لهم لقاء جهودهم الكبيرة والفعالة، والعمل الدؤوب .

وأختم بالشكر والعرفان لليد المعطاء داعم كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية سعادة الدكتور: ناصر بن عقيل الطيار حفظه الله، وبارك الله فيه وفي ماله، وجعل ما قدم في موازين حسانته.

أسأل الله الكريم الرحيم أن يبارك في الجهود، ويغفر للعلامة ابن سعدي

وتلميذه الشيخ ابن عثيمين، ويعظم لهم الأجور جزاء ما قدموا من آثار علمية.

وأسأل الله اللطيف المنان أن يوفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشرفين الملك سلمان بن عبد العزيز، وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز، لما يحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين.

المشرف على كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية

د. غانم بن عبدالله الغانم

مظاهر إبراز السعدي

لهدايات القرآن

د/ نايف بن يوسف العتيبي

أستاذ مشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن

بالجامعة الإسلامية

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإنَّ القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي معارفه؛ فمعينه لا ينضب، وعطاؤه لا ينفد، علومه تتجدد، كلما تدبره المسلم وأمعن النظر فيه زاده ذلك شوقاً، وفُتِح عليه من العلوم الشيء العظيم.

وقد أنزل الله كتابه الكريم هدىً للناس قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] قال السعدي رحمه الله: «فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني؛ لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين؛ فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم في دنياهم وأخراهم»[1].

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٠).

وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة: ١٨٥] قال ابن كثير رحمه الله: «هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه ﴿ وَبَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: ودلائل وحُجَج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبَّرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقًا بين الحق والباطل، والحلال والحرام»[1].

ومن تَدَبُّرِ القرآن الكريم النظرُ في هداياته واستخراج فوائده وعظاتِه والاهتداء بأنواره وآياته، ومن تأمل في القرآن الكريم وجد فيه أنواعاً من الهدايات؛ في العقائد والأحكام والأخلاق.

ولذلك اعتنى كثيرٌ من المفسرين ببيان هدايات القرآن وإظهارها؛ من ذلكم الإمام العلَّامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ولا يجد القارئ في كتبه ريباً في ذلك؛ فقد اعتنى بذلك عناية بالغة، وقد ألَّف رحمه الله عدة كتب اهتم فيها بإبراز هدايات القرآن، وممَّا امتازت به مؤلفاته سهولة عبارتها ووضوح معانيها؛ فهي في متناول عامة الناس ولا يستغني عنها العلماء.

وسيتناول هذا البحث -بعون الله وتوفيقه- مظاهر إبراز السعدي لهدايات القرآن الكريم، وسأذكر فيما يلي أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهداف البحث:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١/ من مقاصد إنزال القرآن هداية الناس.

٢/ أنَّ من أعظم أنواع علوم القرآن هداياته.

---

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٩).

٣/ عِظَمُ حاجة الناس لإبراز هدايات القرآن.

٤/ عناية السعدي بإبراز هدايات القرآن.

ثانياً: أهداف البحث:

١/ إبراز علم الهدايات.

٢/ إبراز اهتمام المفسرين بالهدايات.

٣/ إبراز جهود الشيخ السعدي رحمه الله في إظهار هدايات القرآن.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع وقفت على بعض الدراسات حول الهدايات وهي:

١/ الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، إعداد أ.د. طه عابدين، ود. ياسين بن حافظ قاري، ود. فخر الدين الزبير علي. تحت إشراف كرسي الملك عبدالله.

وهي دراسة فريدة تعنى بالتأصيل لعلم الهدايات.

٢/ من هدايات سورة الفاتحة، أ.د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.

وهي في الأصل دروسٌ قام بها المؤلف، ثم جمعت بعد ذلك.

٣/ هدايات القرآن في سورة الجمعة، محمد مصطفى عبدالمجيد، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية.

٤/ آيات آل البيت الدلائل والهدايات، د. منصور بن حمد العيدي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

٥/ منهج الشيخ ابن عثيمين في بيان الهدايات القرآنية من خلال سورة الأنعام، د. أحمد بن مرجي الفالح. بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١٦٨).

وهذه الدراسات وإن كانت في الهدايات إلا أنَّها ليست مختصة بتفسير السعدي كما هو المراد من هذه الدراسة.

٦/ فتح السميع العليم في الفوائد المنتقاة من تفسير علامة القصيم عبدالرحمن بن ناصر السعدي المسمَّى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جمع وترتيب أحمد بن محمد العمران.

وهذا الكتاب مع شموله وتوسُّعِه؛ إلا أنَّه ليس دراسة أكاديمية، وقد رُتِّب على سور القرآن، ولم يشمل جميع كتب الشيخ التي تتعلق بالقرآن؛ فقد ذكر المؤلف أنَّها فوائد منتقاة من تيسير الكريم الرحمن، وبعض الفوائد القليلة من القواعد الحسان وتيسير اللطيف المنان.

٧/ استنباطات الشيخ السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة، د. سيف بن منصور الحارثي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد اقتصر فيها الباحث على الاستنباطات كما ذكر في حدود البحث؛ ومعلومٌ أنَّ الهدايات أعم من الاستنباطات.

٨/ منتقى الآداب من تفسير السعدي، عبدالعزيز بن عبدالله الضبيعي.

وهي مجموعة آداب وأخلاق بلغت أربعة وخمسين استخرجها المؤلف من تفسير السعدي.

وبذلك يتبين أنَّه لا يوجد دراسة تدور حول ما قصدت من هذا البحث.

خطة البحث:

تتكون من مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة كما يلي:

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف البحث

والدراسات السابقة.

التمهيد: ويتضمن أمرين:

الأول: تعريف موجز بالسعدي.

الثاني: المراد بالهدايات القرآنية.

المبحث الأول: إبراز هدايات السور.

المبحث الثاني: إبراز هدايات الآيات.

المبحث الثالث: إبراز هدايات القصص القرآنية.

المبحث الرابع: إبراز هدايات الأمثال القرآنية.

المبحث الخامس: إبراز هدايات القرآن من خلال ذكر بعض القواعد القرآنية.

المبحث السادس: إبراز هدايات القرآن من خلال تأليف كتب اشتملت على ذكر هدايات القرآن.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد والهدى والرشاد.

التمهيد

أولاً: ترجمة موجزة للشيخ السعدي:

هو الشيخ أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من بني العنبر من بني عمرو أحد أفخاذ بني تميم.

ولد رحمه الله في بلدة (عنيزة) في منطقة القصيم في الثاني عشر من شهر محرم سنة سبعٍ وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية.

وقد نشأ الشيخ نشأة دينية وعلمية؛ فأمَّا ما يتعلق بالدين فقد كان حريصاً على الفرائض والنوافل وحب الأعمال الصالحة منذ صغره، وأمَّا يتعلق بالعلم؛ فقد عرف عنه حرصه على ذلك منذ سن مبكرة؛ فحفظ القرآن وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، واجتهد في طلب العلم على مشايخ بلده، وقد حصَّل رحمه الله في وقتٍ قصيرٍ كثيراً من العلوم والفنون، بفضل الله عز وجل، وبما منَّ الله عليه من الفطنة والذكاء وقوة الحافظة.

وقد أصبح للشيخ بعد ذلك مكانةٌ علمية عالية كان لها أثرٌ في نشر العلم والدعوة إلى الله عز وجل، ومما يتصل بذلك كثرة مؤلفاته، فقد بلغت أكثر من تسعين كتاباً ورسالة اشتهرت بين الناس ونالت عناية العلماء والباحثين وطلبة العلم.

وقد توفي الشيخ رحمه الله في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من سنة ست وسبعين وثلاثمائة في عنيزة بعد عمر دام تسعاً وستين سنة[1].

---

(١) للاستزادة ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢١٨-٢٧٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/ ٢٢٠-٢٣١) مجموعة مؤلفات الشيخ (١/ ٤٩-٣٨١).

ثانياً: المراد بالهدايات القرآنية:

الهدايات جمع هداية، وهي من الهدى، وهي في اللغة بمعنى: الإرشاد والدلالة[1]، وقال ابن فارس رحمه الله: الهاء والدال والحرف المعتل أصلان: أحدهما: التقدُّمُ للإرشاد، والآخر: بَعْثَةُ لَطَفٍ[2]. وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الهداية: دلالة بلطف»[3].

وقال ابن عاشور رحمه الله: «والهداية: الدلالة بتلطف؛ ولذلك خصت بالدلالة لما فيه خير المدلول؛ لأن التلطف يناسب من أريد به الخير»[4].

ويلاحظ من خلال هذه التعاريف أنَّ الهداية والهدى تدور حول الدلالة والإرشاد والتلطُّف؛ ولذلك فإنَّ المتأمل في هدايات القرآن الكريم يجدها تدور حول هذه المعاني.

ونستطيع أن نقول: إنَّ الهداية القرآنية هي « الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر»[5].

ويحسن بنا أن نذكر هنا الألفاظ التي يعبر بها المفسرون عن الهدايات؛ من أهمها:

١/ الدلالة.

---

(١) ينظر الصحاح (٦/ ٢٥٣٣) لسان العرب (١٥/ ٣٥٣).

(٢) ينظر معجم مقاييس اللغة (٦/ ٤٢).

(٣) ينظر المفردات في غريب القرآن (٨٣٥).

(٤) ينظر التحرير والتنوير (١/ ١٨٧).

(٥) ينظر الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٤٤).

٢/ الإرشاد.

٣/ الفائدة.

٤/ البيان.

٥/ الإشارة.

٦/ الفهم.

٧/ الأخذ.[١]

هذه هي الألفاظ المشتهرة عند المفسرين، ومن العبارات التي وقفت عليها عند السعدي: ما يعبر عنها بالاشتمال، أو التضمن، أو الحِكَمة، أو التصريح؛ وقد وجدتُ السعدي رحمه الله يعبر بالقاعدة القرآنية، وعند التأمل يجد القارئ أنَّها من الهدايات، وسيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله، وربما يفهم من سياق كلام السعدي أنه أراد به ذكر الهداية القرآنية.

(١) ينظر الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٥٨-٧٠).

المبحث الأول: إبراز هدايات السور:

للشيخ رحمه الله وقفات مع بعض السور في ذكر ما تضمنته من فوائد وأحكام؛ من ذلك بيان ما دلت عليه السورة من قضايا مهمة يحتاجها المسلم؛ كما في سورة الفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن[1]؛ فقد قال في خاتمتها: فهذه السورة على إيجازها قد احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن؛ فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وتوحيد الإلهية؛ وهو إفراد الله بالعبادة؛ يؤخذ من لفظ: (الله)، ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وتوحيد الأسماء والصفات؛ وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ [الفاتحة: ٢]، كما تقدم، وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ لأنَّ ذلك ممتنع بدون الرسالة، وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وأنَّ الجزاء يكون بالعدل؛ لأنَّ الدين معناه الجزاء بالعدل، وتضمنت إثبات القدر، وأنَّ العبد فاعل حقيقة، خلافاً للقدرية والجبرية؛ بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لأنَّه معرفة الحق والعمل به، وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك، وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادةً واستعانةً في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فالحمد لله رب العالمين[2].

---

(١) يدل لذلك حديث أبي سعيد بن المعلَّى أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩١٣) كتاب فضائل القرآن. باب فضل فاتحة الكتاب. حديث رقم: (٤٧٢٠).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٣٩).

ومما اهتم به الشيخ رحمه الله بيان المعنى العام والمقصد الأهم من السورة؛ من ذلك ما ذكره في أثناء تفسير سورة الأنعام حيث قال: «اعلم أنَّ هذه السورة الكريمة قد اشتملت على تقرير التوحيد، بكل دليل عقلي ونقلي، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله»[1].

والشيخ رحمه الله يستفيد من بعض الألفاظ الواردة في السورة لبيان فوائدها وهداياتها؛ من ذلك قوله في تفسير سورة الفرقان: «كرر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ ثلاث مرات؛ لأنَّ معناها كما تقدم أنَّها تدل على عظمة الباري وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه؛ وهذه السورة فيها من الاستدلال على عظمته وسعة سلطانه ونفوذ مشيئته وعموم علمه وقدرته وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته، وفيها ما يدل على سعة رحمته وواسع جوده وكثرة خيراته الدينية والدنيوية ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن»[2].

وقد يختم السورة بذكر ما اشتملت عليه من معاني وهدايات؛ من ذلك قوله خاتمة في تفسير سورة ص: «فهذه السورة العظيمة مشتملة على الذكر الحكيم والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين على من كذَّب بالقرآن وعارضه وكذَّب من جاء به، والإخبار عن عباد اللّه المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين؛ فلهذا أقسم في أولها بأنَّه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين»[3].

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٢٥١).

ومن الأمثلة على ذلك ما ختم به تفسير سورة الإخلاص. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٣٧).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٥٨٦).

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٧١٧).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في خاتمة تفسير سورة الماعون. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٣٥)

وقد يختم تفسير السورة بسرد بعض الفوائد المأخوذة من السورة؛ من ذلك ذكره لفوائد سورة الجن حيث قال: «وفي هذه السورة فوائد كثيرة[1]؛ منها:

١/ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس؛ فإنَّ الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا قومهم.

٢/ أنَّ هذه السورة قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبيَّنت حالة الخلق، وأنَّ كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة؛ لأنَّ الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم إذا كان لا يملك لأحد نفعا ولا ضرا، بل ولا يملك لنفسه عُلِم أنَّ الخلق كلهم كذلك؛ فمن الخطأ والغلط اتخاذ من هذا وصفه إلها آخر مع الله.

٣/ أنَّ علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصَّه بعلم شيء منها»[2].

وأريد أن أبين هنا أنَّ الشيخ رحمه الله لم يلتزم منهجا واحدا في ذكر هدايات السور؛ بل اختلفت طرقه في تناول ذلك كما سبق، وهناك كثيرٌ من السور لم يذكر فيها شيئاً، وإنَّما اكتفى بذكر هدايات بعض الآيات كما سيأتي.

وخاتمة تفسير سورة الفلق. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٣٧).

(١) اكتفيت بذكر ثلاث فوائد فقط؛ وهكذا في جميع الأمثلة التي نقلتها من تيسير الكريم الرحمن وزادت فوائدها على الثلاثة فإني اكتفيت بذكر ثلاثة فقط خشية الإطالة.

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٨٩١).

ولم ينص الشيخ على لفظ (فوائد) قاصداً بذلك فوائد السورة إلا في تفسير هذه السورة حسب ما وقفت عليه.

المبحث الثاني: إبراز هدايات الآيات:

من مظاهر إبراز الشيخ لهدايات القرآن تناوله لهدايات الآيات، وممَّا تميَّز به الشيخ في تفسيره وفي كثير من مؤلفاته وقوفه عند كثيرٍ من الآيات واستخراجُ فوائدها ومكنون هداياتها.

وإنَّ المتأمل يجد بروع الشيخ في هذا المجال؛ فتجد أنَّه يفسر الآيات ثم يردف ذلك بما فتح الله عليه من فوائد كثيرة؛ ومن الأمثلة على ذلك: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٧ - ١١٠]: «وفي هذه الآيات فوائد عدة:

١/ أنَّ اتخاذ المسجد الذي يُقصد به الضِّرار لمسجد آخر بقربه أنَّه محرم، وأنَّه يجب هدم مسجد الضِّرار الذي اطُّلِع على مقصود أصحابه.

٢/ أنَّ كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنَّها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها، كما أنَّ كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين وائتلافهم يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها؛ لأنَّ اللّه علَّل اتخاذهم لمسجد الضِّرار بهذا المقصد الموجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة للّه ورسوله.

٣/ أنَّ المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضِّرار،

ونُهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن، كما أثرت في مسجد قباء حتى قال الله فيه: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾؛ ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره حتى كان صلى الله عليه وسلم يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه»[1][2].

وربما اكتفى بذكر فائدة واحدة؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]: «وفي قوله: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فائدة لطيفة؛ وهو أنَّ إخفاءها خير من إظهارها إذا أعطيت للفقير»[3].

وربما نص الشيخ على موضوع الآية ثم ذكر الفوائد المستخرجة منه؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]: «من فوائد التدبر لكتاب الله: أنَّه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنَّه كلام الله؛ لأنَّه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا؛ فترى الحِكَم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة لا ينقض بعضها بعضا؛ فبذلك يُعلم كمال القرآن وأنَّه من عند من

---

(١) مما يدل لذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه. أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٩٩) كتاب الصلاة. باب من أتى مسجد قباء كل سبت. حديث رقم: (١١٣٥)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٢٠١٦) كتاب الحج. باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته. حديث رقم: (١٣٩٩).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٣٥١).

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٥٨).

أحاط علمه بجميع الأمور»[1].

فنلاحظ هنا أنَّ الشيخ رحمه الله وقف عند تدبر القرآن -وهو موضوع الآية- وذكر أهميته ببيان فوائده؛ ولا شك أنَّ التدبر من الأمور المهمة التي ينبغي للمفسر أن يقف عنده ويبين فضله وأهميته.

ومن الآيات التي يقف عندها الشيخ ما يتعلق بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وبيان اعتناء الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وسلم؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]: «في هذا التخيير فوائد عديدة:

١/ الاعتناء برسوله صلى الله عليه وسلم، وغيرته عليه أن يكون بحالة يشُقُّ عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

٢/ تنزيهه عمَّا لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على اللّه ورسوله والدار الآخرة، وعن مقارنتها.

٣/ إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن أن كان اللّه ورسوله والدار الآخرة مرادهن ومقصودهن دون الدنيا وحطامها»[2].

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٨٩).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسير الآية (١٨٦) من سورة آل عمران. ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٦٠).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٦٦٢).

وممَّا يُلاحظ قوة فهم الشيخ ودقة استخراجه للفوائد والهدايات من بعض الآيات؛ فهناك بعض الفوائد قد لا يلاحظها القارئ من الآية من أول وهلة؛ لكن الشيخ رحمه الله تميز في هذا؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]: «ويستفاد من إشارة الآية أنَّه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب الذي قد جُعل له موصلا؛ فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه؛ فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود»[1].

وممَّا اهتم به الشيخ عناية بالغة الهدايات القرآنية التي تتعلق بالعقيدة؛ نظراً لأهميتها ومكانتها من الدين، ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١ - ٦]: «تضمَّنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعينها، وإبطال إلهية ما سواه، وفي ضمن ذلك رد على النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٨٨).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند تفسير الآية (٢٢١) من سورة البقرة. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٩٩)، والآية (٣٤) من سورة النساء. ينظر تيسير اللطيف المنان (١٣٩).

إثبات حياته الكاملة وقيوميته التامة المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم، وإثبات الشرائع الكبار، وأنَّها رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى مهتد وغيره، وعقوبة من لم يهتد بها، وتقرير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته»[1].

والشيخ لا يغفل الفوائد الفقهية؛ بل ينبه عليها؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]: «دلت هذه الآية على أمور:

١/ لطف الله بعباده ورحمته لهم حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكُّوه ممَّا صادته الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقر، ونحو ذلك، مما يصيد بنابه أو بمخلبه.

٢/ اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما؛ لقوله: ﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ مع ما تقدم من تحريم المنخنقة؛ فلو خنقه الكلب أو غيره، أو قتله بثقله لم يبح هذا بناء على أنَّ الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنيابها أو مخالبها؛ والمشهور أنَّ الجوارح بمعنى الكواسب[2]؛ أي: المحصِّلات للصيد والمدركات لها؛ فلا يكون فيها على هذا دلالة - والله أعلم- .

٣/ جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح[3]، مع أنَّ اقتناء

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٢١).

(٢) ينظر جامع البيان (٨/ ٩٩) الكشف والبيان (٤/ ٢٠) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٩٩).

(٣) وهو أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتنى كلبا ليس بكلب ماشية أو ضارية نقص كل يوم من عمله قيراطان). أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٠٨٨) كتاب الذبائح والصيد. باب من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية. حديث رقم: (٥١٦٣)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٠٣) كتاب

الكلب محرم؛ لأنَّ من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه»[1].

وقد اعتنى الشيخ رحمه الله بذكر هدايات القرآن في كتابه تيسير اللطيف المنَّان؛ ومن طريقته فيه أن ينص على فائدةٍ بعينها ويذكر أدلتها من القرآن؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله: «فائدة: طغيان الرئاسة وطغيان المال يحملان صاحبهما على الكبر والبطر والبغي على الحق وعلى الخلق، برهان ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ - ٧]؛ فعلَّلَ هذا التجرؤ والطغيان بحصول الملك ورؤيته لنفسه الاستغناء؛ أمَّا الموفقون الأصفياء؛ فإنَّهم في هذه الأحوال يخضعون لله ويعترفون له بالنعمة ويزداد تواضعهم»[2].

ومن مؤلفات الشيخ التي اعتنى فيها بذكر هدايات الآيات كتاب (المواهب الربانية)؛ ومن الأمثلة على ذلك: قال رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠]: «في هذه الآية فائدة عظيمة؛ وهي أنَّ العبد عليه أن يعتمد على الله، ويرجو فضله وإحسانه، ويعمل ما أبيح له من الأسباب، وأنَّه إذا انغلق عليه باب وسبب من الأسباب التي قدرها الله لرزقه؛ فلا يتشوش لذلك ولا ييأس من فضل الله، ويعلم أنَّ جميع الأسباب مستندة إلى مسببها؛ فيرجو الذي أغلق عليه هذا الباب أن يفتح له باباً من أبواب الرزق

المساقاة. باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك. حديث رقم: (١٥٧٥). واللفظ للبخاري.

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٢٢١).

(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٣١١).

أوسع وأحسن من الباب الأول»[1].

وكذلك كتابه (فتح الرحيم الملك العلَّام)، ومن الأمثلة على ذلك: ذكر رحمه الله عدة آيات تحدثت عن الطلاق منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩] ثم قال: «يستفاد من هذه الآيات أحكام كثيرة في الطلاق والرجعة والعدة، تقدم أنَّ الله حث على إمساك النساء والصبر عليهن، وأنه عسى أن يكون فيه خير كثير، وهذا يدل على محبة الله للاتفاق بين الزوجين وكراهته للفراق، وهذه الآيات دالة على إباحة الطلاق وهو من نعمه على عباده، إذ فيه دفع ضرر ومشاق كثيرة عند الاحتياج إليه»[2]

ولم يقتصر الشيخ على لفظ (فائدة) في ذكر الهدايات؛ بل استخدم لفظ (الدلالة) كما سبق، ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]: «وهذه الآية وما أشبهها دلَّت على أنَّ اللّه بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنَّهم بعثوا بصلاح الدارين؛ فكل من كان أصلح كان أقرب إلى اتباعهم»[3].

وكذلك لفظ (التضمن)؛ ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره رحمه الله عند

---

(١) المواهب الربانية (٤٥).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عند الآية (١٤) من سورة الصف. ينظر المواهب الربانية (٢٢-٢٣).

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (١٤٧-١٤٨).

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٣٠٧).

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ الأنفال: [٤٥ - ٤٧]: «هذه الآيات تضمنت الأمر بجهاد الأعداء، والإرشاد إلى الأسباب التي ينبغي للجيوش والمجاهدين الأخذ بها؛ فمن أعظمها وأهمّها أمران: الصبر؛ وهو الثبات التام وإبداء كل مجهود في تحصيل ذلك، والثاني: التوكل على الله، والتضرع إليه، والإكثار من ذكره؛ فمتى اجتمع الأمران على وجه الكمال والتكميل؛ فقد أتى المجاهدون بالأسباب الوحيدة للنصر والفلاح؛ فليبشروا بنصر الله وليثقوا بوعده»(١).

وقد لا ينص الشيخ على لفظ من ألفاظ الهدايات؛ لكن يفهم من أسلوبه أنه أراد من كلامه الهداية المستفادة من الآية؛ ومن الأمثلة على ذلك: قال رحمه الله: لا يمنع الله تعالى عبده شيئاً إلا فتح له باباً أنفع له منه وأسهل وأولى؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]: «فمنع الله من تمني ما فضل الله به بعض العبيد على بعض، وأخبر أنَّ كل عامل من الرجال والنساء له نصيب وحظ من كسبه؛ فحضَّ الصنفين على الاجتهاد في الكسب النافع، ونهاهم عن التمني الذي ليس بنافع، وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، ودعاهم إلى سؤال ذلك بلسان الحال ولسان المقال، وأخبرهم بكمال علمه وحكمته، وأنَّ من ذلك أنَّه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تنال المطالب العالية إلا بالسعي والاجتهاد، والله الموفق لكل خير»(٢).

(١) ينظر تيسير اللطيف المنان (١١٠).

(٢) ينظر المواهب الربانية (٢٧-٢٨).

وأريد أن أختم هذا المبحث بذكر عدة أمور:

أولاً: أنَّ أكثر لفظة استخدمها في بيان هدايات الآيات: فائدة، وفوائد.

ثانياً: لم يلتزم بذكر فوائد جميع الآيات في تفسيره تيسير الكريم الرحمن.

ثالثاً: تكراره لبعض الفوائد في كتابيه تيسير الكريم الرحمن وتيسير اللطيف المنان.

المبحث الثالث: إبراز هدايات القصص القرآنية:

وردت في القرآن الكريم قصص كثيرة فوائدها غزيرة وعبرها نثيرة؛ قال ابن عاشور رحمه الله: «إنَّ في تلك القصص لعبراً جمَّة وفوائد للأمَّة؛ ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويُعرِض عما عداه ليكون تعرُّضه للقصص منزَّهاً عن قصد التفكُّه بها»[1].

وممَّا تميز به الشيخ السعدي رحمه الله وقوفه عند القصص التي وردت في القرآن الكريم واستخراجه للهدايات والفوائد منها.

ومن أعظم القصص التي وردت في القرآن الكريم قصص الأنبياء عليهم السلام؛ وقد اهتم الشيخ رحمه الله بهذه القصص وأفاض في ذكر الهدايات والعبر منها، وقد ظهر لي من خلال ما وقفت عليه أنَّ الشيخ قد أتى على جميع هذه القصص مُتبعاً ذلك بالفوائد والهدايات، ولو أتيت عليها في هذا المبحث لطال بنا المقام؛ لكن سأذكر بعض الأمثلة التي تبين جهد الشيخ رحمه الله في هذا المجال.

ومن أطول قصص الأنبياء التي جاءت في القرآن قصة يوسف عليه السلام حيث جاءت في سورة كاملة؛ ولذلك فقد ختم رحمه الله تفسير سورة يوسف عليه السلام بذكر فوائد كثيرة من قصته تجاوزت الأربعين فائدة منها:

١/ أنَّ هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقُّلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنَّة، ومن ذُل إلى عز، ومن رقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن

---

(١) ينظر التحرير والتنوير (١/ ٦٤).

إنكار إلى إقرار؛ فتبارك من قصَّها فأحسنها، ووضحها وبيَّنها.

٢/ أنَّه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى مضرته، لقول يعقوب ليوسف ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ [يوسف:٥].

٣/ الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها؛ فإنَّ امرأة العزيز جرى منها ما جرى، بسبب توحُّدِها بيوسف، وحبها الشديد له الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسُجِن بسببها مدة طويلة[1].

وقد ذكر رحمه الله هذه الفوائد في كتابه (تيسير اللطيف المنان)[2] مع بعض الاختلاف في العبارات والألفاظ.

وذكر رحمه الله فوائد عدة من قصة موسى عليه السلام مع الخضر المذكورة في سورة الكهف؛ منها:

١/ فضيلة العلم والرحلة في طلبه، وأنَّه أهم الأمور؛ فإنَّ موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل؛ لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

٢/ التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب؛ لقول موسى عليه السلام: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا﴾ [الكهف: ٦٦]؛ فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة.

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٠٧).

(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٧١-٢٨٦).

٣/ أنَّ العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته[١].

وقد ذكر رحمه الله الفوائد نفسها في كتابه (تيسير اللطيف المنان)[٢] مع اختلاف في بعض الألفاظ، وكذلك ذكرها باختصار في (فتح الرحيم الملك العلام)[٣].

والشيخ رحمه الله يقف عند قصص الأمم السالفة ويذكر الفوائد والعبر منها؛ ومن الأمثلة على ذلك: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥٢] : «وفي هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الألباب:

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٨٢).

(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٥٤-٢٥٩).

(٣) ينظر فتح الرحيم الملك العلام (١٦١).

ومن الأمثلة على ذكره لهدايات قصص الأنبياء ما ذكره من فوائد من قصة موسى عليه السلام المذكورة في سورة القصص. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٦١٨). وقصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه المذكورة في سورة الذاريات. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٨١١). وقصة داود وسليمان عليهما السلام. ينظر تيسير الكريم الرحمن (٧١٢).

١/ أنَّ اجتماع أهل الكلمة والحل والعقد وبحثهم في الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه، ثم العمل به أكبر سبب لارتقائهم وحصول مقصودهم، كما وقع لهؤلاء الملإ حين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم ويلمُّ متفرقهم، وتحصل له الطاعة منهم.

٢/ أنَّ العلم والرأي مع القوة المنفِّذة بهما كمال الولايات، وبفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها وضررها.

٣/ أنَّ الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان، والاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر؛ فالأول كما في قولهم لنبيهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾[البقرة: ٢٤٦]؛ فكأنَّه نتيجة ذلك أنَّه لما كتب عليهم القتال تولوا، والثاني في قوله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾»[1].

وكذلك قصة أصحاب الكهف؛ فقد علَّق عليها رحمه الله تعليقاً مفيداً حيث قال: «وفي هذه القصة دليل على أنَّ من فر بدينه من الفتن سلَّمَه الله منها، وأنَّ من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمَّل الذُّل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العِزُّ العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]»[2].

ومن القصص التي يقف عندها الغزوات التي حدثت في عهد النبي صلى الله

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٠٨).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٧٣).
وقد ذكرها باختصار في تيسير اللطيف المنان (٢١٧) ثم ذكر عدة فوائد من القصة.

عليه وسلم وأصحابه؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال: ٩ - ١٤]: وفي هذه القصة من آيات اللّه العظيمة ما يدل على أنَّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم رسول اللّه حقٌّ:

١/ أنَّ اللّه وعدهم وعداً، فأنجزهموه.

٢/ إجابة دعوة اللّه للمؤمنين لـمَّا استغاثوه بما ذكره من الأسباب؛ وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

٣/ أنَّ من لطف اللّه بعبده أن يسهل عليه طاعته، وييسرها بأسباب داخلية وخارجية[1].

وقد أفاض الشيخ رحمه الله في كتابه (تيسير اللطيف المنان) في ذكر الفوائد والهدايات من القصص القرآنية؛ خصوصاً قصص الأنبياء؛ منها على سبيل المثال لا الحصر قصة آدم عليه السلام فقد ذكر رحمه الله القصة ثم قال:

«فوائد مستنبطة من هذه القصة أصولية وفروعية وأخلاق وآداب، ثم ذكر

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٣١٦).

رحمه الله فوائد كثيرة تتعلق بهذه القصة؛ منها:

١/ فضيلة العلم، وأنَّ الملائكة لـمَّا تبيَّن لهم فضل آدم بعلمه عرفوا بذلك كماله، وأنَّه يستحق الإجلال والتوقير.

٢/ أنَّ الله جعل هذه القصة لنا معتبرا، وأنَّ الحسد والكبر والحرص من أخطر الأخلاق على العبد، فكِبْر إبليس وحسده لآدم صيَّره إلى ما ترى.

٣/ أنَّه ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف، ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص، وإنابة صادقة»[1].

ونلاحظ هنا أنَّ الشيخ رحمه الله أشار إلى تنوع الفوائد المستنبطة من القصة فمنها الأصولية ومنها الفروعية ومنها ما يتعلق بالأخلاق والآداب؛ وهذا يدل على دقة فهمه وحسن استفادته من هدايات القرآن.

ومن القصص التي ذكرها رحمه الله وأشار إلى فوائدها قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود، وذكر فيها ثلاث فوائد:

١/ أنَّ جميع الأنبياء دعوتهم واحدة، وأنَّ من كذَّب واحدا منهم فقد كذَّب الجميع، لأنَّه يكذِّب الحق الذي جاء به كل واحد منهم؛ ولهذا يقول في كل قصة: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:

(١) ينظر تيسير اللطيف المنان (١٧٨-١٨١).

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قصة نوح. ينظر تيسير اللطيف المنان (١٨٦-١٩٠)، وقصة بناء إبراهيم للبيت مع إسماعيل عليهما السلام. ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٠٩-٢١٤)، وقصة هود عليه السلام مع قومه. ينظر تيسير اللطيف المنان (١٩٢-١٩٤)، وقصة يونس عليه السلام. ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٣٩)، وقصة داود وسليمان عليهما السلام. ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٤٨-٢٥٢)، وقصة عيسى عليه السلام. ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٧٠-٢٧١).

١٢٣] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١].

٢/ أنَّ عقوبات الله للأمم الطاغية عند تناهي طغيانها وتفاقم جرائمها؛ فكُفرهم وتكذيبهم موجب للهلاك، ولكن تحتم الإهلاك عند تناهي إجرامهم؛ لأنَّ الله تعالى بالمرصاد؛ فيمهل ثم يمهل حتى إذا أخذهم، أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

٣/ أنَّ العقائد الباطلة الراسخة المأخوذة عمن يحسن بهم الظن من آباء أو غيرهم من أكبر الموانع لقبول الحق، والحال أنَّها ليست في العير ولا في النفير، ولا لها مقام في الحجج الصحيحة الدالَّة على الحقائق؛ فلهذا أكبر ما رد به قوم صالح لدعوته أن قالوا: ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [هود: ٦٢]، وقالت جميع الأمم المكذبة رادِّين لدعوة الرسل: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣][1].

وكذلك ذكر رحمه الله قصة شعيب عليه السلام، ثم ذكر عدة فوائد منها:

١/ أنَّ بخس المكاييل والموازين خصوصاً، وبخس الناس أشياءهم عموما من أعظم الجرائم الموجبة لعقوبات الدنيا والآخرة.

٢/ فيه دلالة على أنَّ الصلاة سبب لفعل الخيرات، وترك المنكرات، وللنصيحة لعباد الله، وقد علم ذلك الكفار بما قالوا لشعيب: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

٣/ أنَّ الناصح للخلق الذي يأمرهم وينهاهم من تمام قبول الناس له: أنَّه إذا أمرهم بشيء أن يكون أول الفاعلين له، وإذا نهاهم عن شيء كان أول التاركين؛

(١) ينظر تيسير اللطيف المنان (١٩٧).

لقول شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[هود: ٨٨][1].

ولعلِّي أقف عند هذه الفوائد؛ فالفائدة الأولى تهمُّ المجتمع والتعامل بين الناس، والفائدة الثانية تتحدث عن شعيرة عظيمة وهي الصلاة؛ وفيها إشارةٌ إلى أهميتها وثمراتها، والفائدة الثالثة فائدةٌ مهمةٌ ونصيحةٌ نفيسةٌ للداعية الذي يقوم بدعوة الناس.

وهذا يدلِّل ما ذكرناه سابقاً من تنوع الهدايات التي يستخرجها الشيخ من الآيات والقصص.

وقد يذكر الشيخ رحمه الله القصة ثم يذكر المقصد الأهم من القصة؛ من ذلك قصة لوط عليه السلام، وممَّا قاله ممَّا يستفاد منها: «وفي هذه القصة أكبر دليل على أنَّ فاحشة اللواط من أشنع القبائح، وأنَّها توجب العقاب الشديد، وأنَّ من ابتلي بهذه الفاحشة فمع ذهاب دينه قد انقلب عليه الحسن بالقبيح؛ فاستحسن ما كان قبيحا ونفر من الطيب؛ وذلك دليل على انحراف الأخلاق»[2].

ولعلِّي أختم هذا المبحث ببعض الأمور:

أولاً: ذكر رحمه الله جميع القصص القرآنية واستخرج فوائدها.

ثانياً: أنَّ ممَّا تميز به كتاباه (تيسير الكريم الرحمن)، و(تيسير اللطيف المنان) الوقوف عند القصص القرآني واستخراج الفوائد منها.

ثالثاً: تكرار كثير من الفوائد في كتابيه.

رابعاً: حسن ربطه لما يستخرجه من فوائد بالواقع.

---

(١) ينظر تيسير اللطيف المنان (٢٢٠-٢٢٢).

(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٢١٧).

المبحث الرابع: إبراز هدايات الأمثال القرآنية:

من أساليب القرآن الكريم في الهداية والبيان ضرب الأمثال؛ فقد احتوى على أمثال كثيرة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] قال الشنقيطي رحمه الله: «أي: ردَّدْنا وكثَّرْنا تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس؛ ليهتدوا إلى الحق»(١).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله فوائد الأمثال في القرآن، فقال: «ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس»(٢).

وقال السعدي رحمه الله: «فإنَّ في ضرب الأمثال تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه»(٣).

ولهذا اهتم الشيخ رحمه الله ببيان هدايات الأمثال التي وردت في القرآن، ومن أمثلة اهتمام الشيخ بالأمثال قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]: «وهذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه؛ فإنَّهم فكَّروا وقدَّروا فيما جاءت به الرسل لـمَّا كذبوهم وجعلوا لهم أصولا

---

(١) ينظر أضواء البيان (٤/ ١٦٨).

(٢) ينظر بدائع الفوائد (٤/ ١٣١٤).

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٢٥).

وقواعد من الباطل يرجعون إليها، ويردُّون بها ما جاءت به الرسل، واحتالوا أيضا على إيقاع المكروه والضرر بالرسل ومن تبعهم؛ فصار مكرهم وبالاً عليهم، فصار تدبيرهم فيه تدميرهم»[1].

فانظر كيف بيّن الشيخ رحمه الله الهداية المرادة من هذا المثل وحسن استفادته منه؛ وهي في بيان إبطال مكر أعداء الله.

ومن الأمثلة أيضاً: قوله رحمه الله: «وجعل الله ضرب الأمثال في كتابه طريقاً عظيماً من طرق التعليم الذي تتبين وتتوضح به المطالب العالية والعقائد الصحيحة والفاسدة، كما مثَّل كلمة التوحيد والعقيدة الحقة الصحيحة: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ومثَّل ضد ذلك بالشجرة الخبيثة التي لا لها أصل ثابت ولا فرع نافع، ومثَّل المشرك بربه كالعبد الذي يتنازعه شركاء متشاكسون، والموحد المخلص لله السالم من تعلقه بغيره»[2].

ومِمَّا يدل على اهتمام الشيخ بهدايات الأمثال أنَّه عنونَ لذلك قاعدةً في كتابه (القواعد الحسان) بعنوان: القاعدة الثانية والعشرون: في مقاصد أمثلة القرآن؛ وقال تحتها: «اعلم أنَّ القرآن الكريم احتوى على أعلى وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع؛ فقد احتوى على أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأوضحه؛ فمن أنواع تعاليمه العالية: ضرب الأمثال؛ وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة؛ ويقصد بذلك كلِّه توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة؛ ليصير القلب كأنَّه يشاهد

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٣٨).
(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٣٥٦).

معانيها رأي العين؛ وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه»[1].

ثم ذكر كثيراً من الأمثال التي جاءت في القرآن وما تضمنته من هدايات؛ ومنها قوله: «ومثَّل الله الأعمال بالبساتين؛ فذكر العمل الكامل الخالص له الذي لم يعرض له ما يفسده كبستان في أحسن المواضع وأعلاها، تنتابه الرياح النافعة، وقد ضَحَى وبرز للمشمس، وفي خلاله الأنهار الجارية المتدفقة؛ فإن لم تكن غزيرةً فإنها كافيةٌ له كالطل الذي ينزل من السماء، ومع ذلك فأرضُه أطيب الأراضي وأزكاها؛ فمع توفر هذه الشروط لا تسأل عمَّا هو عليه من زَهاءِ الأشجار وطيب الظلال ووفور الثمار؛ فصاحبه في نعيم ورغد متواصل، وهو آمن من انقطاعه وتلفه؛ فإن كان هذا البستان لإنسان قد كبر وضعف من العمل، وعنده عائلة ضعاف لا مساعدة منهم ولا كفاءة، وقد اغتبط به حيث كان مادته ومادة عائلته، ثم إنَّه جاءته آفة وإعصار أحرقه وأتلفه عن آخرهم؛ فكيف تكون حسرة هذا المغرور؟ وكيف تكون مصيبته؟ وهذا هو الذي جاء بعد العمل بما يبطل عمله الصالح من الشرك أو النفاق أو المعاصي المحرقة؛ فيا ويحه، بعد ما كان بستانه زاكيا أصبح تالفا قد أيس من عوده وبقي بحسرته مع عائلته.

فهذا من أحسن الأمثال وأنسبها؛ فقد ذكر الله صفة بستان من ثبته الله على الإيمان والعمل الصالح، وبستان من أبطل عمله بما ينافيه ويضاده، ويؤخذ من ذلك أن الذي لم يوفق للإيمان ولا للعمل أصلا أنه ليس له بستان أصلاً»[2].

ومما ذكره أيضاً ما ختم به هذه القاعدة: «ومثَّل الله الحياة الدنيا وزهرتها والاغترار بها بحالة زهرة الربيع تعجب الناظرين، وتغر الجاهلين، ويظنون بقاءها

(١) ينظر القواعد الحسان (٦١).

(٢) ينظر القواعد الحسان (٦٤).

ولا يؤَمِّنون زوالها؛ فَلَهَوا بها عمَّا خُلِقوا له؛ فأصبحت عنهم زائلة وأضحوا لنعيمها مفارقين في أسرع وقت كهذا الربيع إذا أصبح بعد الاخضرار هشيماً، وبعد الحياة يبساً رميماً؛ وهذا الوصف قد شاهده الخلق واعترف به البر والفاجر؛ ولكنَّ سكر الشهوات وضعف داعي الإيمان اقتضى إيثار العاجل على الآجل»[1].

وأريد أن أبين هنا بعض الأمور:

أولاً: الشيخ وإن اهتم بهدايات الأمثال، إلا أنَّه أقل من اهتمامه بهدايات القصص.

ثانياً: لم يستخدم الشيخ الألفاظ التي تدل على الهدايات عند تعرضه للأمثال؛ لكنَّها تفهم من سياق كلامه؛ وإن كان استخدم لفظ (يؤخذ) في المثال الأول المذكور من كتاب (القواعد الحسان).

(١) ينظر القواعد الحسان (٦٦).

المبحث الخامس: إبراز هدايات القرآن من خلال ذكر بعض القواعد القرآنية:

مِمَّا امتاز به الشيخ السعدي رحمه الله ذكره لقواعد قرآنية؛ وعند التأمُّل فيها يُفهم أنَّه أراد بها هدايات قرآنية يهتدي بها قارئ القرآن.

ولهذا أفردتها بالذكر هنا وإن كانت داخلةً في المباحث السابقة؛ ولأنَّ لفظ القواعد القرآنية يكاد الشيخ مما انفرد به من بين المفسرين؛ وسأذكر بعض المواضع الذي استعمل فيها هذا اللفظ في تفسيره؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٠] : «وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة؛ وهو أنَّ ما قامت الأدلة على أنَّه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها؛ فإنَّه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة؛ سواءٌ قدر العبد على حلها أم لا؛ فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه؛ لأنَّ ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[يونس: ٣٢]، وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون؛ إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه»[1].

فقد أشار رحمه الله بهذه القاعدة الشريفة والهداية القرآنية إلى أمر عظيم يتعلق بعقيدة المسلم ومواجهة ما يتطرق إليها من شبهات.

وكذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (١٣٣).

فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤ - ٥]: «يعاتب تعالى عباده عن التكلُّم بما لا حقيقة له من الأقوال، ولم يجعله الله تعالى كما قالوا؛ فإنَّ ذلك القول منكم كذب وزور يترتب عليه منكرات من الشرع؛ وهذه قاعدة عامة في التكلم في كل شيء والإخبار بوقوع ووجود ما لم يجعله اللّه تعالى»[1].

وهذه القاعدة العامة قاعدة هامة تتعلق بحرمة الكذب والتكلم بغير علم؛ وما يترتب عليه من أضرار على الفرد والمجتمع.

ومن الأمثلة أيضاً قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]: «أي: العقول الكاملة؛ ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه؛ وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر؛ إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنوَّرت أفكارهم لـمَّا أخذوه غضًّا طريًّا؛ فإنَّه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها؛ وهذه القاعدة إذا تدرَّب بها العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة»[2].

وممَّا يدل على أنَّ الشيخ استعمل لفظ (القاعدة) للدلالة على الهدايات القرآنية ما ذكره من قواعد في كتابه (القواعد الحسان)؛ فإنَّه قد اشتمل على قواعد كثيرة؛ منها قواعد تفسيرية، ومنها قواعد ترجيحية، ومنها قواعد عند التأمل فيها يظهر دخولها في الهدايات القرآنية؛ وهو ما نريده هنا، وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك:

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٦٥٨).

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤٢٨).

١/ قال الشيخ رحمه الله: القاعدة الرابعة والعشرون:« التوسط والاعتدال وذم الغلو:

القرآن يرشد إلى التوسط والاعتدال، وذم التقصير والغلو، ومجاوزة الحد في كل الأمور؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾[الأعراف: ٢٩]؛ والآيات الآمرة بالعدل والإحسان والناهية عن ضدهما كثيرة؛ والعدل في كل الأمور: لزوم الحد فيها وأن لا يغلو ويتجاوز الحد، كما لا يقصر ويدع بعض الحق»[١].

وما أحوج الناس إلى هذه الهداية العظيمة التي ذكرت في القرآن الكريم، وأشار إليها الشيخ بهذه القاعدة القيمة؛ «فحصول الضلال في أحد هذين الجانبين: التقصير والتفريط أو الغلو والإفراط، وقد أرشد القرآن إلى الوسط والاعتدال.

٢/ القاعدة السادسة والخمسون: يرشد القرآن الكريم المسلمين إلى إقامة جميع مصالحهم، وأنَّه إذا لم يكن حصولها من الجميع؛ فليشتغل بكل مصلحة من مصالحهم من يقوم بها، ويوفر وقته عليها؛ لتقوم مصالحهم، وتكون وجهتهم جميعاً واحدة.

وهذه من القواعد الجليلة ومن السياسة الشرعية الحكيمة؛ فإنَّ كثيراً من المصالح العامة الكلية لا يمكن اشتغال الناس كلهم بها، ولا يمكن تفويتها؛ فالطريق إلى حصولها ما أرشد الله عباده إليه؛ قال تعالى في الجهاد والعلم اللذين هما من أعظم مصالح الدين: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١٢٢]؛ فأمر أن يقوم بالجهاد طائفة كافية وبالعلم طائفة أخرى؛ وأنَّ الطائفة القائمة

(١) ينظر القواعد الحسان (٦٨).

بالجهاد تستدرك ما فاتها من العلم إذا رجعت»[1].

وقد بين الشيخ بهذا القاعدة أنَّ القرآن يهدي الناس إلى ترتيب مصالحهم وشؤون حياتهم ومنافعهم، وهذا يدل على أنَّ القرآن يهدي إلى كل خير ويرشد الإنسان إلى كل بر.

٣/ قال الشيخ رحمه الله: القاعدة الثانية والستون: «الصبر أكبر عون على جميع الأمور، والإحاطة بالشيء عِلماً وخبراً هو الذي يعين على الصبر:

وهذه القاعدة عظيمة النفع قد دل القرآن عليها صريحا وظاهرا في أماكن كثيرة؛ قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: ٤٥]، أي: استعينوا على جميع المطالب، وفي جميع شؤونكم بالصبر؛ فبالصبر يسهل على العبد القيام بالطاعات، وأداء حقوق الله وحقوق عباده، وبالصبر يسهل عليه ترك ما تهواه نفسه من المحرمات»[2].

هذه بعض الأمثلة على القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله، ويظهر للقارئ نفاسة هذه القواعد، وعظيم معانيها، وتنوع ما دلت عليه.

---

(١) ينظر القواعد الحسان (١١٧).

(٢) ينظر القواعد الحسان (١٢٦).

المبحث السادس: إبراز هدايات القرآن من خلال تأليف كتب اشتملت على ذكر هدايات القرآن:

الشيخ السعدي رحمه الله عالمٌ اعتنى بكتاب الله عناية خاصة، وعاش مع تفسيره واستخراج هداياته عُمْراً طويلاً، ومِمَّا يدلك على ذلك تأليفه لكتب تتعلق بتفسير القرآن وهداياته؛ من قرأ وتأمل في هذه الكتب ظهر له اهتمام السعدي بهذا الكتاب العظيم؛ وتعجَّب مما وهبه الله من جمال أسلوبٍ ودقة فهمٍ وحسن عرضٍ؛ مِمَّا كان له أثرٌ في استفادة الناس من كتبه وعنايتهم بها.

وسأذكر هنا ما وقفت عليه من كتبه رحمه الله مما يتعلق بتفسير القرآن وعلومه:

أولا: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام اللطيف المنان:

وهو كتابٌ ألَّفه في تفسير القرآن امتاز بميزات كثيرة منها إبراز هدايات القرآن سبق ذكر كثير منها في المباحث السابقة؛ ويحسن بي هنا أن أنقل ما ذكره عنه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: «أمَّا بعد: فإنَّ تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة: منها سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه، ومنها: تجنُّب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكره، ومنها: تجنُّب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قويا تدعو الحاجة إلى ذكره وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد، ومنها: السير على منهج السلف في آيات الصفات؛ فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه؛ فهو عمدة في تقرير العقيدة، ومنها: دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم؛ وهذا يظهر

جلياً في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة المائدة؛ حيث استنبط منها خمسين حكماً، وكما في قصة داود وسليمان في سورة ص؛ ومنها أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة، كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ومن أجل هذا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم»[١].

ثانياً: تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن:

وهذا الكتاب هو في الأصل اختصار للكتاب السابق، ومِمَّا امتاز به ترتيبه على الموضوعات التي جاءت في القرآن؛ وهو ما يسمَّى بالتفسير الموضوعي، وهذا اللون من ألوان التفسير معينٌ على تدبر القرآن واستخراج هداياته؛ ولعلِّي أذكر هنا ما قاله الشيخ رحمه الله في بدايته: «ووصفه بأنَّه كله صلاح -أي: القرآن- ويهدي إلى الإصلاح، وإلى أقوم الأمور وأرشدها وأنفعها في كل شيء من دون استثناء؛ وهذا الوصف المحيط لا يخرج عنه شيء؛ فهو إصلاح للعقائد والقلوب، وللأخلاق والأعمال، ويهدي إلى كل صلاح ديني ودنيوي بحيث تقوم به الأمور، وتعتدل به الأحوال، ويحصل به الكمال المتنوع من كل وجه بالإرشاد إلى كل وسيلة نافعة تؤدي إلى المقاصد والغايات المطلوبة؛ فلا سبيل إلى الهداية والصلاح والإصلاح لجميع الأمور إلا بسلوك الطرق التي أرشد إليها القرآن، وحث العباد عليها؛ فمتى عرفت أنَّ القرآن العظيم موصوف كله بهذه الأوصاف التي هي أعلى الأوصاف وأكملها وأتمها وأنفعها للعباد، وأنَّه أعيدت فيه هذه المعاني الجليلة، ومزجت فيه مزجا عجيبا غريبا في كماله وحسنه، فهمت أنَّ طالب العلم إذا وقف على تفسير بعض الآيات تدرب بها، وتوسل بها إلى معرفة بقية الآيات؛ لهذه الأسباب وغيرها

(١) ينظر القواعد الحسان (١١).

رأينا أن المصلحة تدعو إلى الاقتصار على خلاصة ذلك التفسير»[1]؛ راجين من الرب أن يتم نعمته، وأن يحصل به المقصود؛ ورأينا أن الأحسن أن نذكر كل موضوع على حدته؛ لما فيه من التقريب والسهولة وجمع المعاني التي من فن واحد في موضع واحد؛ مع أنَّه - كما تقدم - لا بد أن يدخل في آيات الأصول كثير من الفروع، وفي آيات الفروع كثير من الأصول، ويدخل فيها من الترغيب والترهيب والقصص شيء كثير؛ وهذا المزج العجيب من كمال القرآن وعظم تأثيره، فإنَّه كتاب تعليم يزيل الجهالات المتنوعة، وكتاب تربية يُقوِّم الأخلاق والأعمال؛ فهو يعلم ويقوم ويهذب ويؤدب بأعلى ما يكون من الطرق، التي لا يمكن للحكماء والعقلاء أن يقترحوا مثلها، ولا ما يقاربها[2].

وقد احتوى هذا التفسير على فوائد وهدايات كثيرة؛ سبق ذكر أمثلة منها في المباحث السابقة.

ثالثاً: القواعد الحسان المتعلِّقة بتفسير القرآن:

وقد اشتمل هذا الكتاب على قواعد كثيرة تعين على فهم القرآن وتفسيره؛ قال الشيخ رحمه الله: فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم جليلة المقدار عظيمة النفع تعين قارئها ومتأمِّلَها على فهم كلام الله، والاهتداء به[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن شيخه: « كتب ما تيسر من قواعد التفسير ما بلغ إحدى وسبعين قاعدة اشتملت على قواعد مهمة وفوائد جمَّة»[4].

---

(١) يريد تيسير الكريم الرحمن.
(٢) ينظر تيسير اللطيف المنان (٧-٨).
(٣) ينظر القواعد الحسان (١٥).
(٤) ينظر التعليق على القواعد الحسان (٧).

وسبق بيان أنَّ هذا الكتاب قد اشتمل على قواعد كثيرة منها ما يتعلق بأصول الفقه، ومنها ما يتعلق بقواعد التفسير، ومنها ما يتعلق بقواعد الترجيح بين المفسرين[1]، ومنها ما هو فوائد وهدايات استخرجها الشيخ من الآيات سبق ذكر أمثلة منها في المبحث السابق.

رابعاً: المواهب الربانية من الآيات القرآنية:

وهذا الكتاب ألَّفه الشيخ في شهر رمضان؛ وهو عبارة عن فوائد ولطائف وهدايات كانت تعرض للشيخ أثناء قراءة القرآن؛ فأراد تقييدها في هذا المؤلَّف؛ قال رحمه الله في بدايته: «هذه فوائد فتح الله بها علي في هذا الشهر المبارك، نسأله المزيد من كرمه؛ آمين»[2].

وقال في خاتمته بعد أن تكلم على معنى اللطيف: «وأرجو من الله أن يكون ما نحن فيه من هذا النوع؛ فإنَّ جنس هذه الفوائد المذكورة في هذه الرسالة قد كانت تعرض لي كثيراً أثناء القراءة لكتاب الله؛ فأتهاون بها ولم أقيدها؛ فيضيع شيء كثير؛ فلمَّا كان أول يوم من هذا الشهر المبارك أوقع في قلبي أن أقيد ما يمر علي من الفوائد والمعاني التي لا أعلم أنها وقعت لي قبل ذلك؛ فعملت على هذا النمط حتى كان الانتهاء إلى لطف الله، كما كان الابتداء بلطف الله بهذه الرسالة اللطيفة»[3].

وقد سبق ذكر أمثلة من فوائد هذا الكتاب.

---

(١) وقد أصبح علم قواعد التفسير من العلوم المستقلة لها مفهومها الخاص عند أهل الاختصاص، وأُلِّفت فيه مؤلفات خاصة كقواعد التفسير جمعاً ودراسة للدكتور خالد السبت، وقواعد الترجيح بين المفسرين للأستاذ الدكتور حسين الحربي.

(٢) ينظر المواهب الربانية (١٤).

(٣) ينظر المواهب الربانية (١٢٩-١٣٠).

خامساً: فتح الرحيم الملك العلَّام في علم التوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن:

وهذا الكتاب كما هو ظاهر من عنوانه يتعلق بالقرآن الكريم؛ وقد قسَّمه الشيخ رحمه الله على أهم أنواع علوم القرآن؛ وهي:

١/ علم التوحيد.

٢/ علم الأخلاق.

٣/ علم الأحكام.

قال رحمه الله: «فرأيت الاقتصار على هذه الثلاثة أولى وأنفع وأحسن موقعاً، وكل واحد من هذه الثلاثة يقتضي كتاباً مطولاً وخصوصاً علم الأحكام؛ ولكن أتينا بمقاصدها ونصوصها من الكتاب، وجمعناها في فنِّها واختصرنا الكلام فيها اختصاراً لا يخل بالمقصود ولا يغلق العبارات؛ بل أتينا بذلك بعبارات واضحة ليس فيها حشو ولا تعقيد»[1].

وقد اشتمل في ثناياه على فوائد وهدايات تتعلق بالعلوم الثلاثة التي ذكرها؛ ومن أمثلة ذلك ما ختم به كتابه؛ قال: قوله: «﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ونحوها من الآيات؛ تدل على أنَّ من طلب الهدى والرشد من غير الكتاب والسنة ضلَّ؛ لأنَّ الهدى محصور في هدى الله الذي أرسل به رسوله صلى الله عليه وسلم»[2].

---

(١) ينظر فتح الرحيم الملك العلام (١٤).

(٢) ينظر فتح الرحيم الملك العلام (١٦٥).

سادساً: الدَّلائل القرآنية في أنَّ العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي:

هذا الكتاب ألَّفه الشيخ لبيان أنَّ دين الإسلام اشتمل على كل ما هو خير وصلاح وهداية للبشرية، وأنَّه صالح لكل زمان ومكان؛ قال رحمه الله: « فهذه رسالة تتضمن البراهين القواطع الدالة على أنَّ الدين الإسلامي وعلومه وأعماله وتوجيهاته جمعت كل خير ورحمة وهداية وصلاح إصلاح مطلق لجميع الأحوال، وأنَّ العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة داخلة ضمن علوم الدين وأعماله»(١).

وطريقته في هذا الكتاب أنَّه قسمه على فصول؛ كلُّها إلا بضعاً منها افتتحها بآيات تؤيد ما قصده من تأليف الكتاب، ثم يذكر ما دلت عليه؛ وفي ضمن ذلك هدايات تظهر لمن تأملها؛ ومن أمثلة ذلك الفصل الذي استفتح به كتابه حيث قال: «فصل: قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤] ؛ فهذه الآية الكريمة صرحت بأنَّ الله تعالى يقول الحق وهو الصدق واليقين في أخباره، والعدل والحكمة في أوامره ونواهيه؛ فكل ما أخبر به فهو حق وصدق نافع للعباد في إصلاح عقائدهم وأخلاقهم ودينهم ودنياهم، وكل ما أمر به فهو بر وخيرٌ وإحسان ونفع وبركة، وكل ما نهى عنه فهو شر وضرر وفساد لا فرق في هذا بين الأمور الدينية والدنيوية»(٢).

سابعاً: فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام:

ذكر الله في كتابه الكريم قصة يوسف عليه السلام؛ وقد اشتملت هذه القصة

---

(١) ينظر الدلائل القرآنية (٣).

(٢) ينظر الدلائل القرآنية (٤-٥).

على فوائد عظيمة؛ ولذا حَرَص الشيخ على إفرادها في هذا الكتاب؛ قال رحمه الله: «فهذه فوائد مستنبطة من قصة يوسف صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين؛ فإنَّ الله تعالى قصَّها علينا مبسوطةً، وقال في آخرها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[يوسف: ١١١]»[١].

وفوائد قصة يوسف ذكرها الشيخ رحمه الله في كتابيه (تيسير الكريم الرحمن)، و(تيسير اللطيف المنان)، وقد سبق الإشارة إلى ذلك؛ ولعل الشيخ أفردها بكتاب خاص لأهميتها، وكثرة الفوائد المستنبطة منها.

(١) ينظر فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام (٧).

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في كتب الشيخ السعدي رحمه الله؛ فإنِّي أحمد الله على أن يسر لي إتمام هذا البحث، ولعلِّي أختمه بذكر بعض النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

١/ اهتمام الشيخ بإبراز هدايات القرآن.

٢/ تعلُّق الشيخ بكتاب الله ومعايشته له.

٣/ من أهداف الشيخ من تَأليفه للكتب المتعلقة بالقرآن ربط الناس بكتاب الله.

٤/ عند التأمل في كثير من الفوائد التي ذكرها الشيخ يظهر دقة استخراجه للفائدة وحسن توجيهه لها؛ مما يكون له أثر في استفادة القارئ.

٥/ لفظة فائدة أو فوائد هي أكثر ما عبر به الشيخ عن الهدايات.

التوصيات:

١/ الفوائد التي نص عليها الشيخ بقوله (فوائد) أو (فائدة) أو نحوها كثيرة جداً؛ وبعضها يتعلق بالهدايات وبعضها يتعلق بالتفسير، وبعضها يتعلق باللغة، وبعضها يتعلق بالفقه. تصلح أن تكون بحثاً.

٢/ نشر هذه الهدايات والاستفادة منها في الخطب والمواعظ والدروس ففي كثير منها مناسبة للواقع ومعالجة لكثير من القضايا.

٣/ دراسة منهج الشيخ السعدي رحمه الله في عرض القصص القرآني.

٤/ دراسة منهج الشيخ في عرض الهدايات القرآنية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- استنباطات الشيخ السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة، سيف بن منصور الحارثي، قناديل العلم، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه.
- آيات آل البيت الدلائل والهدايات، د.منصور بن حمد العيدي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ه.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.
- التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: أ.د. حكمت بن بشير ياسين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠م.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

- الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة داخلة في الدين الإسلامي، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مطابع الرياض.
- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان، مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن محمد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٩٧م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط: مصطفى البُغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤ه، ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالرحمن بن صالح البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ه.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الدَّمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه.
- فتح السميع العليم في الفوائد المنتقاة من تفسير علامة القصيم عبدالرحمن بن ناصر السعدي المسمَّى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جمع وترتيب أحمد ابن محمد العمران، دار ابن الأثير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه،٢٠١١م.
- فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م.
- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م.
- قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، الخُبر، الطبعة

الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الدَّمام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- الكشف والبيان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت.
- مجموعة مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار الميمان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٦ه، ٢٠١٥م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- من هدايات سورة الفاتحة، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- منتقى الآداب من تفسير السعدي، عبدالعزيز بن عبدالله الضبيعي، دار الحقيقة الكونية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٤ه، ٢٠١٣م.
- منهج الشيخ ابن عثيمين في بيان الهدايات القرآنية من خلال سورة الأنعام، د. أحمد بن مرجي الفالح. بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١٦٨).
- المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رمادي الحضارة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ه، ٢٠١١م.
- هدايات القرآن في سور يوم الجمعة دراسة تحليلية موضوعية، محمد مصطفى عبدالمجيد، دار المعالي، الطبعة الأولى.
- الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، أ.د. طه عابدين طه حمد، ياسين بن حافظ قاري، فخر الدين الزبير علي، مكتبة المتنبي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ه، ٢٠١٧م.

منهجية الشيخ السعدي في التفسير الإجمالي

دراسة استقرائية تحليلية

لكتابه: (تيسير الكريم الرحمن)

(ورقة عمل)

أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، والصلاة والسلام على من أرسله ربه داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ورضي الله عن الآل والأصحاب والأتباع، ممن سار على نهجه، واتبع سنته، واهتدى بهداه إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإنّ كتاب الله خير ما تقضى فيه الأعمار، وتستغل الأوقات في حفظه وتدبره، ومن ثمّ العمل به وتطبيقه في واقع الحياة، وما زال العلماء يخدمونه بتأليف تفاسيره، إذ بلغت أعداداً كثيرة، مع اختلاف مشاربها، وتنوع مناهجها، وتباين طرقها، غير أنها تلتقي في نهاية الأمر على خدمة كتاب الله، وبيانه للناس.

وثمّة لونٌ للتفسير يُسمّى **بالتفسير الإجمالي؛ إذ فيه تُجْمَلُ معاني الآيات وهداياتها في عرضٍ واحد، دون تفاصيل مأخذ تلك المعاني والهدايات.** ومهما كانت سماته أو تسمياته فإننا لا ننكر أنه كان موجوداً عند علمائنا السالفين بقدر حاجة الناس إليه، وهذا ما نأمل أن يُظهر شيئاً منه هذا البحث في تفسير السعدي المسمى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، لمؤلفه العالم الرباني الفقيه الأصولي اللغوي المحدث الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي التميمي، والمتوفى سنة ١٣٧٦هـ -رحمه الله-.

وكان بدأ الشيخ بتأليفه سنة ١٣٤٢هـ وأنهاه سنة ١٣٤٤هـ. وكان عمره حين بدأ فيه خمسة وثلاثين عاماً، وقد كتب الله له القبول والانتشار فانتفع به الجم الغفير من النّاس، وترجمت منه أجزاء في مجمع الملك فهد -رحمه الله- بالمدينة لطباعة المصحف وغيره.

ولما اشتهر الإمام العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) به من ملكة في التفسير، ولما تميز به من أسلوبٍ إجمالي في بعض مصنفاته في التفسير، ومساهمة في بناء لبنة في صرح التفسير الإجمالي، ومحاولة لدراسة مناهج العلماء وإبرازها بطريقة استقراء مناهجهم وتحديد خطواتهم في الوصول للمعلومة، وفي إيصالها للناس؛ حاولت إبراز هذا الباب والمساهمة فيه من خلال هذا البحث.

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

١. الحاجة الماسة لاستقراء منهجية البحث في التفسير الإجمالي عند العلماء الراسخين في هذا الشأن.

٢. بروز الإمام السعدي -رحمه الله- في مدرسة التفسير فاشتهر بتفسيره وبلغ الآفاق ونفع الله به.

٣. سهولة ويسر وتنوع أسلوب الشيخ السعدي -رحمه الله- في عرض التفسير.

٤. الحاجة لتأصيل منهجية التفسير الإجمالي، التي يسير عليها الباحث للوصول للنتائج المرجوة.

ثانياً: النتائج المتوقعة:

١. المساهمة في تأصيل منهج التفسير الإجمالي وإبراز معالمه، من خلال استقراء (تيسير الكريم الرحمن).

٢. بيان منهج السعدي في عرض المعاني بصورة إجمالية مع إبراز الهدايات وترتيبها وفق حاجة المجتمع.

٣. المساهمة في إبراز جهود الشيخ السعدي، ودراسة منهجه العلمي في التفسير.

٤. معالجة ما قد يصاحب انتشار التفسير الإجمالي من آفات، لا يخلو منها علم من العلوم.

ثالثاً: خطة البحث[1]

المقدمة: وتشمل: أسباب اختيار الموضوع، والنتائج المتوقعة، وخطة البحث،

(١) جاءت الخطة مختصرةً لمناسبة الورقة في المؤتمر مع بقية أوراقه، فتركت الترجمة للمؤلف والتعريف بالكتاب، واختصرت المطالب على ما يخص التفسير الإجمالي عند الشيخ السعدي -رحمه الله-؛ بناء على طلب اللجنة العلمية للمؤتمر.

ومنهج البحث.

تمهيد: تعريف التفسير الإجمالي ونشأته.

مطالب البحث:

المطلب الأول: منهجه إجمالاً في كتابه (تيسير الكريم الرحمن)

المطلب الثاني: أسباب تصنيف تيسير الرحمن في نوع التفسير الإجمالي.

المطلب الثالث: مصطلح التفسير الإجمالي عند الشيخ وفي عصره.

المطلب الرابع: طريقة الشيخ -رحمه الله- في عرض المعاني والهدايات وصياغتها في الكتاب.

المطلب الخامس: من تأثر بهم الشيخ من علماء الإسلام في أسلوب التفسير الإجمالي.

المطلب السادس: أثر المنهجية العلمية الإجمالية في كتابات الشيخ الأخرى.

الخاتمة: وتشتمل على:

١- النتائج، وتتضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أهمية التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ ورؤيته.

المسألة الثانية: ضوابط التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ.

المسألة الثالثة: أساليب التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ وغيره.

٢- التوصيات.

فهرس المصادر.

فهرس الموضوعات.

رابعا: منهج البحث:

يعتمد البَحث على المنهج الوصفيِّ والتحليليِّ معاً. وتقوم كتابة البحث على الإجراءات الآتية:

١) الاعتمادُ في النقل والتحليل على كلام السعدي في تيسير الكريم الرحمن، مع الاهتمام بالإشارة إلى مواضعها في الحاشية.

٢) كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها بذكر سورها وأرقامها.

٣) تخريج الأحاديث النبوية والآثار تخريجاً مختصراً، فإن كان في الصحيحين أو أحدِهِما اكتفي بذلك.

٤) توثيق النقول والأقوال إلى مصادرها.

٥) تفسير الكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية.

٦) الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٧) التعليق بقدر الحاجة، اختصاراً للبحث.

٨) أكتفي بتمييز العلم بذكر ما توفر من ولادته ووفاته، دون الترجمة له اختصاراً.

هذا وأسأل الله تعالى توفيقه وهدايته، والسداد للصواب، إنه خيرُ مسؤول، وأكرم مأمول، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: تعريف التفسير الإجمالي ونشأته

أولاً: تعريف الإجمالي لغةً:

«الإجمالي نسبة إلى أجمل، وهذه الصيغة (أفعل) بمعنى دخل في الإجمال، فالهمزة في (أجمل) همزة الجعل؛ أي: جعلته مجملاً، والإجمال: الإيجاز، والإيجاز مظنة الإبهام؛ لذا أخذ الأصوليون هذا في مصطلح (المجمل والمبين)، قال الزركشي: «الْمُجْمَلُ لُغَةً: الْمُبْهَمُ، مِنْ أَجْمَلَ الأَمْرَ أَيْ أَبْهَمَ»[1].

وليس هذا هو المراد في مصطلح (التفسير الإجمالي)، وإنما هو مما قال ابن دريد (٣٢١هـ): «وأجملتُ الشيء إجمالاً إذا جمعته عن تفرّقه، وأكثر ما يُستعمل ذلك في الكلام الموجز، يقال: أجمل فلان الجوابَ»[2].

ثانياً: تعريف الإجمالي اصطلاحاً:

بيان آيات القرآن بالتعرض لمعانيها إجمالاً، حسب ترتيب المصحف، مع مراعاة غريب الألفاظ، والربط بين المعاني في الآيات بعبارات يصوغها تُسَهِّل فهمها وتُوَضِّح مقاصدها[3].

وهذا النوع أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية للقرآن الكريم، وهو الذي يستخدمه من يتحدث بالإذاعة والقنوات لصلاحيته لعامة الناس ومن أمثلته: تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي»[4].

فالتفسير الإجمالي يهتم ببيان المعنى العام باختصار، فهو أقرب ما يكون

(١) البحر المحيط ٤/ ٣٤٤.

(٢) جمهرة اللغة ١/ ٢٤٥.

(٣) اجتهدت في صياغته إذ لم أجد من عرفه اصطلاحاً، وإنما وصفوه وميزوه عن الأنواع الأخرى.

(٤) ينظر: بحث د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري عن التفسير الموضوعي، مجلة البيان ع ٦٤ ص٧.

لتلخيص وعرض نتائج التفسير التحليلي.

يقول د. أحمد السيد الكومي (١٣٣٠-١٤١١هـ) -رحمه الله-: «إذ ينطق بعبارته التي صاغها من ألفاظه يأتي- بين الفينة والفينة- بلفظ من ألفاظ القرآن، حتى يشعر السامع أنه لم يكن بعيداً في تعبيره عن سياق القرآن، ولا مجانبا لمجموع ألفاظه، وحتى يحقق التفسير من جانب، آخر، ويكون رابطاً نفسه بنظم القرآن من جانب آخر، ويكون في الموضع الذى يجانب فيه لفظ القرآن آتياً بلفظ أوضح عند السامعين، وأيسر في الفهم عند المخاطبين»[1].

ويقول أ.د. فهد الرومي: «التفسير الإجمالي: هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورةً سورةً، إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا، مبرزا مقاصدها موضحا معانيا مظهرا مراميها، ويجعل بعض ألفاظ الآيات رابطا بين النص وبين تفسيره، فيورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يجانب ألفاظه وعباراته ومشعرًا بما انتهى إليه في تفسيره من النص»[2].

ثالثا: وصف الإجمالي:

ومعنى هذا المصطلح أن المفسر يفسر الآية جملة واحدة، ولا يفكك ألفاظها ويفسرها لفظة لفظة كما يُفعل في التحليلي.

والحال في التفسير الإجمالي أن الجديد فيه: عرضه بأسلوب التعبير عن التفسير، من حيث سهولة عبارته وسلاستها من عدم ذلك.

---

(١) التفسير الموضوعي، للدكتور أحمد الكومي: ص٦، مذكرة مقررة على طلاب كلية أصول الدين.

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للرومي ٣/ ٨٦٢.

وأنَّ هذا النوع في الغالب يكون موجهاً للقاعدة العريضة من الناس، فيخاطبون به الجانب الأعظم من المسلمين؛ وبالتالي فلا يدخل المفسر في التفاصيل الدقيقة للمسائل، والمباحث المتخصصة، ولا يتعرضون لمعالجة الجزئيات في الكلمات والحروف أو الجمل والتراكيب، أو متعلقات ذلك وتفاصيلها بصورة متخصصة.

ومع ذلك فالمفسر- في سبيل ما تهدف إليه الجمل من معان، وما ترمى إليه من مقاصد- لا بدّ له من الاستعانة بما يحتاج إليه من آية أخرى، أو حديث نبوي، أو أثر صحيح عن السلف، أو بيت من أشعار العرب، أو حكمة مأثورة عن الحكماء والبلغاء، ولا يصرح بذلك، بل يسبكه في صياغة المعنى؛ فيدركه العارف بعلم التفسير ولا ينشغل به غيره.

ويجب الحذر والتوقي عند اعتماد كتابٍ في التفسير الإجمالي من جهة الاعتقاد، لأن المفسر لايُبيِّن العلوم والأدوات التي استخرج منها معانيه، فالمفسر قد يسلك بالتفسير الإجمالي منهج أهل السنة والجماعة، أو منهج الشيعة، أو الاتجاه العلمي بمناهجه، أو العقلي، أو حتى الإلحادي!![1].

رابعاً: العلاقة والترابط بين التفسير التحليلي والإجمالي:

التفسير التحليلي: مأخوذ من الحل بمعنى: الفتح، ونقض المنعقد.

قال ابن منظور: «وحلّ العقدة يحلها حلا، فتحها ونقضها، فانحلت»[2].

وهو في الاصطلاح قريب من هذا المعنى اللغوي، حيث يراد به: **بيان الآيات القرآنية بيانا مستفيضا من جميع نواحيها**[3].

---

(١) ينظر: اتجاهات التفسير الرومي ٣/ ٨٦٣.

(٢) لسان العرب، مادة: (حل).

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة ص٢٧٨-٢٨٠ باختصار، وفي ذلك أقوال أخرى ليس هنا موطن تحريرها.

فالتفسير التحليلي: هو أن يتولى المفسر بيان معنى الألفاظ في الآية، وبلاغة التركيب والنظم، وأسباب النزول، واختلاف المفسرين في الآية، ويذكر حكم الآية وأحكامها، وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهية أو أصولية أو نحوية أو بلاغية، ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك.

بحيث يسير المفسر في هذا البيان مع آيات السورة آية آية، شارحا مفرداتها، وموجها إعرابها، وموضحا معاني جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبينا أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعينا في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وبأسباب النزول، وبالأحاديث النبوية، وبما صح عن الصحابة والتابعين، وبغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النص القرآني وتوضيحه للقراء، مازجاً ذلك بما يستنبطه عقله، وتمليه عليه نزعته العلمية.

وهذا التفسير هو أسبق أنواع التفسير، وإذا أطلق التفسير فلا ينصرف الذهن إلا له، وعليه تعتمد بقيتها، ويتفاوت فيه المفسرون إطناباً وإيجازاً، ويتباينون فيه من حيث المنهج.

وهذا هو الأسلوب الذي سارت عليه التفاسير إلى وقتنا الحاضر، ولا زالت العلماء تصدر تفسيراتها على هذا الأسلوب غالباً.

خامساً: مسميات الإجمالي الأخرى:

قال الشيخ أ.د. مساعد الطيار: «ويجوز أن يكون المصطلح (التفسير الجملي) نسبة إلى الجملة لا الإجمال، فقد جاء في مادة (جمل) من تاج العروس: «وجمل يجمل جملاً: إذا جمع»، وجاء فيه أيضًا: «والجُملَةُ بالضمّ: جَماعَةُ الشيء كأنها اشتُقَّت مِن جُمْلَة الحَبلِ؛ لأنها قُوًى كثيرةٌ جُمِعَتْ فأَجْمَلَتْ جُمْلةً. وقال الراغب: واعتُبِر معنى الكَثْرةِ فقِيل لكُلِّ جَماعةٍ غيرُ منفصِلة: جُملَةٌ. قلت: ومنه أَخذ النَّحويّون

الجُملَة لِمُرَّكبٍ من كلمتين أُسْنِدت إحداهما للأُخرى. وفي التنزيل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[الفرقان: ٣٢]؛ أي: مُجْتَمِعاً لا كما أُنْزِل نُجُوماً مُفْتَرِقة .. »[١].

وهذا التعبير: (التفسير الجملي) قد استخدمه بعض المعاصرين؛ مثل: المراغي في تفسيره، لكن اشتهر مصطلح (التفسير الإجمالي)، واستحوذ على مصطلح (التفسير الجملي)»[٢].

سادساً: أهم كتب التفسير الإجمالي:

هذا النوع من التفسير ظهر في العصر الحديث، ومعظم كتبه معاصرة، ومنها التفاسير التالية:

١) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) وتجده تحت عنوان «المعنى الجملي».

٢) المصحف المفسر، للأستاذ محمد فريد وجدى (١٢٩٥-١٣٧٣هـ).

٣) تيسير الكريم الرحمن، تفسير الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ)[٣].

٤) التفسير الوسيط، إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة الأولى، (١٣٩٣هـ).

---

(١) تاج العروس للزبيدي ٢٨/ ٢٣٨.

(٢) مشكلة المصطلحات في الدراسات القرآنية .. التفسير الموضوعي وإخوانه أنموذجًا، أ.د. مساعد الطيار 04Jun 2006، ملتقى أهل التفسير.

(٣) ينظر: بحث د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري عن التفسير الموضوعي، مجلة البيان ع ٦٤ ص٧، والطيار في مقالة مشكلة المصطلحات، وفي فصول في أصول التفسير ص٣٣.

٥) التفسير الواضح، للدكتور محمد محمود حجازي (١٣٣٢-١٣٩١هـ).

٦) التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة (١٣٠٥-١٤٠٤هـ)[١].

٧) التيسير في أحاديث التفسير، لمؤلفه: محمد المكي الناصري (١٣٢٤-١٤١٤هـ).

٨) التفسير الميسر (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.

٩) تفسير أيسر التفاسير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبوبكر الجزائري (١٣٤٠-١٤٣٩هـ) وتجده تحت عنوان «المعنى الإجمالي»[٢].

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، ونصوا على الكتب رقم (٢، ٤، ٥، ٦) ص٢٧٨-٢٨٠ باختصار.

(٢) فصول في أصول التفسير ص٣٣. وقد نص على الكتب رقم (١، ٣، ٧، ٩).

المطلب الأول

منهجه إجمالاً في كتابه (تيسير الكريم الرحمن)

كان أسلوب الشيخ -رحمه الله- في كتاب (تيسير الكريم الرحمن) يتميز بالآتي[1]:

١. يستخلص دلالة لفظ الآية من كلماتها وسياقها وما يكتنفها من سبب نزول أو مكانه أو مناسبة معيَّنة.

٢. يختار ما يرجحه من الأقوال، ويدلل عليه بعبارة موجزة عامّة غالباً، وقد ينص على ذلك التصحيح أو الترجيح؛ لاسيما إذا كان يرى ذلك الخطأ أو البُعد وقع عند المفسرين كثيراً.

٣. يربط المعنى بالقواعد والأصول الشرعية العامة، وقواعد التفسير خاصة. بل إنّ كتابه نموذج لتطبيق لقواعد التفسير وعلوم القرآن المبثوثة.

٤. يُرجع الكلمات إلى استعمالاتها الشرعية واللغوية مراعياً السياق بشكل دقيق.

٥. غالب ألفاظه التي يختارها وينتقيها بعناية؛ هي من الأحاديث وأقوال السلف في فهم كتاب الله، ونادراً ما يصرح بالحديث أو القول.

٦. يحاول تفسير القرآن بالقرآن، ولذا يكثر من الربط المباشر وغير المباشر بين آيات الموضوع الواحد، أو الأسلوب الواحد أحياناً، أو القاعدة التفسيرية الواحدة كذلك.

٧. يحرص على بيان المجمل وتقييد المطلق في موضعه بعبارة سهلة وموجزة مُعرضاً عن الخلاف وأدلته، وأقوال العلماء فيه إلا ما ندر، ويكتفي بالخلاصة

(١) اجتهدت في تتبع ذلك ووصفه واختصار ذلك ليتناسب مع البحث المراد، وللمزيد انظر: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي مُفَسِراً.

المجملة في المسألة.

٨. يربط الآيات ببعضها، ويوضحها من خلال بعضها الآخر، خصوصاً عندما ترد آيات مجملة؛ ولها تفصيل في موطن آخر من القرآن، كما في قصص الأنبياء وغيرها.

٩. يوضح المبهم بما يبين مراد الله منه، مكتفياً بالصحيح، معرضاً عن الضعيف والاحتمالات، مركزاً جهده في صرف القارئ إلى المراد من النص، دون انشغال بالغرائب والنوادر من الأقوال والحكايات.

١٠. يعتمد المأثور من الأحاديث الصحيحة والحسنة غالباً، ويتقيد بفهم الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة المهديين الأعلام في هذه الأمة، دون أن يؤثر ذلك بتطويل النقل أو ضعف الصياغة والربط، بل لا يكاد يشعر بذلك غير المتخصص، أو القارئ الملهم.

١١. عنده عناية بالربط والمناسبات بين المقاطع وكذا السور، ويجتهد في بيان الحِكم والغايات الشرعية، ممَّا أضفى على تفسيره نوعاً من الإقناع والإمتاع.

١٢. أسلوبه في الكتاب يجمع بين السهولة واللطافة، وبين القوة والرصانة.

١٣. له في الكتاب استنباطات دقيقة، تنمُّ عن علم غزيز وفهم دقيق.

ويُمثل هذا اللون من ألوان التفسير ما يُسمى بالتفسير الإجمالي، كما سيأتي.

وبهذا ينقسم التأليف في التفسير عند الشيخ السعدي -رحمه الله- إلى ثلاثة أنواع، وهي: الإجمالي والموضوعي والنكت والفوائد القرآنية[1].

---

(١) للمزيد يمكن مراجعة بحث: منهجية الشيخ ابن سعدي في التفسير الموضوعي- مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - واقع وآفاق جامعة الشارقة ١١-١٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦/ ٤/ ٢٠١٠ وهذا المطلب من ذلك البحث.

المطلب الثاني

أسباب تصنيف تيسير الرحمن في نوع التفسير الإجمالي.

الناظر لتفسير الشيخ السعدي: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) يجد أنه ليس من التفسير التحليلي كما وصفناه، وليس من التفسير الموضوعي ولا المقارن، فهو أقرب ما يكون للتفسير الإجمالي، وهذا ما خلصت إليه بعد النظر والتأمل والمدارسة لأكثر من مرةٍ ولله الحمد.

والأدلة والشواهد لذلك كثيرةٌ نختار منها ما يلي:

١- أنه اعتمد على كتب التفسير الموثوقة اعتماداً كليـاً، **وصاغها بأسلوب مناسب لأهل عصره.**

٢- **سهولة اللفظ وبيانه في تفسير الشيخ**، وذلك لا يتأتى إلا لمن جمع العلم ووعاه، فصياغة العلم في اللفظ الرائق الوجيز صعبة إلا على من ارتقى في مدارج العلم.

٣- **تلخيصه لمعاني الآيات أثناء تفسيرها، وقد يلخصها بعد تفسيرها إذا طال السياق.**

٤- **عنايته بالتدبر للقرآن وهو التأمل في دلالة الآيات جملةً بقصد الاتعاظ والانتفاع.**

٥- **تركيزه على المعاني والهدايات وإبرازها؛ وهي نتائج التفسير التحليلي.**

٦- **وصفه لتفسيره بما يدل على ذلك، وشهادة العلماء والباحثين له بذلك:**

ومن ذلك ما يلي:

أ- كتب الشيخ في غلاف مقدمة تفسيره «تنبيه: اعلم أن **طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكر ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة**؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنه (مثاني) تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكم

عظيمة، وأمر بتدبره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها»[1].

ب-وقال الشيخ -رحمه الله- عن هدفه بالكتاب: "ولما منَّ الباري علي وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما من به الله علينا، **ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع**، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون **المعنى هو المقصود**، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم، فجزاهم الله عن المسلمين خيرا»[2].

ت-**عنايته بالتدبر للقرآن**، قال -رحمه الله-: «وتضمن ما شرحه الله وفصله من دعائهم بعد قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[غافر: ٧]، التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه: **وأن لا يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه، نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه**، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ.

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.

والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكر في كتابه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٠.

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني. وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحًا، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب ما وفقه الله له **وقد كان في تفسيرنا هذا، كثير من هذا مَنَّ به الله علينا.**

وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببًا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه، والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته، إنه الكريم الوهاب، الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها»[1].

ث-**تلخيصه للآيات بعد تفسيرها**، فقال -رحمه الله-: «وهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا. وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام، وحِكَمِها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما، ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك. وأمره بمراقبة الله، وخوَّفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها. ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك. وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٣٢ .

اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصاً بالحكمة، مشهوراً بها. ولهذا من منة الله عليه وعلى سائر عباده، أن قص عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة»[1].

ج- «وله مكانة مرموقة في علم التفسير إذ قرأ عدة تفاسير وبرع فيه وألف تفسيراً جليلاً، في ثمان مجلدات، فسره بالبديهية من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتاب تفسير ولا غيره. يقرئ تلاميذه في القرآن الكريم ويفسره ارتجالاً، ويستطرد، ويبين من معاني القرآن، وفوائده، ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة، حتى أن سامعه يودّ أن لا يسكت، لفصاحته، وجزالة لفظه، وتوسعه في سياق الأدلة، والقصص»[2].

ح- ويقول عنه تلميذه الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:» فإن تفسير شيخنا عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- تعالى المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة:

منها: سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

ومنها: تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكره.

ومنها: تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قويا تدعو الحاجة إلى ذكره، وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

ومنها: السير على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٤٨.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي، المحقق: عبيد بن علي العبيد، مجلة الجامعة الاسلامية ع١١٢ ص١٥٣-١٥٤.

يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

ومنها: دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم، وهذا يظهر جليا في بعض الآيات؛ كآية الوضوء في سورة المائدة: حيث استنبط منها خمسين حكما، وكما في قصة داود وسليمان في سورة (ص).

ومنها: أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩][1].

خ- وقال تلميذه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل: "جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة، وصاغه على نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد، مستوعب لجميع ما تضمنته الآية من معنى أو حكم سواء من منطوقها أو مفهومها، دون إطالة أو استطراد أو ذكر قصص أو إسرائيليات، أو حكاية أقوال تخرج عن المقصود، أو ذكر أنواع الإعراب إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى، بل يركز على المعنى المقصود من الآية بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي فهو في الحقيقة سهل ممتنع يفهم معناه من مجرد تلاوة لفظه، وقد اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله، واستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية، والفوائد الفقهية إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى التي لا توجد في غير تفسيره مع اهتمامه بتفسير آيات الصفات بمقتضى عقيدة السلف خلافا لما يؤولها بعض المفسرين"[2].

---

(١) تقريظ الكتاب ص١١.

(٢) تقريظ الكتاب ص٩.

د- تركيزه على المعاني والهدايات وإبرازها :(وهي نتائج التفسير التحليلي) فيقول الشيخ د. عبدالرحمن اللويحق - محقق الكتاب-: «جاء شيخ مشايخنا العلامة عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن سعدي -رحمه الله- فجعل جل عنايته بالمعاني التي هي المراد الأعظم، فكان كتابه فتحا في هذا العلم؛ إذ أوقف القارئ على المراد، وأعانه على تدبر التنزيل، دون أن يقف به على المشغلات الصارفات عن ذلك كالبحوث اللغوية الصرفة، والإسرائيليات ونحوها، وليس ذلك عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، وبيان المراد؛ إلا من ملك من علوم الآلة، وسعة الاطلاع على كتب التفسير ما يؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة»[1].

وبعد إلحاقه في التفسير الإجمالي ننبه على قضيتين مهمتين: التكرار والتفصيل أحيانا.

وأما التكرار فلا يخرج التفسير الإجمالي عن الصنعة:

كما قال الشيخ -رحمه الله-: «﴿مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت

(١) مقدمة محقق الكتاب ص١٣.

في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراع لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير»[1].

وخالف الشيخ منهجية التفسير الإجمالي نادراً فيفصل ويذكر الجزئيات بقصدٍ أراده:

مثاله في مُشكل التفسير قال: «**وهذا الموضع من أشكل المواضع عليَّ في التفسير**، فإن ما ذكره كثير من المفسرين من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يُعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإيهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يأباه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وثَمَّ احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس: ٤٢] إن أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَاهم فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون، وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٢٢ .

فلمـا وصلت في الكتابـة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنـى ليس ببعيد من مراد الله تعالـى، وذلـك أن من عرف جلالة كتـاب الله وبيانه التام مـن كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمسـتقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلـى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن. فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سـيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشـراعية منها والنارية، والجوية السـابحة في الجو، كالطيور ونحوهـا، والمراكب البرية مما كانـت الآيـة العظمى فيه لم توجـد إلا في الذرية، نبَّه في الكتـاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقـال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]، أي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسـباب التي علمهم الله بها، من الغرق»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٩٦.

المطلب الثالث

مصطلح التفسير الإجمالي عند الشيخ وفي عصره

أولاً: الذي يظهر -والله أعلم- أن مصطلح التفسير الإجمالي لم يكن مشتهراً زمن المؤلف -رحمه الله- لأمرين:

١- تَعَذُّر أن يكون ظهر المصطلح ولم يعرفه الشيخ، لاسيما إذا قارنّا ذلك بصلته -رحمه الله- ببلاد مصر من خلال المشايخ: محمد رشيد رضا والذي كان يوافيه بالجديد من تفسير المنار[1]، والشيخ حامد الفقي والذي كان يواصله أيضاً ويخدمه بطباعة الكتب والرسائل، وبينهما مراسلات[2].

وصلته ببلاد الشام أيضاً، سواءٌ من خلال رحلته للعلاج، أو من خلال القوافل التي كانت تتاجر من القصيم - وعنيزة بالذات - في أرض الشام ومصر ذلك الزمن، بل والهند أيضاً.

ومتابعة الشيخ -رحمه الله- للجديد في ذلك العصر، حتى رأيناه يكتب رسالة عن المخترعات الحديثة، وموقف المسلم منها.

٢- لم يذكره -رحمه الله- في شيء من مؤلفاته، ولم يرد في مؤلفات من عاصروه مثل الشيخ: محمد رشيد رضا -رحمه الله-، مع أنه هو ما عناه في ذكره لطريقته في تأليف: (تيسير الكريم الرحمن).

ثانياً: أن الشيخ سلك المنهج الإجمالي في تأليفه، في تيسر الكريم الرحمن في التفسير، وفي غيره من شروحه للتوحيد والحديث والفقه، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

---

(١) كما أشارت لذلك مصادر ترجمته، وتشهد المكتبة الوطنية بعنيزة بنسخ تلك الأعداد.

(٢) وقد طبعت أكثر كتب الشيخ بمطابع جماعة أنصار السنة المحمدية، وبإشراف الشخ حامد الفقي رحمهم الله.

ثالثًا: أن منهجية التفسير الإجمالي ومغزاه واضحٌ في رؤية الشيخ ومتصورٌ في ذهنه من خلال ما سبق ذكره في أسباب تصنيفه في التفسير الإجمالي، ومن خلال أربعة أبواب مهمةٍ وهي:

١ - تدبر القرآن طريقٌ لفهمه ومعرفة مقاصده:

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: «إن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب»[١].

وقال -رحمه الله- «قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فأنزله بهذا اللسان لنعقله ونتفهمه، وأمرنا بتدبره، والتفكر فيه، والاستنباط لعلومه، وما ذاك إلا لأن تدبره مفتاح كل خير، محصل للعلوم والأسرار. فلله الحمد والشكر والثناء، الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونورا، وتبصرة وتذكرة، وبركة، وهدى وبشرى للمسلمين.

فإذا علم هذا، علم افتقار كل مكلف لمعرفة معانيه والاهتداء بها. وكان حقيقا بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك»[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: ١٩٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٩-٣٠.

٢- أثر السياق على فهم المعنى:

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- «وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية! بقطع النظر عن المراد.

وكان الذي ينبغي في ذلك: **أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله**، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها.

فمن وفق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورا لا تدخل تحت كسبه»[1].

٣- فهم البعض يدل على الباقي:

ذكر الشيخ في مقدمة طباعته للجزء الخامس (الكهف-النمل) وهو أول ما طُبع منه في زمنه -رحمه الله- فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وأصلي وأسلم على محمد وآله وصحبه، أما بعد فلما كان علم التفسير للقرآن أشرف العلوم على الإطلاق وأهمها وأحقها بتحقيق معانيه وفهم مبانيه، لكونه تنزيلا من حكيم حميد أنزله هدى ورحمة للعباد وتبيانا لكل شيء وتفصيلا

(١) الموضع السابق.

لكل ما يحتاجونه في دينهم ودنياهم وأخراهم، وكان من خاصة علم القرآن أن فهم بعضه وطائفة منه يعين على فهم جميعه، لأن القرآن من أوله إلى آخره يدور على تقرير الأصول النافعة والحقائق والشرائع الكبار والأحكام الحسنة والعقائد الصحيحة، ويوجه العباد إلى كل خير ويحذرهم من كل شر، ويعيد تقرير هذه الأمور ويبديها بأساليب متنوعة وتصاريف مناسبة في غاية اليسر والسهولة والإحكام والحسن الذي لا مزيد عليه. وقد تكرر عليّ السؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه وألحوا لما يرونه من الفائدة الكبيرة..»[1].

وبمثلها علل في تيسير اللطيف المنان: «فالوقوف على تفسير بعض القرآن يعين أعظم عون على معرفة باقية، والله جعله مثاني تثنى فيه العلوم النافعة، والمعاني الجليلة الكاملة، وهذا من تيسيره تعالى لكتابه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر١٧]»[2].

وذكر في مقدمة فتح الرحيم ما نصه: «فإنَّ الإحاطة على جميع الآيات القرآنية ليس من شروط علم التفسير، لأنَّ من خواص تيسير الله لمعاني كتابه أنَّه جعله أصولاً وقواعد وأسسًا، إذا عرف العبد منها موضعًا عرف نظيره ومشابهه ومقاربه في كلِّ المواضع، فمعرفة بعضه يدعو إلى معرفة باقيه. ثم نظرت فإذا علوم التفسير كثيرة جدًا، وفي استيعابها يطول الكتاب جدًا..»[3].

٤- التفسير بحسب المناسبة والحال:

قال -رحمه الله-: «﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٦٨.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص ٣-٨ .

(٣) فتح الرحيم العلام ص١٩.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان٣٢-٣٣]، هذا من جملة مقترحات الكفار الذي توحيه إليهم أنفسهم فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي محذور من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنزلناه متفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتا وخصوصا عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه.

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: مهلناه ودرجناك فيه تدريجا. وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن وبرسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث **جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية.** ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

ولهذا قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: أنزلنا عليك قرآنا جامعا للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظا وأحسن تفسيرا مبين للمعاني بيانا كاملا.

وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدثٍ ومعلمٍ وواعظٍ أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق **فكلما حدث موجب أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ الموافقة لذلك.**

وفيه رد على المتكلفين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيرا من نصوص

القرآن محمولة على غير ظاهرها ولها معان غير ما يفهم منها، فإذا -على قولهم- لا يكون القرآن أحسن تفسيرا من غيره، وإنما التفسير الأحسن -على زعمهم- تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفاً!!»[1].

المطلب الرابع: طريقة الشيخ السعدي في عرض المعاني والهدايات وصياغتها في الكتاب

تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) من التفسير الإجمالي: وهو أن يعمد المفسر إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها.

ويمكن إجمال منهج الشيخ السعدي في (تيسير الكريم الرحمن) في النقاط التالية اختصاراً:

١) يركز على المعنى المقصود من الآية، بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي.

٢) يصوغ المعاني بأسلوب مناسب لأهل عصره، سهل ممتع يُفهم معنى الآيات من مجرد قراءته.

٣) يمتاز بتيسير التفسير؛ دون إطالة، أو استطراد، ودون ذكر قصص، أو إسرائيليات، ودون حكاية أقوال تخرج التفسير عن المقصود.

٤) صاغه على نمط بديعٍ، بعبارات قريبةٍ لا خفاء فيها ولا غموض.

٥) يسهل العبارة، فيجمع بين بيان المعنى المقصود والغوص في أسرار التشريع، بعيداً عن تعقيدات الألفاظ والإسهاب في بيان الأحكام.

٦) اعتمد الشيخ على كتب التفسير الموثوقة اعتماداً كلياً.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٥٨٢-٥٨٣.

٧) يشرح المعاني إجمالا في الغالب، وربما يترك تفسير آياتٍ لظهور معناها، ويهتم بالتعريف وجزالة الألفاظ.

٨) اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله.

٩) اهتمامه بتفسير آيات الصفات بمقتضى عقيدة السلف، بعباراتٍ سهلةٍ وميسرةٍ للفهم.

١٠) يعتني باستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية غالباً. وله استنباطات وتوجيهات يستقل بها.

١١) يستوعب ما تضمنته الآية من معنى أو حكم سواء من منطوقها أو مفهومها، مع التنبيه على فقه الآية في شتى علوم الشرع.

١٢) يعرض الحكم الراجح بدليله، وهذا ما يحتاجه كثير من المسلمين.

١٣) يذكر أنواع الإعراب والقراءات إذا توقف عليها بيان المعنى فقط. ولا يذكرها إذا لم يترتب عليها فهم المعنى، أو كانت شاذةً.

١٤) أبدع في عرض قصص الأنبياء واستنباط الفوائد منها، وما يحتاجه المسلم مما يقوي إيمانه ويربطه بخالقه، وهذا المسلك قلَّ من اعتنى به من المفسرين السابقين.

١٥) يعتنى بمعاني أسماء الله الحسنى، ومناسبة التذييل بها، وكان يشير إلى ذلك كثيراً، ويربط الآية بما ختمت به من أسماء الله.

١٦) يحرص على بيان المعنى العام الإجمالي للآيات بأسلوب واضح سهل مأخوذ من الآيات نفسها.

١٧) سجل في تفسيره ما ظهر له من ترجيحات في تطبيق بعض النصوص القرآنية على النوازل.

١٨) يعتنى بأمر الدعوة وأساليبها، ويبيِّن ما ينبغي أن يكون عليه الداعية.

١٩) يذكر بعض الضوابط والقواعد والأصول التي ينبغي أن يعتني بها من يفسر القرآن.

٢٠) اعتنى بمباحث علوم القرآن، وبيَّنها أتم بيان، بأسلوب واضح، بعيداً عن الخلافات الجانبية، فجاءت متممة لتفسيره ومكملة له.

هذه أبرز ملامح التفسير الإجمالي عند الشيخ في تيسير الكريم الرحمن.

ولذا يقول عنه الشيخ أ.د. عبدالله الطيَّار: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان: وهو تفسير عظيم، لا يستغني عنه طالب علم، لأنه سهل العبارة، يجمع بين بيان المعنى المقصود والغوص في أسرار التشريع بعيداً عن تعقيدات الألفاظ والإسهاب في بيان الأحكام» ثم فصّل بعض منهجية الشيخ السعدي في تفسيره مبرزاً مزاياه باختصار[1].

(١) أثر علامة القصيم عبد الرحمن السعدي على الحركة العلمية المعاصرة، تأليف أ.د. عبدالله بن محمد الطيار ص١٣.

المطلب الخامس: من تأثر بهم الشيخ من علماء الإسلام في أسلوب التفسير الإجمالي:

من خلال البحث والتتبع لم أجد من بيَّن صفة تأثر الشيخ -رحمه الله- بدرس التفسير، سوى نتفٍ في وصف درسه للطلاب، وهي لا تعطي إجابةً واضحةً وشافيةً عن طريقة تلقيه هذه المنهجية المحددة في التفسير، والتي صار لها أثرٌ ظاهرٌ في قبول تفسيره في زمنه وإلى اليوم.

ومع الثراء في علومه ومعارفه -رحمه الله-، والتنوع في مشايخه ومصادر تعليمهم، وبروز الشيخ ونبوغه العلمي والذهني، ومعايشته لمجتمعه وأحداث عصره، وانفتاحه على مصادر المعرفة، إلا أني لم أجد من ذكر تأثره بطريقة التدريس سوى نص الشيخ البسام في علماء نجد، وسيأتي ذكره، أما طريقة التأليف فكل من وصف تأليفه أجاد وأثنى؛ ولم يذكروا عمن أخذ تلك الطريقة الإجمالية الموضوعية في تيسير العلوم وتنويع طرحها.

ولا يبعد أن يكون ذلك مما تحصَّل عنده من مجموع الأمرين:

طريقة مشايخه جميعاً؛ فأخذ من كلٍّ منهم ما تميز به.

وما فتح الله عليه باجتهاده وممارسته للتدريس والكتابة.

وسبب هذا القول النظر في الأمور التالية:

أولاً: صرح بالنقل والتأثر بالإمام ابن القيم، ولا يخرج عن اختيارات الإمام ابن تيمية غالباً:

كتب الشيخ في مقدمته فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن، من بدائع الفوائد لابن القيم -رحمه الله- تعالى، وختم تفسيره بفصل في تفسير أسماء الله الحسنى، وهو شرح طيب واضح ونافع.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد، والتفسير، ولغته، وغيرها من العلوم النافعة. وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما تَرَجّح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب.

وإن لم نجد تصريحاً من الشيخ في استفادته وتأثره المباشر في التفسير من هذين الإمامين، إلاّ أن المتتبع لتفاسيره يجد ذلك واضحاً، بل ربما نقل نص كلام أحدهما في المسألة[1]، وأحياناً بمعناه[2]. وأحياناً يحيل على أحدهما في المسألة[3]. ونجد غالب تأثره فيهما في الاختيار والترجيح والتوجيه، شأن ذلك شأن بقية مؤلفاته.

ومن أبرز كتب السعدي التي تدل على عنايته بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثره به: (**طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول**):

---

(١) كما في تيسر الكريم الرحمن ص٣١-٣٤ فقد نقل فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن من بدائع الفوائد لابن القيم -رحمه الله-، وفي ص١١١ نقل نكتة لطيفة عن ابن القيم في مناظرة إبراهيم عليه السلام، وفي ص١٢٧ نقل في الهامش كلاماً لابن تيمية من المنهاج، وص١٣٨ نقل كلاماً لابن القيم عن حج البيت، وفي ص١٦٨ نقل عنه أيضاً من جلاء الأفهام تأملاً في آية المواريث، وفي ص١٩٣ نقل عنه من المدارج، وص٧٩٥ نقل عنه قصة الحديبية.

(٢) أشار في تيسر الكريم الرحمن ص١٧٩ إلى استفادته من تنبيه ابن القيم، وفي ص٢٤٦ أشار إلى اختيار ابن تيمية.

(٣) مثال قوله في فتح الرحيم ص٩٢» وإذا أردت تفصيل هذه الجملة العظيمة فاقرأ كتاب العقل والنقل لشيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية، وكيف برهن بالبراهين العقلية على ضعف عقول القادحين في شيء من هذا الدين».

إذ انتقاه من أكثر من ستين كتاباً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب تلميذه ابن القيم، التي وقعت بين يديه، وقد سهَّل ابن سعدي بهذا الكتاب الاستفادة من كتب الشيخين، فأبرز زبدتها، ووضعها بين يدي القارئ بهذا الجزء المختصر.

وقال آخر هذا الكتاب: «... وقد نافت ولله الحمد على الألف[1]. ما بين أصل، وقاعدة وضابط جامع، وتعريف مهم، وفائدة ضرورية، وترغيب في كمال، وتحذير من نقص، وتوجيه إلى المنافع الظاهرة والباطنة، وترهيب من المضار الدينية والدنيوية، ومَخْبَرُه يعني عن وصفه ...

وجملة ذلك أن هذا المجموع قد انتقيته بعد التروِّي الكثير وكثرة التأمل والتفكير في جميع الكتب الموجودة من كتب الشيخين، فتضمّن صفوتها، واحتوى على جواهرها وغررها، والحمد لله، والفضل لله ...»[2].

ثانيا: تلقى الشيخ تعليمه على عدد من العلماء، من أبرزهم:

١. الشيخ عبدالله بن عايض (١٢٤٩-١٣٢٢هـ) -رحمه الله-، وكان قد طلب العلم في الحجاز ومصر.
٢. الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر (١٢٤١-١٣٣٨هـ) -رحمه الله-، الذي طلب العلم في الشام، ورحل إلى العراق، وأقام بها بضع سنين.
٣. الشيخ صعب بن عبدالله التويجري (١٢٥٣-١٣٣٩هـ) -رحمه الله-، إمام الجامع في البكيرية، قرأ على علماء القصيم والرياض ثم استقر في عنيزة.
٤. الشيخ محمد بن عبدالكريم الشبل. (١٢٥٧-١٣٤٣هـ) -رحمه الله-، وكان قد رحل إلى الحجاز ومصر والعراق والشام لطلب العلم.

---

(١) عددها بالتحديد (١٠١٥) ما بين قاعدة وأصل وضابط.

(٢) طريق الوصول ص٣١٨.

٥. الشيخ صالح بن عثمان القاضي (١٢٨٢-١٣٥١هـ) -رحمه الله-، الذي طلب العلم في مصر والحجاز سبع عشرة سنة.. وقد لازمه ملازمة تامة إلى أن توفي -رحمه الله-.

٦. الشيخ محمد الأمين بن عدي الشنقيطي (١٢٨٩-١٣٥١هـ) -رحمه الله-، الذي طوَّف البلاد الإسلامية، وجاهد الإنكليز في البصرة، وأقام في عنيزة أربع سنين.

٧. الشيخ علي بن ناصر أبو وادي (١٢٧٣-١٣٦١هـ) -رحمه الله-، الذي درس على علماء الدعوة، ثم طلب علم الحديث في الهند، ورجع بإجازات في كتب السنة، وأجاز رهطاً من أهل بلده، منهم الشيخ السعدي.

٨. الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد المانع (١٣٠٠-١٣٨٥هـ) -رحمه الله-، وكان درس بالعراق والشام وغيرها، ثم صار مدير المعارف في المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت - وقد قرأ عليه في عنيزة.

اجتمع في هؤلاء الشيوخ تنوع مصادر التلقي، حيث طلبوا العلم في مختلف البلاد، فهيأ الله له بهذا فوائد الرحلة من غير أن يرحل.

ثالثا: إحدى طريقه في التدريس التي أخذها عن شيخه:

يقول الشيخ البسام: "طريقته في التدريس طريقة فريدة مفيدة، أخذها عن شيخه محمد أمين الشنقيطي.

فكان يقرأ العبارة، ثم يوضح معناها توضيحاً تاماً، ثم يصورها، ويذكر دليلها، وحكمة التشريع منها، فإن كان يراها أقرَّها. وإن كان يرى القول الآخر أصح منها ذكر القول الثاني بنفس الطريقة، ثم أخذ في نصر القول الذي يراه وبيان أدلته، وتوهين القول الذي لايراه، حتى يقنع الطالب بما يراه.

كل هذا بأسلوب واضح، وترتيب مستقيم، بحيث إن تفهيمه لا ينخفض

عن مستوى الطالب المدرك، ولا يرتفع عن مستوى الطالب المبتدئ، فالكل منه يستفيد، هذه طريقته في درسه.

أما كلامه على النصوص الكريمة سواء في التفسير، أو في الحديث، فأمر عجب، فإنه يستنبط منها من الأحكام والفوائد ما لا يتصوره طالب"[1].

رابعا: مراسلاته لعلماء عصره:

"ومع هذا فقد كاتب علماء الأمصار ومفكري الآفاق في جديد المسائل وعويصات الأمور؛ حتى صار لديه محاولة لتطبيق بعض النصوص الكريمة على بعض مخترعات ومكتشفات هذا العصر وحوادثه، مما يظهر أسرار الشريعة واتصالها بما يجد في العصر الحديث، وهذه بعض همته وعزيمته في اكتساب العلوم وتحصيها"[2].

خامسا: متابعته للمجلات العلمية في زمنه:

« كان حريصاً على قراءة مجلة المنار، التي يصدرها الشيخ (محمد رشيد رضا) (١٢٨٢-١٣٥٤هـ) -رحمه الله-، في القاهرة، ويراسل صاحبها..

ومجلة (الفتح) التي يصدرها الشيخ (محب الدين الخطيب) (١٣٠٣-١٣٨٩هـ) -رحمه الله-، في القاهرة»[3].

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون:٣/ ٢٢٣- ٢٢٤.

(٢)() علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٣/ ٢٢٠- ٢٢١.

(٣) الشيخ عبدالرحمن السعدي وأثره في المجتمع مواقف تستحق التأمل، د. فريد بن عبدالعزيز الزامل السليم- عنيزة، مقال منشور بجريدة الجزيرة - السعودية، العدد ٤٧٦و ٤٧٧، http: //www. al-jazirah.com /culture

المطلب السادس

أثر المنهجية العلمية الإجمالية في كتابات الشيخ الأخرى

لقد برز المنهج الإجمالي في كتابات الشيخ كلها، ولعل إلماحة سريعة في مصنفاته حسب أنواع العلوم تعطينا برهان ذلك، ونوجزها في المسائل التالية[1]:

المسألة الأولى: منهجه الإجمالي في مؤلفات العقيدة[2]:

فنجد الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- يسلك مسلك الإجمال والإيجاز في مؤلفاته في أبواب ومسائل العقيدة، حيث يوجز الموضوع الواحد في مكان واحد، ويحاول عرضها بأسلوب إجمالي ميسّر على القارئ، لكنه قد جمع لُبَّ المسألة، وبرع في اختصارها، وجمع أطرافها من خلال الأدلة، بل أشهر وأظهر أدلتها-متجنباً المقارنة ظاهراً-وإن كان في صياغته ما يفيد الرد على المخالف، أو ذكر الخلاف.

وهو في عبارته واختياره للألفاظ ينبئ عن الخلاف، وعن درجته قوة وضعفاً، مع أدبٍ جمٍ في التعبير عن الخلاف والمخالف. ويحرص على أسلوب القوة في الاستدلال، وربط المسألة بأدلتها، من غير مجاملة أو مداهنة، أو تنازل عن أسس

(١) للمزيد يمكن مراجعة بحث: منهجية الشيخ ابن سعدي في التفسير الموضوعي- مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - واقع وآفاق جامعة الشارقة ١١-١٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦/ ٤/ ٢٠١٠ وهذا المطلب يشبه البحث هناك.

(٢) ومن أشهرها باختصار حسب حروف المعجم: الأدلة والقواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، انتصار الحق، توضيح الكافية الشافية، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، القول السديد في مقاصد التوحيد. وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى عند السعدي، د.عبيد العبيد، ١٥٤-١٥٦.

العقيدة ومبادئها، أو معالمها، أو منهجية السلف.

المسألة الثانية: منهجه الإجمالي في مؤلفات الفقه وأصوله[1]:

وسلك مسلك الإجمال والإيجاز في علوم الفقه وأصوله، وكان لذلك تأثيرا بالغاً، إذ أخرج طلاب العلم في عصره عن المألوف، إلى تأليف الجديد فيها على طريقة ذات صبغة إجمالية موجزة، وقد أفادت تلك الكتب والرسائل منذ تأليفها حتى يومنا هذا طلاب العلم. وندر أن لا تجد أحد تلك المؤلفات يُشرح في دورة علمية، أو برنامج علمي، أو معهد شرعي. وذلك لإيجازها غير المخل، وإجمالها في الفنِّ مع قوة أدلتها، وربطها بالكتاب والسنة، حتى لكأنك ببعض الأسطر كاملة هي عبارات النصوص الشرعية-إنَّما نظمها ببعضها-أو قواعد وأصول جعلها كأنها شرح للمسألة، وقد تضمنت تلك العبارة أو الأسطر ما لو شرح في مجلد لما كفاه.

ولقد تفنَّن -رحمه الله- في ذلك، فمع تأليفه لمنهج السالكين في الفقه؛ لم يثنه ذلك أن يؤلف ما هو أصغر منه بكثير، ويجمع فيه أبواب الفقه كلها مع الأخلاق والآداب، ولا يتجاوز الكتاب مائة وخمسين صفحة[2].

وهكذا الشأن في أصول الفقه وقواعده، فمع نظمه لها؛ ألف رسالة مستقلة في القواعد الفقهية، وسهّلها على الناس، حتى يشعر الطالب وكأن تلك القواعد أمر

(١) ومن أشهرها باختصار حسب حروف المعجم: الإرشاد إلى معرفة الأحكام، الجمع بين الإنصاف ونظم ابن عبدالقوي، حكم شرب الدخان، رسالة في القواعد الفقهية، رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة، الفتاوى السعدية، القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، المختارات الجلية من المسائل الفقهية، منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، المناظرات الفقهية، منظومة في أحكام الفقه. وانظر: المصدر السابق، ١٥٤-١٥٦.

(٢) كما في: نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب. ألفه قبل وفاته بعامين، ط١٤٢٠هـ.

سهل المرتقى، فإذا بالشيخ يرتقي به ليصل العُلا.

المسألة الثالثة: منهجه الإجمالي في شرح الأحاديث:

لم أقف له إلا على كتاب واحد خاص في خدمة السنة، لكن كتبه الأخرى وتفاسيره مليئة بالإشارة إلى الأحاديث والكلام عن فوائدها ومراميها، أما كتابه الخاص بالسنة؛ فهو: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. وقد طبع في حياته الطبعة الأولى، في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، سنة ١٣٧٢هـ.

ومن تأمل هذا الكتاب على اختصاره ووضوحه رآه مشتملاً على جميع العلوم النافعة؛ على علم التوحيد، والأصول، والعقائد، وعلم السير والسلوك إلى الله، وعلم الأخلاق والآداب الدينية والدنيوية والطبية، وعلم الفقه والأحكام في كل أبواب الفقه من عبادات ومعاملات وأنكحة وغيرها، وكلها مأخوذة ومستقاة من كلماته صلوات وسلامه عليه، حيث اختار فيه شرح تسعة وتسعين حديثاً من جوامع كلام النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومن خلاله تظهر منهجية الإجمال التي اتبعها الشيخ في جمع المسائل وربطها مع العمق والإيجاز، ومناسبته لأهل عصره ومن بعدهم، وكيف يسر فيه الشيخ المعاني التي احتوتها الموسوعات التي تناولت تلك الأحاديث بالشرح والبيان والتفصيل، حتى صار شرحه مفتاحاً لها، وبوابة يلج منها طالب العلم إلى بوابة السنة النبوية. فسبحان من هداه وعلمه.

المسألة الرابعة: منهجه الإجمالي في مؤلفاته العامة[1]:

إنَّ مؤلفات الشيخ الكثيرة اعتنت بالدعوة إلى الله، وذكرت أفضل السبل في ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وإذا كان للسعدي -رحمه الله- ميزة على أقرانه ومعاصريه في قضايا الدعوة إلى الله؛ فهي أنه فهم النصوص الشرعية وفهم الواقع الذي يعيشه، فجمع بين فقه النص وفقه الواقع، وهذا ما جعل قدمه راسخة في هذا المجال.

وقد أبدع الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في عرض قضايا الدعوة بإجمالٍ سهلٍ ممتعٍ، فتعرَّض لإصلاح مناهج التعليم، وتعرَّض لتصحيح بعض المفاهيم، وتعرَّض للردِّ للرد على الملحدين ودعواهم حول الحرية من تعاليم الإسلام، وأكد على أهمِّية أن يتولى المناصب القيادية في أي مصلحة خاصة أو عامة أهل الخير والصلاح والإصلاح من الدعاة والمعلِّمين والموجهين، وشنع على أولئك النفعيِّين الذين يهتمُّون بمصالحهم الذاتية وينسون أو يتناسون قضايا الأمة ومصالحها العليا. لقد كان ابن سعدي موفقاً في معالجته لقضايا الدعوة، وذلك أنه داعية من الرعيل الأول، إذ نزل الميدان، وجرَّب، ومارس، وتعامل مع الناس، فأخذ يكتب عن تجارب واقعية صادقة.

---

(١) ومن أشهرها باختصار حسب حروف المعجم: التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، الجهاد في سبيل الله، أو واجب المسلمين وما فرضه الله عليهم في كتابه نحو دينهم وهيئتهم الاجتماعية، الدرة المختصرة في محاسن دين الإسلام، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، الخطب المنبرية على المناسبات، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة، مجموع الخطب في المواضيع النافعة، مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة. وانظر تفسير أسماء الله الحسنى عند السعدي، د.عبيد العبيد، ١٥٤-١٥٦.

ومع ذلك فتميزت مؤلفاته عامة باتباع الأسلوب الإجمالي والموضوعي، الذي يقوم على الاختصار، وحسن التوصيف، مع قوة الاحتجاج، ومتانة الاستدلال، بعيداً عن أسلوب الاستطراد، أو التفصيل الذي قد لا يناسب كل المخاطبين، أو الإغراق في المناقشات.

وظهرت نتائج تلك المنهجية الإجمالية التي سلكها في التفسير وغيره، وأبرزها:

١) أشبع ما تطرق له:

«أشبع الموضوعات التي تطرق لها، واستطاع أن يصل على قلب وعقل قارئه بأيسر السبل وأسهل الطرق. وقد كانت الكتابة سهلة عليه، حيث كان في المجلس الواحد يملي رسالة مستقلة. كما وردت إليه الأسئلة العديدة، فأجاب عليها بالأجوبة السديدة، وكان حاضر الجواب، سريع الكتابة، بديع التحرر، سديد البحث. وقد بارك الله في أوقاته، فالَّف وخطب ونصح وساهم في حلِّ مشاكل الناس، وكان لا ينقطع عن زيارتهم في بيوتهم، ومشاركتهم في مجتمعاتهم، فأعطى كل ذي حق حقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[1].

٢) حماسه في نشر العلم:

وكان غاية قصده من التصنيف هو نشر العلم والدعوة إلى الحق، ولهذا يؤلف ويكتب ويطبع ما يقدر عليه من مؤلفاته، لا ينال منها عرضاً زائلاً، أو يستفيد منها عرض الدنيا، بل يوزعها مجاناً ليعم النفع بها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ووفقنا الله إلى ما فيه رضاه.

٣) توقفه عن الاعتماد على الإسرائيليات:

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله-: «واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم

---

(١) علماء نجد (٢/ ٤٢٤).

الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله -صلى الله عليه وسلم-: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»!.

والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وذلك أن مرتبتها كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق»[1].

وقال: «واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٥٥-٥٦.

يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحا قال لهم: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[هود: ٦٥]، أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم احمرار وجوههم، واصفرارها واسودادها من العذاب.

هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟ . فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما لا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: ٧] وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما»[1].

٤) توقفه عن الأخبار التي لا مستند لها:

قال: «فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير. والله أعلم»[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٠٥.

الخاتمة

يعدُّ تفسير السعدي من التفسير الإجمالي: وهو أن يعمد المفسر إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها ولذلك جاء الكتاب مختصراً، وللشيخ استنباطات وتوجيهات يستقل بها كغيره من أهل العلم، ومن أسلوب السعدي في هذا التفسير أنه يشرح المعاني إجمالا في الغالب، وربما يترك آيات لظهور معناها، فهو يمتاز بتيسير التفسير وسهولة العبارة والفهم، ويهتم بالتعريف وجزالة الألفاظ، ويناقش المسائل الفقهية بلا إطناب والتنبيه على فقه الآية في شتى علوم الشرع.

النتائج، وتتضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: برزت أهمية التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ ورؤيته، في النقاط التالية:

- التفسير الإجمالي يتعامل مع الأهداف والمفاهيم القرآنية الكلية.
- أن الجديد في التفسير الإجمالي عرض المعاني والهدايات بأسلوب التعبير عن التفسير، من حيث سهولة عبارته وسلاستها.
- يركز الكلام حول مدلول الآية للاهتداء بها والسير على منهاجها، دون الغوص في المجالات التحليلية.

المسألة الثانية: ضوابط التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ:

أولاً: حسن صياغة التعبير عن التفسير بعبارات فصيحة وسهلة الفهم في عصر كتابتها، مع قوة دلالتها وتأثيرها في القارئ والسامع لها.

ثانيًا: يفسر كل مقطع تفسيراً إجماليًا، ويراعى فيه الأسلوب الأمثل في تفسير القرآن وهو:

أ - تفسير القرآن بالقرآن والإشارة إلى الآيات التي لها علاقة مباشرة بالمقطع سواءً بذكرها، أو ربط المعنى بها.

ب- تفسير المقطع بالأحاديث النبوية الشريفة التي تلقي ضوءاً على المعنى، سواءً بذكرها، أو ربط المعنى بها.

ج- في المعاني يلتزم قول السلف، وغالب معانيه من نصوص أئمة التفسير، على سبيل المثال: الطبري، والقصاب، والبغوي، وابن كثير، أو: قول أئمة المذاهب الأربعة، وابن تيمية وابن القيم.

د- يجتنب الخوض في القضايا اللغوية والبلاغية والقراءات والأحكام، وإن كانت تظهر آثارها واعتبارها في المعاني التي يوردها للآية؛ كالقراءات المتواترة ووجه الإعراب والتصريف؛ التي لها تأثير في بيان معنى الآيات.

هـ - عند تكرار الموضوعات في بعض مقاطع السور كالقصص وغيرها يفسر كل مقطعٍ في موضعه بما يتناسب مع محور السورة التي ذُكر فيها، وهدف السورة العام، ومراعاة الإيجاز أو الإطناب فيها.

ثالثًا: في قضايا ومسائل الأحكام:

١. في القضايا العقدية يلتزم رأي السلف، وإن كان هناك إجماع على التأويل يورد ذلك.

٢. في القضايا الفقهية: يكتفى بالرأي الراجح الذي يراه من أقوال الأئمة الأربعة والمجتهدين، وقد يشير لأدلة ترجيح هذا القول دون توسع.

رابعًا: وفي مجال النتائج والنوازل:

أ- يربط بين هدايات الآيات وواقع الأمة.

ب-يرد على الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم والإسلام.

ج-يبرز عظمة الشريعة الإسلامية، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، كل ذلك عند ورود مناسباتها في تفسير الآيات المتعلقة بذلك.

د- يقتصر على الحقائق العلمية عند تفسير الآيات الكونية والطبية، ويتجنب النظريات العلمية.

المسألة الثالثة: أساليب التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ وغيره:

ظهر لي بالبحث والتتبع أن أسلوب الشيخ في التفسير الإجمالي متفقٌ عموماً في ثنايا (تيسير الكريم الرحمن).

ولكن ثمة أساليب أخرى للتفسير الإجمالي تختلف بحسب منهجية من كتبوا في هذا الأسلوب من التفسير:

فمنهجية التفسير الميسر (مجمع الملك فهد) اقتصرت على أقل ما يمكن من بيان المعنى، ولذا صار التفسير كالمتن الذي يحتاج لبسطٍ وتوسعٍ أكثر للناس، وسبب ذلك أنهم كتبوه مراعاة للترجمة إلى اللغات الأخرى.

ومنهجية المفسرين الذين حوى تفسيرهم - تفسيراً إجمالياً- كالجزائري -رحمه الله-: اعتمدت على بيان دلالة الآية أو الآيات على المعنى العام، اكتفاءً بما ذكروه تحت الغريب والفوائد، فاقتصروا في الإجمالي على المعنى العام دون الربط بما اختصت به ألفاظ الآية وأفادته من معاني في ذهن القارئ والسامع.

وبين هذا وذاك أثَّرت العلوم في بعض تلك التفاسير، إما ميلاً إلى اللغة والبلاغة، أو إلى الجانب الاجتماعي ومعالجة الواقع، أو غير ذلك.

التوصيات:

١ - (تيسير الكريم الرحمن) من أفضل كتب التفسير الإجمالي؛ ومن أجل هذا أشير على كل مسلم يرغب النظر في معاني كلام الله أن لا يخلو بيته من هذا

التفسير القيِّم[1].

٢- (تيسير الكريم الرحمن) من التفاسير المختصرة ولذا ينصح بقراءته للمبتدئين والعامة، لسهولة عبارته وإيجازه، مع وفائه وشموله لدلالة الآيات، وما ضمَّنه مؤلفه من معانٍ وهدايات.

٣- استقراء بقية كتب التفسير الإجمالي للخروج بمنهجية علميّة، محددة المعالم والخطوات؛ لمن يرغب في الكتابة في هذا النوع من التفسير، ولضبط وتقويم الكتابات المعاصرة في ذلك.

٤- دراسة أثر منهجية التفسير الإجمالي التي سلكها الشيخ السعدي عند ترجمته إلى اللغات الأخرى.

(١) كما نص على ذلك تلميذه الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمهم الله في تقديمه لطبعة الكتاب.

فهرس المصادر

١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ٥/ ٨/ ١٤٠٦، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢- أثر علامة القصيم عبد الرحمن السعدي على الحركة العلمية المعاصرة، تأليف أ.د. عبدالله بن محمد الطيار.

٣- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٢٠ هـ.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٥- تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي، المحقق: عبيد بن علي العبيد، مجلة الجامعة الاسلامية ع١١٢ ص١٥٣-١٥٤.

٦- التفسير الموضوعي، للدكتور أحمد الكومي، مذكرة مقررة على طلاب كلية أصول الدين.

٧- التفسير الموضوعي، د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري، مجلة البيان ع ٦٤ ص٧.

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٩- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، محقق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

١١- الشيخ عبدالرحمن السعدي وأثره في المجتمع مواقف تستحق التأمل، د. فريد بن عبدالعزيز الزامل السليم- عنيزة، مقال منشور بجريدة الجزيرة-السعودية، العدد ٤٧٦و ٤٧٧، http: //www.al-jazirah.com /culture

١٢- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي مُفَسِراً، د. عبدالله بن سابح بن صالح الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

١٣- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح آل بسام، دار العاصمة سنة النشر: ١٤١٩.

١٤- فتح الرحيم الملك العلام، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط٣، ١٤٢٤هـ.

١٥- فصول في أصول التفسير، أ. د مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٣.

١٦- لسان العرب، محمد مكرم منظور، دار الصادر، بيروت، ط١.

١٧- مشكلة المصطلحات في الدراسات القرآنية .. التفسير الموضوعي وإخوانه أنموذجًا، (مقالٌ علمي) أ.د. مساعد الطيار Jun٠٤ ٢٠٠٦ـ ملتقى أهل التفسير.

١٨- منهجية الشيخ ابن سعدي في التفسير الموضوعي- مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، واقع وآفاق جامعة الشارقة ١١-١٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦/ ٤/ ٢٠١٠

١٩- الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر عام النشر: ١٤٢٣هـ.

٢٠- نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب. ألفه قبل وفاته بعامين، ط ١٤٢٠هـ.

تنوّع معارف المفسّر وأثر ذلك على تفسيره

العلامة السعدي نموذجًا

د. ضيف الله بن محمد الشمراني

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة المحمدية أن جعل في كل قرن منها علماء عاملين، ودعاة مهتدين، يبصّرون عباد الله بتعاليم هذا الدين الحنيف، ويبينون لهم ألفاظ وحي الله ومعانيه، أداء للأمانة التي حُمِّلوها، وحرصًا على هداية الناس، وإقامة للحجة على الخلق.

وقد رُزِق أهل هذا العصر الحديث بعلماء في مختلف الأقطار الإسلامية كانوا أعلام هدى ومصابيح دجى، عمّ الانتفاع بهم، وكثرت الاستفادة من علومهم، فشمل ذلك العام والخاص، والعربي والعجمي، والصغير والكبير، والذكر والأنثى؛ لما فتح الله عليهم من غزارة العلوم، وسعة الفهوم، وصدق النوايا، ونقاء السرائر، وصالح الأخلاق، وجميل الشمائل.

ومن أبرز من كان له أثر كبير في النهضة العلمية والإصلاح الديني والاجتماعي في بلادنا -المملكة العربية السعودية- خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة: فضيلة الشيخ العلّامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- فقد كان له أثر بالغ محمود على الجيل الذي عاصره في حياته، وكذا استمر أثره بعد مماته، من خلال تلاميذه النجباء الأوفياء، وكتبه التي سارت بها الركبان.

وقد سنح بخلدي أن أساهم ببحث وجيز يبرز جانبًا من التميز في علم الشيخ، من خلال تخصصي في التفسير وعلوم القرآن، واخترتُ أن يكون عنوان هذه الكتابة:

(تنوع معارف المفسر وأثر ذلك على تفسيره - العلامة السعدي نموذجًا).

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه

وقارئه، والحمد لله رب العالمين.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع من خلال الآتي:

أولا: تعلقه ببيان العلوم المهمة اللازمة لمن يتصدّى لتفسير القرآن الكريم.

ثانيًا: إبرازه لمنزلة العلّامة السعدي العلمية التي أهّلته للتصنيف في التفسير.

ثالثًا: بيانه لأثر سعة علوم المفسِّر وتنوّع معارفه على جودة فهمه للقرآن، ودقة تفسيره لآياته.

أسباب اختيار الموضوع:

١. تعلقه بتخصص الباحث، مع ما سبق بيانه في أهمية الموضوع.

٢. الرغبة في خدمة علوم الشيخ السعدي، بإظهار بعض كنوزها، وكشف شيء من مخبآتها.

٣. لفت أنظار طلبة العلم إلى تصانيف الشيخ السعدي عامة، وما كتبه في علوم القرآن خاصة، ففيها من التقعيد والتأصيل والاستنباط والفوائد ما لا يوجد في غيرها.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، على التفصيل الآتي:

- المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطّة البحث، ومنهج البحث.
- التمهيد، وفيه: بيان حاجة المفسِّر إلى تنوع المعارف.
- صُلب الموضوع، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معرفة الشيخ السعدي بعلوم المقاصد، وأثر ذلك على تفسيره، وتحته تمهيد وستة مطالب:

التمهيد: في بيان انقسام العلوم إلى مقاصد ووسائل.

المطلب الأول: معرفته بعلم التفسير، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثاني: معرفته بعلم الحديث، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثالث: معرفته بعلم العقيدة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الرابع: معرفته بعلم الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الخامس: معرفته بعلم السيرة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب السادس: معرفته بعلم السلوك، وأثر ذلك على تفسيره.

المبحث الثاني: معرفة الشيخ السعدي بعلوم الآلة، وأثر ذلك على تفسيره، وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: معرفته بعلم أصول التفسير، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثاني: معرفته بعلم النحو، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثالث: معرفته بعلم أصول الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الرابع: معرفته بعلم القواعد الفقهية، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الخامس: معرفته بعلم مقاصد الشريعة، وأثر ذلك على تفسيره.

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس: وتتضمن فهرسًا للمصادر، وآخر للموضوعات.

منهج البحث:

١. الاعتماد على أصح طبعات كتب الشيخ السعدي.

٢. الاستفادة من كل كتب الشيخ السعدي المتعلقة بالتفسير، وعدم الاقتصار على تيسير الكريم الرحمن الذي ينصرف إليه الذهن عادة عند إطلاق تفسير

السعدي.

٣. الاستشهاد بنص كلام الشيخ السعدي في بيان مطالب البحث -ولو طال النقل- لكون ذلك أعظم أثرًا وأقوم طريقًا في بيان المقصود.

٤. عزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية في المتن.

٥. توثيق المعلومات من مصادرها الأصيلة.

التمهيد

العلوم الإسلامية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية أو خادمة لهما مُعينة على فهمهما، ومن ثَمَّ اشتدت حاجة طالب العلم الشرعي إلى الأخذ من كل علم من العلوم النافعة المعينة على فهم الشريعة بطرف صالح يمكّنه من المشاركة في الفهم والمناقشة والترجيح بين مختلف الأقوال، وييسر له مراجعة كتب العلماء المتقدمين وفهم عباراتهم واصطلاحاتهم.

أوصى خالد بن يحيى بن برمك ابنَه، فقال: «يا بُنَي: خُذ من كل علم بحظ؛ فإنك إن لم تَعلم جهلتَ، وإن جهلتَ شيئًا من العلم عاديتَه، وعزيزٌ عليَّ أن تُعاديَ شيئًا من العلم»[1].

وقال أبو حامد الغزالي في سياق ذكره آداب المتعلم: «ألا يَدَع طالب العلوم فنّاً من العلوم المحمودة ولا نوعًا من أنواعها إلا وينظر فيه، نظرًا يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه، وتطرّف من البقية؛ فإن العلوم متعاونة، وبعضها مرتبط بالبعض»[2].

وقال الراغب الأصفهاني: «لا ينبغي لعاقل أن يستهين بشيء من العلوم، بل يجب أن يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه، ومنزلته التي يستوجبها»[3].

والمتخصص في التفسير أعظم حاجة من غيره إلى تنوع المعارف وتعدد الفنون؛ لما يتميز به علم التفسير من سعة كبيرة جدّاً لا توجد في غيره من العلوم الإسلامية، فموضوع علم التفسير كتاب الله تعالى، وهذا الكتاب العظيم جعله الله

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: (رقم: ٨٥٣).

(٢) إحياء علوم الدين: (١/ ٢٩١).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: (ص: ٢٧١).

تبيانًا لكل شـيء، فمتعلقات آيات القرآن الكريم تحوي أنواع العلوم المختلفة، ولا يتأتى لطالب التفسير الفهم الدقيق في القرآن إلا بمشاركة حسنة في العلوم والمعارف التي تتعلق بها آيات القرآن.

قال ابن عطية: «كتاب الله تعالى لا يتفسَّر إلا بتصريف جميع العلوم فيه»[1].

وقال محمد الأمين الشـنقيطي: «في القرآن كل شيء، والناس إنما يأخذون منه بقدر اسـتعداد أذهانهم، كلٌّ يغرف بحسب فهمه، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي جحيفة أنه لما سـأل عليـاً -رضي الله عنه-: (هل خصكم رسـول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في كتاب الله). فقول علي -رضي الله عنه- يُفهَم منه: أن من أعطاه الله فهمًا في كتاب الله يُخَصُّ بخصائص من العلوم لم يُخَصَّ بها غيره، وما ذلك إلا أن القرآن جمع كل شـيء، منه ما يطّلع عليه الراسـخون في العلم، ومنه ما يعلمه النبي، ومنه ما لا يعلمه إلا الله»[2].

وقد تحدث كثير من العلماء عن شـروط المفسِّـر، وفصّلوا في عدّ هذه العلوم ومدى حاجة المفسِّر لكلٍّ منها؛ حماية لجناب الكتاب العظيم من أن يقتحم أسوار الكلام في تأويله الجهال وأنصاف المتعلمين.

قـال الراغب: «جملـة العلوم التي هي كالآلة للمفسِّـر، ولا تتم صناعة إلا بها، هي هذه العشرة: «علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسِّيَر، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة. فمن تكاملت فيه هذه العشـرة واستعملها خرج عن كونه مفسِّـرًا للقرآن برأيه، ومن نقص عن بعض ذلك

(١) المحرر الوجيز: (١/ ٧٣١).

(٢) العذب النمير: (١/ ٧١٢).

مما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، وأحس من نفسه في ذلك بنقصه، واستعان بأربابه، واقتبس منهم، واستضاء بأقوالهم. لم يكن إن شاء الله من المفسرين برأيهم»[1].

وقال ابن جُزَي: «اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنّاً من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

فأما التفسير: فهو المقصود لنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تُعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرّع عنه»[2].

وقال السعدي: «النظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يُعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصًا إذا انضمَّ إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها»[3].

والقصد بهذه النقول التأكيد على المعنى الذي قَدَّمتُه من حاجة المفسِّر إلى المشاركة في علوم متعددة، ولذلك لم أشأ إطالة الكلام بمناقشة الأقوال والتنبيه على ما في بعض تفاصيلها من النظر.

ولا بد لطالب علم التفسير مع حرصه على التفنن في العلوم أن لا يغفل عن التدقيق في تخصصه، وتحرير مسائله، وحَلِّ إشكالاته.

قال الشافعي: «من تَعَلَّم علمًا فليُدَقِّق فيه؛ لئلا يضيع دقيق العلم»[4]. وقال

---

(١) جامع التفاسير: (ص: ٦٩).

(٢) التسهيل: (١/ ٤٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٤).

(٤) المدخل إلى علم السنن: (رقم: ٦١٤).

ابن تيمية: «من اجتمع هَمُّه على شـيء واحد كان أبلغَ فيه ممن تفرق هَمُّه في أعمال متنوعة»[1].

(١) منهاج السنة: (٣/ ٩٢).

المبحث الأول

معرفة الشيخ السعدي بعلوم المقاصد، وأثر ذلك على تفسيره، وفيه تمهيد ومطالب:

التمهيد: بيان انقسام العلوم إلى مقاصد ووسائل.

المطلب الأول: معرفته بعلم التفسير، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثاني: معرفته بعلم الحديث، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثالث: معرفته بعلم العقيدة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الرابع: معرفته بعلم الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الخامس: معرفته بعلم السيرة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب السادس: معرفته بعلم السلوك، وأثر ذلك على تفسيره.

تمهيد

تعارف العلماء على تقسيم العلوم إلى قسمين:

١. علوم مقاصد وغايات.

٢. علوم وسائل وآلات.

فعلوم المقاصد: ما يُدرَس لذاته، ويندرج تحته: علم العقيدة، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم السيرة النبوية، وعلم السلوك وتزكية النفس.

وعلوم الوسائل: ما يُدرَس لغيره، والمراد بـ(الغير) هنا: علوم المقاصد، فعلوم الوسائل -كما هو ظاهر من تسميتها- إنما تتعلم لأجل فهم علوم المقاصد وإتقان معرفتها.

ويندرج تحت علوم الوسائل: علوم اللغة (وأهمها: النحو، والصرف، والبلاغة، واللغة)، وأصول التفسير، وأصول الحديث، وأصول الفقه، والمنطق، وغيرها.

«فأمّا العلوم الّتي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها، وتفريع المسائل، واستكشاف الأدلّة والأنظار؛ فإنّ ذلك يزيد طالبها تمكّنا في ملكته وإيضاحا لمعانيها المقصودة. وأمّا العلوم الّتي هي آلة لغيرها مثل العربيّة والمنطق وأمثالهما فلا ينبغي أن ينظر فيها إلّا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يوسّع فيها الكلام ولا تفرّع المسائل؛ لأنّ ذلك مخرج لها عن المقصود؛ إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير، فكلّما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود، وصار الاشتغال بها لغوًا، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها، وربّما يكون ذلك عائقًا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذّات لطول وسائلها، مع أنّ شأنها أهمّ، والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصّورة، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآليّة

تضييعًا للعمر وشغلا بما لا يغني»[1].

إذا تقرر هذا فإن الشيخ السعدي كان له عناية فائقة بعلوم المقاصد، من تفسير، وحديث، واعتقاد، وفقه، وسيرة، وسلوك، وسأرتب الكلام في ذلك باختصار مناسب للمقام.

(١) مقدمة ابن خلدون: (ص: ١٠٦).

المطلب الأول

معرفته بعلم التفسير، وأثر ذلك على تفسيره.

التفسير: شرح القرآن وبيان معانيه[1].

ويُعَدُّ الشيخ السعدي من علماء التفسير العارفين به، وله عناية بالقرآن وعلومه بزَّ بها أقرانه، وسبق بها أهل زمانه في القُطْر النجدي على وجه الخصوص.

وهو أول عالِم نجدي نال شرف كتابة تفسير كامل للقرآن الكريم بهذه الطريقة الفريدة في سبكه وجودته، فكان له بذلك سبق تاريخي يُضاف إلى سجل إنجازاته العلمية الكثيرة[2].

ولا تكاد تقرأ كتابًا للسعدي إلا وتجد نَفَس العالِم القرآني الذي يربط ما يتناوله من موضوعات بمنهج القرآن وأسلوبه في تناول الموضوعات، فهو مستحضر لآيات القرآن ومعانيها الإجمالية والتفصيلية، ويوظف ذلك أحسن ما يكون فيما يطرقه من موضوعات.

وكان يُقرَأ عليه في دروسه في التفسير: تفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين، وتفسيره.

واعتنى أيضًا بالتأليف في هذا الفن، فكتب في التفسير الإجمالي: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، وهو أشهر كتبه وأغزرها فوائد، وبه عُرِف الشيخ واشتهر، وأصل هذا الكتاب: دروس كان يُلقيها الشيخ على طلابه في مجلس بعد صلاة المغرب[3]، وطريقة الدرس: أن تُقرَأ بعض الآيات على الشيخ، ثم يشرع الشيخ في تفسيرها بما فتح الله عليه، ثم إذا انتهى من الدرس ورجع إلى بيته دَوَّن ما

(١) انظر: تفسير ابن جزي: (١/ ٤٧)، أصول في التفسير لابن عثيمين (ص: ٨٢).

(٢) ذكر هذه الأولية الشيخ بكر أبو زيد في مقدمته لتيسير الكريم الرحمن: (١/ و).

(٣) ذكر ذلك الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي في مقدمة دروسه في التعليق على تفسير السعدي.

ألقاه في دفاتر، حتى اكتمل تفسيره على هذه الهيئة التي بين أيدينا، قال تلميذه الشيخ عبد الله العقيل: «وقد رأيتُ بعض النسخ القديمة المخطوطة، رأيتها بخطه في دفاتر، وكل دفتر مذكور فيه تاريخ تصنيفه»(١).

وكتب في التفسير الموضوعي: «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، وقصد به أن يكون مختصرًا لكتابه «تيسير الكريم الرحمن».

وفي التفسير الموضوعي أيضاً على نمط مختلف عن الكتاب السابق: «فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأحكام المستنبطة من القرآن».

وله رسائل بناها على ما استنبطه من دلائل القرآن، أولها: « المواهب الربانية من الآيات القرآنية» كتبها في شهر رمضان من عام ١٣٤٧هـ.

ومنها: «فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام».

ومنها: «الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة والعصرية داخلة في الدين الإسلامي».

وقد كان لمعرفة الشيخ السعدي بعلم التفسير الأثر الحميد على ما كتبه، ويتجلى ذلك من خلال الآتي:

أولًا: سلوك المنهج الصحيح في تفسير آيات القرآن.

ثانيًا: القدرة على سبك العبارة التفسيرية بطريقة سهلة ممتنعة.

ثالثًا: التركيز على بيان معاني الآيات القرآنية بطريقة مباشرة، دون الخوض في تفصيلات العلوم الأخرى.

رابعًا: صياغة المعنى بأسلوب جامع لمتفرق الأقوال التي تعد من قبيل خلاف التنوع.

(١) الشيخ السعدي كما عرفته، مجموعة الشيخ العلامة عبد الله بن بن عقيل العلمية: (٦/ ٣٣).

خامسًا: التمكن من الكتابة في أكثر من لون من ألوان التفسير باقتدار، فقد كتب الشيخ السعدي بطريقة التفسير الإجمالي، وكتب بطريقة التفسير الموضوعي، وتفنن في ذلك وأبدع وأمتع.

المطلب الثاني
معرفته بعلم الحديث، وأثر ذلك على تفسيره

لا يخفى على المطالع لسيرة السعدي وتراثه مشاركته في الحديث النبوي فقهًا ودراية واستنباطًا، وتأثير ذلك على علمه بصفة عامة يلحظها كل متأمل في المنهج العلمي له مقارنة بعلماء عصره وقُطْره.

قال السعدي: «أخذتُ عن شيخنا الشيخ صالح بن عثمان القاضي الكتب الستة بتمامها، وذلك في عنيزة سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة وألف، وأذن لي شيخنا المذكور بروايتها عنه»[1].

وكان للسعدي دروس في الحديث في «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر، وفي «المنتقى من أخبار المصطفى» للإمام المجد ابن تيمية.

وصنَّف في فقه الحديث النبوي واستنباط الفوائد منه: «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار»، وهو عبارة عن تسعة وتسعين حديثًا من الأحاديث الجوامع التي هي بمثابة القواعد والضوابط التي تندرج تحتها كثير من الفروع في أبواب مختلفة من العلم، شرح الشيخ هذه الأحاديث بطريقة الشرح الإجمالي الذي يحرص فيه على بيان المقاصد دون الإغراق في التحليل اللفظي،

---

(١) الإجازات التي نالها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، لهشام السعيد (ضمن مجموع ابن سعدي: ١/ ٠٨).

على وجه مختصر مفيد ممتع.

وللشيخ السعدي أيضًا شرحٌ للمتن الحديثي المشهور: «عمدة الأحكام» أملاه على تلميذه الشيخ عبد الله بن محمد العوهلي، وهو شرح مختصر يعتني بمقاصد الأحاديث وبيان ما تدل عليه بإيجاز.

وقد كان لعناية الشيخ السعدي بعلم الحديث أثر حسن على تفسيره، كما يتجلى ذلك من خلال الآتي:

أولًا: الصبغة الأثرية التي تحلى بها تفسيره، من حيث تعظيم النصوص، وعدم تجاوزها إلى الرأي المجرد عن الدليل.

ثانيًا: الاستفادة من السنة النبوية في بيان معاني القرآن، ولا يخفى أن السنة بيان للقرآن وتفصيل لما أُجمِل فيه.

ولا يلتزم الشيخ بذكر نصوص الأحاديث في ذلك كما يصنع الحافظ ابن كثير، لكنه يدمج ذلك في أثناء كلامه بما يتناسب مع أسلوبه في التفسير الإجمالي أو الموضوعي بالطريقة المختصرة التي توخاها في تآليفه.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم الحديث في تفسيره ما يلي:

قال السعدي: «المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد « قباء» حتى قال الله فيه: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة:١٠٨]، ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان صلى

الله عليه وسلم يزور قباء كل سبت يصلي فيه[1]، وحث على الصلاة فيه[2]»[3].

المطلب الثالث

معرفته بعلم العقيدة، وأثر ذلك على تفسيره.

تأثر الشيخ السعدي تأثرًا كبيرًا بالإمامين الجليلين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية، ومن أبرز ما اكتسبه من هذا التأثر: سلوك طريقة السلف الصالح في مسائل الاعتقاد على ضوء ما قرراه في كتبهما، وانتصرا له، ودافعا عنه، وقد سار على المنهج نفسه واتبع الطريقة ذاتها حذو القذة بالقذة.

وأبرز متون العقيدة التي درّسها لطلابه: كتاب التوحيد، والطحاوية، والواسطية.

وصنّف السعدي في علم العقيدة عدة كتب، فله تعليق مختصر على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب سماه: «القول السديد في مقاصد التوحيد» قَدّم له بمقدمة تضمنت مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة، ثم عَلّق على أبواب الكتاب بإيجاز يحوي خلاصة ما تضمنه الباب، وقد يعلّق على أكثر من باب بتعليق واحد يشملها جميعًا، وقال في خاتمة الكتاب: «هذا آخر التعليق على كتاب التوحيد، وتوضيح مقاصده، وقد حوى من غرر مسائل التوحيد، ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغني عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها»[4].

وله تعليق مختصر على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، سماه:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٩١١) ومسلم (٩٩٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) وذلك بيان أن «الصلاة في مسجد قباء كعمرة» أخرجه الترمذي (٤٢٣) عن أسيد الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) تيسير الكريم الرحمن: (٢/ ٦٨٦).

(٤) (ص: ٧٢٢).

«التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة»، قال في مقدمته: «فهذا تعليق لطيف على عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة بـ(الواسطية) التي جمعت على اختصارها ووضوحها جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصحيحة، وهي وإن كانت واضحة المعاني محكمة المباني تحتاج إلى تعليق، يزيد في توضيح بعض ما فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويبين وجه دلالتها على المقصود، وبيان ارتباط بعض المسائل ببعض، وجمع ما يحتاج إلى جمعه في موضع واحد، والإشارة إلى بعض آثارها وفوائدها في القلوب والأخلاق، والتنبيه لكل ما يحتاج التنبيه إليه»[1].

وغير ذلك من المؤلفات الدالة على تضلعه في علم الاعتقاد، وتمكنه فيه.

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم الاعتقاد على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: كان إتقان الشيخ السعدي لعلم الاعتقاد على منهج السلف الصالح عاصمًا له بفضل الله من الزلل الذي طرأ على تفاسير كثير من أهل العلم، حتى عد بعض العلماء ذلك أهم ميزات تفسيره.

قال تلميذه الشيخ عبد الله العقيل: «هذا التفسير من أنفع التفاسير وأقربها إلى الفهم؛ لسهولة عباراته، فهي سهلة المباني، واضحة المعاني، خالية من التعقيد والإسرائيليات ومشاكل الإعراب وذكر الخلاف، وأهم ذلك: سلامته من تأويل آيات الصفات، حيث يفسرها على منهج السلف»[2].

ووصف الشيخ بكر أبو زيد تفسير السعدي بأنه «تفسير مأمون جارٍ على طريقة

---

(١) (ص: ٣١).

(٢) مقدمة تحقيق تيسير الكريم الرحمن، ط: دار ابن الجوزي، (١/ أ).

السلف»[1].

ثانيًا: أن الشيخ السعدي تحدّث في أبواب عقدية مختلفة وفق منهجية أهل السنة والجماعة في تناولها وبحثها.

ثالثًا: ردُّ الشيخ السعدي على المخالفين في الاعتقاد من خلال تفسيره للقرآن، بعبارات مختصرة متناسبة مع طبيعة تفسيره.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم العقيدة في تفسيره ما يلي:

١. بيّن الشيخ في تفسيره لسورة الفاتحة خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، فقال: « واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلًا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة يقدر على كل شيء، فإن الله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العليا وأحكام تلك الصفات، فمن أثبت شيئًا منها ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضًا مُبطِلا.»[2].

وسار الشيخ على مقتضى هذا الأصل العظيم في تفسيره كله، ومن أمثلة ذلك: إثباته صفة الاستواء لله تعالى، وعبر عن ذلك بقوله: « استواء يليق بجلاله ويناسب كماله»[3].

فالشيخ السعدي كما يتبين من منهجه في تفسيره يثبت لله تعالى أسماءه الحسنى

---

(١) المرجع السابق، ط: دار ابن الجوزي، (١/ ج)

(٢) المرجع السابق: (١/ ١٣)، تيسير اللطيف المنان: (ص: ١١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن: (٢/ ٠٢٨).

كما وردت في الكتاب والسنة، ويثبت له تعالى صفاته العلى على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تمثيل بصفات المخلوقات ودون تعطيل لها ونفي لمدلولاتها.

٢. في باب القَدَر، حيث ذكر الشيخ أصل أهل السنة في ذلك، فقال في فوائد سورة الفاتحة: «وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافا للقدرية والجبرية»[١]. وهكذا بيّن الشيخ في هذه العبارة الموجزة توسّط أهل السنة والجماعة في باب القدر -كغيره من أبواب العقيدة- بين القدرية الذين يقولون باستقلال العبد في اختياره، وينفون خلق الله لأفعال العباد، وبين الجبرية الذين يقولون بأن العبد مُجبَر على أفعاله، وأنه لا مشيئة له ولا اختيار.

٣. إثبات أن للسحر حقيقة وتأثيرًا، حيث ذكر الشيخ في فوائد سورة الفلق دلالتها «على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله»[٢]. وفي كلام الشيخ في هذا الباب رد على المعتزلة ومن نحا منحاهم من المعاصرين المتأثرين بهم في نفي السحر وإنكار وجوده.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٤٣).

(٢) المرجع السابق: (٤/ ١٠٠٢).

المطلب الرابع

معرفته بعلم الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

كان هذا العلم أجلّ فنون الشيخ السعدي، وأعظم ما عنده، فيمكن أن يُقال: إن الفقه تخصصه، وبقية العلوم كان مشارِكًا فيها بدرجات متفاوتة.

درس الشيخ السعدي الفقه الحنبلي، وحفظ فيه متن دليل الطالب، وتبحر في معرفة مسائله من خلال الكتب المعتمدة في المذهب، كالروض المربع شرح زاد المستقنع، ومنتهى الإرادات والإقناع وشروحهما وحواشيهما.

وصَنّف فيه مصنفات كثيرة، منها: «إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب» و«منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين»، و«المختارات الجلية من المسائل الفقهية».

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم الفقه على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: حسن بيانه للآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية، وتفسيرها على نحو يجمع بين الدقة والوضوح، فيعطي القارئ خلاصة المسألة من خلال تفسير الآيات، دون إغراق في تفاصيل وخلافيات تخرج المفسِّر عن وظيفته الأساسية في بيان معاني القرآن الكريم.

ثانيًا: قدرة الشيخ السعدي على بيان أي مسألة فقهية واردة في القرآن، سواء تعلقت بالعبادات أو المعاملات أو الأنكحة أو الجنايات، وهي مايمثّل أرباع الفقه المعروفة حسب تقسيم فقهاء الحنابلة، فلا يشعر القارئ بأن تمكن الشيخ الفقهي يتفاوت من باب إلى آخر، بل يجده على نمط واحد.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم الفقه في تفسيره ما يلي:

١. «واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾[النساء:٤٣]

هل المراد بذلك الجماع؟ فتكون الآية نصا في جواز التيمم للجنب، كما تكاثرت بذلك الأحاديث الصحيحة، أو المراد بذلك مجرد اللمس باليد؟ ويقيد ذلك بما إذا كان مظنة خروج المذي، وهو المس الذي يكون لشهوة، فتكون الآية دالة على نقض الوضوء بذلك»[1].

٢. «وقوله: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة:٣] راجع لهذه المسائل، من منخنقة، وموقوذة، ومتردية، ونطيحة، وأكيلة سبع، إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة؛ لتتحقق الذكاة فيها، ولهذا قال الفقهاء: لو أبان السبع أو غيره حشوتها، أو قطع حلقومها، كان وجود حياتها كعدمه؛ لعدم فائدة الذكاة فيها، وبعضهم لم يعتبر فيها إلا وجود الحياة، فإذا ذكاها وفيها حياة حلّت ولو كانت مبانة الحشوة، وهو ظاهر الآية الكريمة»[2].

٣. «وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم= أعطي من الزكاة؛ لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله، وقالوا أيضًا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه. وفيه نظر»[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٩٠٣).

(٢) المرجع السابق: (١/ ٣٩٣).

(٣) المرجع السابق: (٢/ ٢٦٦).

المطلب الخامس

معرفته بعلم السيرة، وأثر ذلك على تفسيره.

الأصل أن العلم بالسيرة فرع عن العلم بالسنة النبوية، ولكن أئمة الإسلام أولوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة من حيث السرد التاريخي لأحداثها، ومن حيث فقهها واستنباط الفوائد منها، والقارئ لكتب الشيخ السعدي يلحظ مشاركته في هذا العلم الشريف وإلمامه به تاريخًا وفقهًا، وحثه طلاب العلم الراغبين في تدبر القرآن وفهم كلام الرحمن على دراسة السيرة النبوية، وهي معدودة عنده من أهم علوم المفسِّر، وفي الإلمام بها أعظم العون على فهم كتاب الله[1].

والإلمام بالسيرة النبوية ضروري للمفسّر من جهتين:

أولًا: أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تطبيق عملي لهدي القرآن الكريم.

ثانيًا: أن عددًا من سور القرآن وآياته لها تعلق مباشر بأحداث السيرة النبوية، ولا تُفهَم الآيات على وجهها فهمًا تفصيليا دقيقًا، إلا بالإحاطة بتلك الأحداث والوقائع.

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم السيرة على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: قدرته على بيان تفاصيل الأحداث التاريخية لما ورد في القرآن على سبيل الإجمال، ولهذا أثره الكبير في توضيح معاني الآيات بشكل مستوفى.

ثانيًا: الربط بين علمي التفسير والسيرة، وإمداد كل منهما بما يحتاجه من العلم الآخر، سواء من ناحية تفصيل الحدث التاريخي، أو من جهة فقه الواقعة التاريخية وما تتضمنه من فوائد.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٤)، تيسير اللطيف المنان: (ص: ٣٨٢)، القواعد الحسان (ص: ٣/ ٠٥٣).

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم السيرة في تفسيره ما يلي:

١. «وفي السنة الثانية أيضا كانت وقعة بدر، وسببها: أن عيرًا لقريش تحمل تجارة عظيمة من الشام، خرج النبي صلى الله عليه وسلم بمن خف من أصحابه لطلبها، فخرجت قريش لحمايتها، وتوافوا في بدر على غير ميعاد، فالعير نجت، والنفير التقوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكانوا ألفًا كاملي العدد والخيل، والمسلمون ثلاث مئة وبضعة عشر على سبعين بعيرًا يعتقبونها، فهزم الله المشركين هزيمة عظيمة، قتلت سرواتهم وصناديدهم، وأُسر من أُسر منهم، وأصاب المشركين مصيبة ما أُصيبوا بمثلها، وهذه الغزوة أنزل الله فيها وفي تفاصيلها سورة الأنفال، وبعدما رجع إلى المدينة منها مظفرًا منصورًا ذَلَّ من بقي ممن لم يُسلم من الأوس والخزرج، ودخل بعضهم في الإسلام نفاقًا، ولذلك جميع الآيات التي نزلت في المنافقين إنما كانت بعد غزوة بدر»[١].

٢. «في السنة الثالثة كانت غزوة أحد، غزا المشركون وجيّشوا الجيوش على المسلمين حتى وصلوا إلى أطراف المدينة، وخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه وعبأهم ورتبهم، والتقوا في أحد عند الجبل المعروف شمالي المدينة، وكانت الدائرة في أول الأمر على المشركين، ثم لما ترك الرماة مركزهم الذي رتبهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهم: «لا تبرحوا عنه ظهَرنا أو غُلبنا، وجاءت الخيل مع تلك الثغرة، وكان ما كان، حصل على المسلمين في أُحد مقتلة أكرمهم الله بالشهادة في سبيله، وذكر الله تفصيل هذه الغزوة في سورة آل عمران، وبسط متعلقاتها، فالوقوف على هذه الغزوة من كتب السير يعين على فهم الآيات الكثيرة التي نزلت فيها كبقية الغزوات»[٢].

(١) تيسير اللطيف المنان: (ص: ١٩٢).

(٢) المرجع السابق: (ص: ٢٩٢).

٣. «في سنة ست من الهجرة اعتمر صلى الله عليه وسلم وأصحابه عمرة الحديبية، وكان البيت لا يُصَدُّ عنه أحد، فعزم المشركون على صد النبي صلى الله عليه وسلم عنه، ولما بلغ الحديبية، ورأى المشركين قد أخذتهم الحمية الجاهلية جازمين على القتال، دخل معهم في صلح؛ لحقن الدماء في بيت الله الحرام، ولما في ذلك من المصالح، وصار الصلح على أن يرجع النبي صلى الله عليه وسلم عامه هذا ولا يدخل البيت، ويكون القضاء من العام المقبل، وتضع الحرب أوزارها بينهم عشر سنين، فكره جمهور المسلمين هذا الصلح حين توهموا أن فيه غضاضة على المسلمين، ولم يطلعوا على ما فيه من المصالح الكثيرة، فرجع صلى الله عليه وسلم عامه ذلك، وقضى هذه العمرة في عام سبع من الهجرة، فأنزل الله في هذه القضية سورة الفتح بأكملها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١][1]».

ويلاحظ القارئ لهذه الأمثلة وغيرها في تفسير السعدي أنه مُلِمٌّ بعلم السيرة النبوية تاريخًا وفقهًا، وأن اختصار تفسيره لم يمنعه من الحديث عن بعض أحداث السيرة؛ لتعلقها المباشر بالآيات التي يفسّرها.

---

(١) المرجع السابق: (ص: ٣٩٢).

المطلب السادس

معرفته بعلم السلوك، وأثر ذلك على تفسيره.

يُعَدُّ هذا العلم من أهم العلوم وأعلاها شأنًا؛ لأن المقصود به أن يصل العبد إلى مرتبة الإحسان.

وقد ظهرت عناية الشيخ الفائقة بهذا العلم من خلال المعاني التي بثها في تفسيره للقرآن، وشرحه للأحاديث النبوية، وكلامه في الاعتقاد، وتأصيله في الفقه، فلا يكاد يخلو كتاب له من اللفتات الإيمانية والإشارات السلوكية التي تحيي القلوب، وتزكي النفوس، بمنهج متزن متوافق مع النصوص الشرعية، بعيد عن شطط غلاة الصوفية المعلوم فساده وانحرافه.

ومما كتبه السعدي في هذا العلم رسالة مختصرة نفيسة سمّاها: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، وقد جعلها في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في حدّ الإيمان وتفسيره، وزيادته ونقصه.

الفصل الثاني: في ذكر الأمور التي يُستمَدُّ منها الإيمان، وبيانها بالإجمال والتفصيل.

الفصل الثالث: في فوائد الإيمان وثمراته.

و احتفى الشيخ بهذا العلم في كتبه احتفاءً بالغًا، ولذلك يتفق كل من يقرأ في كتبه أنَّ النَّفَس الإيماني فيها ظاهرٌ جدّاً.

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم السلوك على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: توضيحه وبيانه للمعاني السلوكية التي تتضمنها كثير من الآيات، ككلامه على فقه الأسماء الحسنى، وكلامه على أعمال القلوب ومفسدات القلوب، والتحلي بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق.

ثانيًا: بحثه لمسائل هذا العلم بأسلوب سلس ميسر، وتجنّبه الخوض فيما أشكل من مصطلحات هذا العلم الواردة في كثير من كتبه، مع تسهيله العبارة بطريقة يستفيد منها كل من يقرأ كلامه وينتفع به.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم السلوك في تفسيره ما يلي:

١. «لما كان الصبر يُستَمدُّ من القيام بطاعة الله والإكثار من ذِكره أمر الله بذلك، فقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾ [الإنسان: ٢٥] أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات».(١).

٢. «لما ذكر حال المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها، والاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك، فقال: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦]. أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟! وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك، ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتۡ

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٤/ ٠٢٩١).

﴿قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزل الله، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين».[1].

٣. «ومما هو كالمتفق عليه بين العلماء الربانيين أن الاتصاف في جميع الأوقات بقوة الإخلاص لله، والنصح لعباد الله، ومحبة الخير للمسلمين مع اللهج بذكر بقوة لا يلحقها شيء من الأعمال، وأهلها سابقون لكل فضيلة وأجر وثواب، وبقية الأعمال تبع لها، فأهل الإخلاص والإحسان والذكر هم السابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم»[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٤/ ٩٧٧١).

(٢) تيسير اللطيف المنان: (ص: ٦٢٣).

المبحث الثاني

معرفة الشيخ السعدي بعلوم الآلة، وأثر ذلك على تفسيره.

وتحته مطالب:

المطلب الأول: معرفته بأصول التفسير، وأثر ذلك على تفسيره

المطلب الثاني: معرفته بعلم النحو، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثالث: معرفته بعلم أصول الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الرابع: معرفته بعلم القواعد الفقهية، وأثر ذلك على تفسيره

المطلب الخامس: معرفته بمقاصد الشريعة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الأول

معرفته بعلم أصول التفسير وأثر ذلك على تفسيره.

علم أصول التفسير من المعارف الأساسية لمن يتصدّى لتفسير القرآن الكريم، والمطالع لتفسير السعدي يدرك إلمامه بهذا العلم وتوظيفه له بمنهجية علمية صحيحة.

وقد كتب الشيخ في هذا العلم كتابه النافع المشهور: «القواعد الحِسان لتفسير القرآن».

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم أصول التفسير على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: تطبيقه لقواعد هذا العلم في تفسيره.

ثانيًا: ترجيحاته المتينة في المعاني التي اختلف فيها المفسّرون.

ثالثًا: تجنّبه الروايات الإسرائيلية، وعدم اعتماده لها مصدرًا للتفسير.

رابعًا: اعتداله في باب النسخ في القرآن، وعدم مصيره إليه إلا عند تعذّر الجمع بين النصوص.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم أصول التفسير في تفسيره ما يلي:

١. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٠]

«اشتهر عند كثير من المفسرين، أن هذه الآية الكريمة نسختها الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وأن الأمر كان على الزوجة أن تتربص حولًا كاملًا،

ثم نسخ بأربعة أشهر وعشر، ويجيبون عن تقدم الآية الناسخة: أن ذلك تقدم في الوضع، لا في النزول؛ لأن شرط الناسخ أن يتأخر عن المنسوخ. وهذا القول لا دليل عليه، ومن تأمل الآيتين اتضح له أن القول الآخر في الآية هو الصواب، وأن الآية الأولى في وجوب التربص أربعة أشهر وعشرًا على وجه التحتيم على المرأة، وأما في هذه الآية فإنها وصية لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم حولًا كاملا، جبرًا لخاطرها، وبرّاً بميتهم، ولهذا قال: ﴿-------﴾ أي: وصية من الله لأهل الميت، أن يستوصوا بزوجته، ويمتعوها ولا يخرجوها، فإن رغبت أقامت في وصيتها، وإن أحبت الخروج فلا حرج عليها، ولهذا قال: ﴿----------﴾ أي: من التجمل واللباس، لكن الشرط: أن يكون بالمعروف الذي لا يخرجها عن حدود الدين والاعتبار»[1].

٢. ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠] .

«يخبر تعالى رسوله أنه لا يرضى عنه اليهود ولا النصارى إلا باتباعه دينهم؛ لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم: ﴿إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ الذي أرسلت به ﴿هُوَ الْهُدَى﴾، وأما ما أنتم عليه فهو الهوى، بدليل قوله ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ . فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمته داخلة في ذلك؛ لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٩٧١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٨).

٣. «واعلم أن كثيرًا من المفسرين رحمهم الله قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزّلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، والذي أرى: أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزّلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرًا لكتاب الله قطعًا إذا لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن مرتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم «فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكًا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعًا بها، ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل»[1].

(١) المرجع السابق (١/ ٩٦).

المطلب الثاني

معرفته بعلم النحو، وأثر ذلك على تفسيره.

اهتم الشيخ بعلم النحو، ودرسه على بعض شيوخه، ثم درَّسه لطلابه، وكان يشرح لهم في دروسه أشهر المتون المتداولة، وهي: الآجرومية، وملحة الإعراب، وقطر الندى، وألفية ابن مالك.

أما علم الصرف وعلم البلاغة فلم يظهر لي عناية الشيخ بهما عنايته بالنحو -اللهم إلا ما كان من مسائل الصرف المذكورة في متون النحو الآنفة الذكر- وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى العلوم السائدة في القُطْر النجدي في ذلك الوقت، فلو نظرتَ مثلا إلى جدول دروس مفتي المملكة في زمنه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فلن تجد فيها دروسًا في الصرف أو البلاغة.

ومع ذلك فقد نصَّ الشيخ السعدي على أهمية علوم العربية على اختلاف أنواعها للمفسِّر[1]، وقد قرأ الشيخ السعدي على بعض العلماء في علوم العربية كما ذُكِر إجمالًا في ترجمته، ولا يبعد عندي أن يكون قد قرأ على بعضهم شيئًا من علوم العربية غير النحو، أو يكون قد حَصَّل طرفًا منها بالاجتهاد في المطالعة في بعض كتبها، والله أعلم.

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم النحو على تفسيره من خلال الآتي:

١. تناوله لما يضطر إلى بحثه من مسائل النحو باختصار مفيد.
٢. إعمال القواعد النحوية في الترجيح، فيما يكون الاختلاف التفسيري فيه راجعًا إلى مسألة نحوية.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم النحو في تفسيره ما يلي:

١. «وقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٥٩] يحتمل أن الضمير هنا في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعود إلى أهل الكتاب،

---

(١) انظر: المرجع السابق: (١/ ٤).

فيكـون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسـى عليه السـلام، ولكنه إيمـان لا ينفع، إيمان اضطرار، فيكون مضمـون هذا: التهديد لهـم والوعيد، وأن لا يسـتمروا على هذه الحال التي سـيندمون عليها قبل مماتهم، فكيـف يكون حالهم يوم حشـرهم وقيامهم؟، ويحتمل أن الضميـر في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنـن بالمسـيح عليه السـلام قبـل موت المسـيح، وذلك يكـون عند اقتراب السـاعة وظهور علاماتها الكبـار؛ فإنه تكاثرت الأحاديـث الصحيحة في نزوله عليه السـلام في آخر هذه الأمة، يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسـى عليهم شـهيدا، يشـهد عليهم بأعمالهم، وهل هـي موافقة لشـرع الله أم لا؟، وحينئذ لا يشـهد إلا ببطلان كل مـا هم عليه، مما هو مخالف لشـريعة القرآن، وَلِمَا دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك لِعِلْمِنَا بكمال عدالة المسـيح عليه السـلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق، وما عداه فهو ضلال وباطل»[1].

٢. «وقوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٣] أي: لا يقدرون نكاحا، إما لفقرهم أو فقر أوليائهم وأسـيادهم، أو امتناعهم من تزويجهم، وليس لهم قدرة على إجبارهم على ذلك، وهذا التقدير أحسـن من تقدير من قَدَّر: (لا يجـدون مهر نـكاح)، وجعلوا المضاف إليه نائبًا منـاب المضاف، فإن في ذلك محذوريـن: أحدهمـا: الحذف في الـكلام، والأصل عـدم الحـذف. والثاني :كون المعنـى قاصرًا علـى من له حـالان: حالة غنى بمالـه، وحالة عدم، فيَخـرُج العبيد والإماء ومَن إنكاحه على وليه»[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٠٨٣).

(٢) المرجع السابق: (٣/ ٥٦١١).

المطلب الثالث

معرفته بعلم أصول الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

برع الشيخ السعدي في هذا العلم، واستفاد منه كثيرًا في تفسيره، وشروحه الحديثية والفقهية، واستنباطه من النصوص الشرعية، وترجيحاته في المسائل العلمية.

وكان يدرِّس طلابه: مختصر التحرير للعلامة ابن النجار، وهو المتن المعتمد في الأصول عند المتأخرين من الحنابلة.

كما صَنَّف الشيخ عددًا من الرسائل المختصرة في أصول الفقه، وهي: «صفوة أصول الفقه المنتخبة من مختصر التحرير»، و«رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة»[1].

ويتجلى أثر معرفة السعدي بعلم أصول الفقه على تفسيره من خلال الآتي:

١. السير على وفق قواعد علم أصول الفقه في تقرير المسائل والترجيح في الخلاف.

٢. الاستنباط من الآيات بإعمال الدلالات على مختلف أنواعها.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم أصول الفقه في تفسيره ما يلي:

١. ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ

---

(١) ومما يتأكد التنبيه عليه في هذا المقام: أن طبعة دار الميمان لمجموع مؤلفات الشيخ السعدي أُدرِج خلالها كتاب في أصول الفقه بعنوان: «مختصر في أصول الفقه» ونُسِب للشيخ السعدي، ولا شيء يدل على ذلك سوى وجود الكتاب بخط السعدي، وبديهي أن العالِم قد ينسخ بخطه كتبًا لغيره، فلا يمكن أن يكون هذا الأمر بمجرده دليلًا على إثبات نسبة كتاب لأحد من أهل العلم، وقد نُسِب هذا الكتاب من قبل أيضًا للشيخ عبد الله أبا بطين، وهذا خطأ كذلك، والتحقيق أن الكتاب المذكور لأحد علماء الزيدية، وفيه عبارات مستنكرة يستحيل صدورها من العلامة السعدي رحمه الله.

ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

أي: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك: أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات، من المدافع والرشاشات والبنادق والطيارات الجوية والمراكب البرية والبحرية والحصون والقلاع والخنادق وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلّم الرمي، والشجاعة والتدبير، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا إن القوة الرَّمْيُ) [1] ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته، فإذا كان موجودًا شيء أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال، التي تكون النكاية فيها أشد كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة وجب ذلك؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[2].

٢. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

«يمتن الله على عباده بأنه فرض عليهم القصاص في القتلى، أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل عمدًا على الصفة التي قتل عليها المقتول؛ إقامة للعدل بين العباد.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧١٩١)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: (٢/ ٦٢٦).

وتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم حتى أولياء القاتل، حتى القاتل بنفسه، إعانة ولي المقتول إذا طلب القصاص، وتمكينه من القاتل، وأنه لا يحل لهم أن يحولوا بينه وبين القاتل إذا تمت الشروط كما يفعله أهل الجاهلية ومن أشبههم من إيواء المُحْدِثين.

ثم بيَّن تفصيل ذلك فقال: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يدخل بمنطوقها: الذكر بالذكر، ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدَّمًا على مفهوم قوله: " الأنثى بالأنثى " مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى، وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: ﴿الْقِصَاصُ﴾ ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو أذية شديدة جدا من الولد له. وخرج من العموم أيضا الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة. وأيضا فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، والعبد بالعبد، ذكرا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت، ودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد؛ لكونه غير مساوٍ له...»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ١٣١).

المطلب الرابع

معرفته بعلم القواعد الفقهية وأثر ذلك على تفسيره.

من أعظم ما يعين على ضبط الفقه واكتساب المَلَكة فيه: دراسة قواعده بعد الإلمام بكثير من فروعه؛ لأن هذه القواعد تجمع ما تفرق من الفروع برباط محكم في عبارات موجزة دقيقة.

وقد ظهر تمكن الشيخ في هذا العلم من خلال كتبه التي شملت التأصيل والتطبيق بأسلوب ميسر، وهذا متفرّع عن الاهتمام الكبير للسعدي بقواعد العلم وأصوله وضوابطه عمومًا.

ومما كتبه السعدي في القواعد الفقهية:

١. منظومة القواعد الفقهية، وهي موجزة في نحو خمسين بيتًا، وله تعليق إجمالي مفيد على أبياتها.

٢. القواعد والأصول الجامعة.

ومن الأثر الحسن لمعرفة السعدي بهذا العلم على تفسيره ما يلي:

أولًا: الاستدلال بالقواعد الفقهية، وردّ الفروع إليها.

ثانيًا: تأصيل عدد من القواعد الفقهية من آيات القرآن الكريم.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم القواعد الفقهية في تفسيره ما يلي:

«ولما كان قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف ما لا يطاق، أو تكليف ما يشق؛ احترز منه بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: مشقة وعسر، بل يسّره غاية التيسير، وسهّله بغاية السهولة، فأولا: ما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس، لا يثقلها ولا يؤودها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف؛ خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط

بعضه. ويؤخذ من هذه الآية، قاعدة شرعية وهي أن «المشقة تجلب التيسير» و «الضرورات تبيح المحظورات»، فيدخل في ذلك من الأحكام الفرعية شيء كثير معروف في كتب الأحكام».[1].

المطلب الخامس

معرفته بعلم مقاصد الشريعة وأثر ذلك على تفسيره.

الأصل أن بحث موضوع مقاصد الشارع يكون في علم أصول الفقه، لكن «تطور موضوع المقاصد في هذا العصر حتى غدا علمًا مستقلاً داخلًا في مناهج الدراسة في كثير من الكليات الشرعية»[2].

وللشيخ السعدي باع طويل في التأصيل لمقاصد الشريعة وبيانها وشرحها وإيضاح مسائلها، والتأكيد على أهميتها وضرورة العناية بها[3].

قال -رحمه الله-: «معرفة مقاصد الشارع، والصفات التي رتب عليها الأحكام الكلية والجزئية، ومعرفة الحِكَم والأسرار في العبادات والمعاملات والحقوق وتوابع ذلك، من أعظم الطرق التي يُعرَف بها كمال الشريعة، وأنها مشتملة على مصالح العباد في دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم، فكلما كان العبد بذلك أعرف، عَرف بذلك من جلالة الشريعة الإسلامية وهيمنتها وشمولها للخيرات والبركات

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٣/ ٩١١١).

(٢) إرشاد القاصد: (ص: ٦).

(٣) صدر عن دار التوحيد عام ١٤٣٧هـ كتاب: «مقاصد الشريعة عند العلامة السعدي» للدكتور جميل يوسف زريوا، وأصل الكتاب رسالة دكتوراة مقدمة لقسم أصول الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

والعدل والإحسان، ونهيها عن كل ما ينافي ذلك ويضاده»[1].

ومما استفاده السعدي من معرفته بهذا العلم في تفسيره ما يلي:

١. العناية بمقاصد القرآن الكريم والاهتمام بها.

٢. التنبيه على كمال الشريعة وجمالها في أحكامها وتشريعاتها التي تضمنها كتاب الله تعالى.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم مقاصد الشريعة في تفسيره ما يلي:

١. «فلولا مدافعة الله الناس بعضهم ببعض بأسباب متعددة، وطرق متنوعة قدرية وشرعية، وأعظمها وأجلها وأزكاها: الجهاد في سبيله لاستولى الكفار الظالمون، ومحقوا أديان الرسل، فقتلوا المؤمنين بهم، وهدموا معابدهم، ولكن ألطاف الله عظيمة، وأياديه جسيمة، وبهذا وشبهه يُعرف حكمة الجهاد الديني، وأنه من الضروريات، لا كقتال الظلمة المبني على العداوات والجشع والظلم والاستعباد للخلق، بل الجهاد الإسلامي مرماه وغرضه الوحيد: إقامة العدل، وحصول الرحمة، واستعباد الخلق لخالقهم، وأداء الحقوق كلها، ونصر المظلومين، وقمع الظالمين، ونشر الصلاح والإصلاح المطلق بكل وجه واعتبار، وهو من أعظم محاسن دين الإسلام»[2].

٢. قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ [النور: ٢].

«هذا حد الزاني غير المحصن من ذكر أو أنثى: يجلد مائة جلدة، جلدات تؤلمه وتزجره ولا تهلكه، ويتعين أن يكون ذلك علنًا لا سرّاً، بحيث يشهده طائفة من المؤمنين؛ لأن إقامة الحدود من الضروريات لقمع أهل الجرائم، واشتهارُها هو

(١) مجموع الفوائد: (ص: ٧٢٢).

(٢) تيسير اللطيف المنان: (ص: ٩٠١).

الـذي يحصل به الردع والانزجار وإظهار شـعائر الدين، والاسـتتار به أو على أحد دون أحد فيه مفاسـد كثيرة، ووردت السـنة بتغريب عام كامل عن وطنه مع الجلد، كما تواترت السـنة وأجمع المسلمون على رجم الزاني المحصن، يرجم بالحجارة حتى يموت»[1].

(١) المرجع السابق: (ص: ٣٥١).

الخاتمة

الحمد لله، وبعد: ففي خاتمة هذا البحث أذكر أبرز نتائجه وأهم توصياته.

أولًا: نتائج البحث:

١. تفسير القرآن أوسع العلوم الإسلامية، وكلما كان المتصدي للتفسير متضلعًا من العلوم مجيدًا توظيفها في فهم كتاب الله كان أسعد حظًّا بالتوفيق للصواب، وأقدر على الإفادة وإبانة المعاني وحل الإشكالات.

٢. جمع الشيخ السعدي سعة العلم، ومتانة التأصيل، وجمال الأسلوب، وجودة التصنيف.

٣. كتب الشيخ تفسيره الكبير: "تيسير الكريم الرحمن" على طريقة التفسير الإجمالي، وتفسيريه الوسيط: "تيسير اللطيف المنان" والوجيز: "فتح الرحيم الملك العلام" على طريقة التفسير الموضوعي.

٤. قصد الشيخ السعدي بتفسيره تسهيل معاني القرآن للناس عمومًا، فتخفف فيه مما أثقل به أكثر المفسرين كتبهم من دقائق العلوم.

٥. كُتب الشيخ السعدي في التفسير من أفضل ما يقرأه العالم والمتعلم من كتب التفسير؛ فقد صاغها بأسلوب سهل ممتنع، يجد فيها العالم بغيته من لطائف المعاني، ويجد فيها غيره ما يحتاجه من معاني القرآن وهداياته.

٦. ساهم تفنن الشيخ السعدي في علوم المقاصد والوسائل في إثراء تفسيره بالفوائد، وإمداده بحسن الفهم ودقة الاستنباط، وإرشاده إلى سديد القول، وحمايته من الزلل.

٧. تميز الشيخ السعدي عن علماء المملكة في وقته بعنايته البالغة بعلم التفسير تدريسًا وتأليفًا، وورث عنه ذلك بعض تلاميذه، خصوصًا الشيخ محمد بن

صالح العثيمين.

ثانيًا: توصيات البحث:

١. إعادة طباعة مجموع مؤلفات الشيخ السعدي طبعة متقنة مدققة على منهج منضبط واضح المعالم، كصنيع مشروع تحقيق كتب ابن القيم الذي وضع خطته وأشرف عليه: الشيخ بكر أبو زيد.

٢. نشر علوم الشيخ السعدي بين طلاب العلم وعامة الناس، بتدريس كتبه في المساجد والمعاهد والجامعات، وتقريب ما احتوته من نفائس بدراسات كاشفة وبحوث موثقة محررة.

٣. تبني المنهج الإصلاحي المتزن والخطاب التجديدي المنضبط الذي تميز به الشيخ السعدي، وبَذَّ به أقرانه وكثيرًا من علماء عصره.

فهـــرس المصـــادر

- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
- إرشـاد القاصد إلى معرفة المقاصد، يعقوب الباحسين، دار التدمرية، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ.
- التسـهيل لعلوم التنزيل، محمـد بن أحمد بن جزي الكلبـي الغرناطي، تحقيق: علي الصالحي، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ.
- التعليق على القواعد الحسـان المتعلقة بتفسـير القرآن، محمد بـن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- التنبيهـات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسـطية من المباحث المنيفة، عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ.
- تيسـير اللطيـف المنـان في خلاصة تفسـير القـرآن، عبـد الرحمن السـعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
- التوضيح والبيان لشـجرة الإيمان، عبد الرحمن السـعدي، تحقيق: ياسـر المطيري، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، تحقيق: محمد بن عوض المصري، دار الإمام البخاري، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.
- جامع التفاسـير، الراغـب الأصفهاني، تحقيق: أحمـد فرحات، دار الدعـوة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- الذريعة إلى مكارم الشـريعة، الراغـب الأصفهاني، تحقيق: أبـو اليزيد العجمي، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

- شرح أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسِّرًا، عبد الله بن سابح الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرزاق البدر، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- القول السديد في مقاصد التوحيد، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: ياسر المطيري، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ.
- المدخل إلى علم السنن، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عوّامة، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.
- مجموعة الشيخ العلامة عبد الله بن عقيل العلمية، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
- مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي، دار الميمان، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- المختارات الجلية من المسائل الفقهية، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: ماهر الشبل، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ.
- مقاصد الشريعة عند العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي دراسة تأصيلية تطبيقية، جميل يوسف زريوا، دار التوحيد، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.

- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: مصطفى شيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: محمد الخضيري، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.
- المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عمر المقبل، دار الحضارة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

المَلَكَــة التفْسِــيريّة

عند الشيخ السعدي

د. راشد بن حمود بن راشد الثنيان

أستاذ القرآن وعلومه المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية بالزلفي - جامعة المجمعة

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فالكتابة في ما تميز به العلماء السابقون تحتاج إلى وقت طويل، وجهد كبير للوقوف على شيء يسير من إبداعاتهم، وقراءة فاحصة للاطلاع على بعض ما أُوتوا من ملَكَات علمية، ونظرات ثاقبة في الأحوال والمآلات، ومن هؤلاء العلماء المبرزين الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي المولود في عام ١٣٠٧هـ، توفيت أمه ثم والده قبل سن الثامنة، فنشأ يتيم الأبوين، وحفظ القرآن وعمره إحدى عشرة سنة، جمع الأصول من العلوم، وجلس للتعليم وعمره ثلاث وعشرون سنة، حتى انتهى إليه التدريس في بلده عام ١٣٥٠هـ وعمره ٤٣ سنة، تميّز رحمه الله في الفقه وأصوله، وكان في بداية أمره على مذهب الحنابلة تبعاً لمشايخه، ثم اشتغل بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وصار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي بل ينتهي إلى ما يرجحه الدليل الشرعي، كما قرأ وألف في الحديث والعقائد والأصول والمصطلح وعلوم اللغة وغيرها[1]، وبرع في علم التفسير كثيراً، وكُتِب عنه ما ألقاه على تلاميذه مما فتح الله عليه من البديهة ارتجالاً دون أن يكون عنده وقت للتصنيف، فجمع فيه المعاني والفوائد واللطائف ودقة الاستنباط من الأدلة واللطائف والقصص وغيرها مما هو مبسوط في جميع مصنفاته وكتاباته المتنوعة في جميع العلوم الأصلية والمساعدة، وقد أمضى عمره في العلم والتعليم والتدريس والتأليف حتى آخر حياته، رغم إصابته بالمرض الذي لازمه مدة طويلة حتى قبضه الله عام ١٣٧٦هـ رحمه الله رحمة واسعة.

وقد اعتنى السعدي رحمه الله بعلم التفسير عناية كبيرة، بياناً واستنباطاً وتقعيداً، فكتب تفسيره المشهور: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)،

---

(١) إتحاف النبلاء بسير العلماء ١/ ٤٦.

ثم اختصره في كتاب: (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن)، وكَتَب في قواعد التفسير (القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن)، وسطّر هداياتٍ جميلة وفوائد لطيفة في كتابه: (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) وكتابه: (فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام)، وكتاب: (فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن)، وهذه الكتب من أبرز الكتب القريبة لباب التفسير.

ولِمَا تميّز به السعدي من سلامة المنهج وصحة المعتقد والتزام بمذهب السلف الصالح، كتب الله لها القبول والانتشار، وصارت إضافة قويةً للمكتبة القرآنية.

ومن قرأ في كتب الشيخ السعدي وتفسيره تبين أنه أجاد صنعة المفسر وأحسن توظيفها في بيان معاني كلام الله تعالى، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث في بيان الملكة التفسيرية التي تميز بها الشيخ ابن سعدي رحمه الله.

أهداف البحث:

١- إبراز الملكة التفسيرية عند الشيخ السعدي رحمه الله.

٢- الوقوف على تطبيقات عملية تدل على ذلك.

٣- بيان شيء من ملكة الشيخ السعدي لأصول التفسير.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال تبين لي كثرة الأبحاث العلمية في ما يتعلق بالشيخ السعدي، ومما وقفت عليه ما يلي:

١- أثر علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي على الحركة العلمية المعاصرة، للأستاذ: عبدالله بن محمد الطيار. بين فيه آثار السعدي على الحركة العلمية المعاصرة، من خلال مؤلفاته، وتلاميذه من بعده. طبع في دار

ابن الجوزي بالدمام عام ١٤١٣هـ.

٢- حياة الشيخ عبدالرحمن السعدي في سطور، جمع وإعداد: أحمد القرعاوي، تجمع باختصار حياة السعدي الشخصية والعلمية.

٣- صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله للأستاذ: عبدالله بن محمد الطيَّار، بحث فيه حياة الشيخ الشخصية والعلمية، ومذهبه، وذكر شيوخه وتلاميذه، وثناء العلماء عليه، وما رثي به من قصائد ونحوها. طبع في دار ابن الجوزي بالدمام عام ١٤١٣هـ.

٤- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي مفسراً للدكتور: عبدالله بن سابح بن صالح الطيار، رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه، بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٧هـ، بين فيها حياة الشيخ ومنهجه وأثره وطريقته في التفسير.

٥- الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، للأستاذ: عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد. رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية لعام ١٤٠٧هـ. فيها بيان جهود السعدي في توضيح العقيدة وبيان منهجه في ذلك.

٦- الشيخ عبدالرحمن السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله، للباحث: عبدالله بن محمد الرميَّان. رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة بجامعة الإمام فرع المدينة عام ١٤١٤هـ. بيّن فيها الجانب الدعوي في حياة السعدي، واستنباط الدروس والعبر من حياته في الدعوة.

٧- الشيخ عبدالرحمن السعدي حياته، علمه، منهجه في الدعوة إلى الله، للباحث: عبدالعزيز بن سعود العمَّار. رسالة ماجستير مقدمة للمعهد العالي

للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٥-١٤٠٦هـ. استنبط القضايا الدعوية عند السعدي في تفسيره فحسب.

٨- الفكر التربوي عند الشيخ عبدالرحمن السعدي دراسة تحليلية ناقدة، د. عبدالعزيز بن عبدالله الرشودي. تناول الأُطر المؤثرة في فكر السعدي، وحياته الشخصية والعلمية، وأطال في التربية والعلم والتعليم عند السعدي، طبع في دار ابن الجوزي عام ١٤٢٠هـ.

٩- ترجيحات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في التفسير جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير في القرآن وعلومه للباحث: عبدالله بن أحمد زقيلي، قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام بالرياض عام ١٤٢٥-١٤٢٦هـ.

١٠- استنباطات الشيخ عبدالرحمن السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة، رسالة دكتوراه للباحث: سيف بن منصر الحارثي، قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام بالرياض عام ١٤٣١هـ.

١١- قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشيخ السعدي القواعد الحسان وتيسير الكريم الرحمن نموذجاً. للطالب: هشام شوقي، رسالة ماجستير في قسم أصول الدين لكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر -باتنة- بالجمهورية الجزائرية. ترجم للشيخ، وفصّل في دراسة كتاب القواعد الحسان، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ثم دراسة تطبيقية للقواعد التي ذكرها الشيخ في كتابه القواعد الحسان.

١٢- فقه الشيخ ابن سعدي رحمه الله للأستاذ: عبدالله بن محمد بن أحمد الطيَّار، والدكتور: سليمان بن عبدالله أبا الخيل.

١٣- سيرة العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، للباحث: محمد حامد الفقي. عبارة عن مجموعة من المقالات لبعض العلماء والأدباء في وصف حياة السعدي العلمية والشخصية، طبعت في القاهرة، مطبعة السنة المحمدية.

١٤- مجتنى الفوائد الدعوية والتربوية من مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، للباحث: محمد بن عبدالله الوائلي.

ومع كل هذه المؤلفات المتنوعة لم أجد من أفرد الحديث عن ملَكَته التفسيرية، أو ضمّنَها بحثَه، فلذا رأيت المشاركة في هذه الدراسة التي تبين ما وصل إليه السعدي من الملَكَة والصّنْعة التفسيرية التي بان أثرها فيما كتبه في التفسير وقواعده، وأسميته: (الملكة التفسيرية عند الشيخ السعدي رحمه الله).

والله الموفق والمسدد والمعين.

خطة البحث:

المقدمة: وفيها تعريف مختصر بالشيخ والإشارة لمؤلفاته في التفسير، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه التعريف بالملَكَة التفسيرية ومعالمها عند الشيخ السعدي.

المبحث الأول: ملكة التفسير عند الشيخ السعدي.

المطلب الأول: تبحره في العلوم الضرورية لعلم التفسير.

المطلب الثاني: تفسيره بالسياق مع علمه بأحوال النزول.

المطلب الثالث: عمق فهمه ودقة استنباطه.

المبحث الثاني: ملكة أصول التفسير عند الشيخ السعدي.

المطلب الأول: سبقه في تأليف قواعد التفسير.

المطلب الثاني: التميّز في عرض قواعد التفسير وتنوعها.

المطلب الثالث: التربية بأصول التفسير ومقاصده.

الخاتمة.

المراجع.

فهرس الموضوعات.

أسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد.

التمهيد

قبل الدخول في صلب البحث يحسن التمهيد ببيان معنى الملَكَة التفسيرية، وبعض المعالم التي امتلكها الشيخ السعدي رحمه الله في التفسير.

أولاً: تعريف الملَكَة لغةً: الميم واللام والكاف أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّةٍ في الشيء[1]، ومنه: مَلَكه يَمْلِكه مَلْكاً ومِلْكاً ومُلْكاً ومَلَكَةً ومَمْلَكَة ومَمْلُكة ومَمْلِكة[2].

قال ابن سيده: (المَلْكُ والمُلْكُ والمِلْك: احتواء الشيء والقدرة على الاستبدادبه)[3].

وأما اصطلاحاً: فالملَكَة تطلق على معنيين[4]:

المعنى الأول: الصفة الراسخة في النفس، وتحقيقه أنها هيئة تحصل للنفس بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفيةٌ نفسانية، وتسمّى حالةً ما دامت سريعةَ الزوال، فإذا تكرّرت ومارسَتْها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها، وصارت بطيئةَ الزوال صارت ملَكَة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادةً وخلقاً[5].

المعنى الثاني: ما يقابل العدم، وهو الوجود[6]، أي: الاستعداد والقابلية، فيكون

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٥١.

(٢) لسان العرب ١٠/ ٤٩١.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٣/ ١٨٥.

(٤) ينظر: الكليات ١٣٨١.

(٥) التعريفات ٢٩٦.

(٦) الكليات ١٣٨١، وأضاف هذا المصطلح إلى علم أهل المنطق.

فيه القدرة على الفعل أو الترك. والعدم المقابل له ارتفاعُ هذه الملَكَة[1].

كالحيوان مثلاً: عنده ملكة السمع والبصر فهو قابل لها، بخلاف الجماد فليس لديه هذه الملكة.

والمراد في هذا البحث هو المعنى الأول.

ثانيًا: تعريف التفسير لغةً: من فَسَرَ، والفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه. ومن ذلك الفَسْرُ[2]، والفَسْرُ البيان، فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه[3]، فهو البيان والإيضاح.

والتفسير اصطلاحًا: عُرف بتعريفات كثيرة ليس هذا محل بحثها ومناقشتها، وأقربها والله أعلم أن يقال: هو بيان ما أشكل من معاني القرآن الكريم.

قال ابن الجوزي: (التفسير إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي)[4].

وقال ابن منظور: (كشفُ المراد عن اللفظ المُشْكل)[5].

ثم صار في العرف: بيان معاني القرآن عموماً[6].

وبناء على هذا فالملَكة التفسيرية: هي صفة راسخة في النفس تحقق فهم مقاصد القرآن وبيان معانيه والاستنباط منه وفق الأصول الشرعية.

(١) ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٨٨٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٥٠٤.

(٣) لسان العرب ٥/ ٥٥.

(٤) زاد المسير ١/ ٤.

(٥) لسان العرب ٥/ ٥٥.

(٦) وبه عرفه ابن عثيمين رحمه الله في كتابه: أصول في التفسير ٢٧.

ثالثًا: الحديث هنا عن الشيخ السعدي رحمه الله سَيُركِّز على ملكته العلمية بكتاب الله تعالى، حيث وهبه الله تعالى العلم بفضله، ورزقه استعداداً فطرياً طبَعِياً وذكاءً بزكاءٍ، ويسر له العناية بالقواعد والكليات، مع الإلمام بمقاصد الشريعة، والنظر في أقوال المفسرين وحسن الاختيار بينها، مع التجربة والنجاح بممارسة الحياة عملياً بمخالطة الناس ومعرفة أحوالهم ودراسة واقعهم، ومزاولة الفتوى، ومعرفته بالسيرة والعلوم الاجتماعية وغيرها.

ولذا وفقه الله لإصابة الحق، واطرادٍ في التفسير، وسلامةٍ من التناقض، وفهمٍ شامل للمعنى التفسيري، وقدرة على الوصول لما فيه من الأسرار، وإصدار الأحكام الكلية، وتناول صحيح لمسائل الخلاف، وإدراكٍ لاتساق التفسير وتكامل المعاني، والطمأنينةِ لصحة ما وصل إليه، بعد التأهل للاجتهاد في التفسير، وبلوغه درجة الراسخين في العلم.

قال عنه الشيخ ابن باز رحمه الله: (كان رحمه الله كثير الفقه، والعناية بمعرفة الراجح من المسائل الخلافية بالدليل، وكان عظيم العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وكان يرجح ما قام عليه الدليل، وكان قليل الكلام، إلا في ما يترتب عليه فائدة، جالسته غير مرة في مكة والرياض، وكان كلامه قليلاً، إلا في مسائل العلم، وكان متواضعًا، حسن الخلق، ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل، فرحمه الله رحمة واسعة)[1].

هذه معالم لما وصل إليه الشيخ السعدي من ملكة تفسيرية، رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم، وفي هذا البحث جملٌ شاهدة وتطبيقات واضحة تكشف شيئاً من هذه الملكة العجيبة لديه.

---

(١) صفحات من حياة علامة القصيم ٩٧.

المبحث الأول ملَكة التفسير عند الشيخ السعدي.

المطلب الأول: تبحره في العلوم الضرورية لعلم التفسير.

تميّز السعدي رحمه الله في امتلاك قدرات العالم الرباني في جمْعِ أصول العلم، وامتلاك مهارة التعليم لمن بين يديه، والتأليف لمن بعده في تراث عظيم خلده التأريخ، رغم صعوبات البداية عند الشيخ رحمه الله، إلا أنه فاق أقرانه، وسلك طريق العلم من أبوابه الصحيحة، فامتلك المواهب الجليلة في العلم النافع والعمل الصالح، ومن معالم هذه الملكة المميّزة:

١ - نبوغه في عامة العلوم الشرعية وتأليفه فيها.

فألف في التفسير: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، والقواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، والمواهب الربانية من الآيات القرآنية.

وفي الحديث: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار.

وفي العقيدة: القول السديد في مقاصد التوحيد، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.

وفي الفقه: منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، والإرشاد إلى معرفة الأحكام.

وفي أصول الفقه: القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، ورسالة في القواعد الفقهية.

كما ألف في أبواب متفرقة في الآداب والمواعظ والخطب والفتاوى واللطائف والهدايات وغيرها.

وقد وصل إلى هذه الملكة في التآليف المتنوعة بعد رسوخه في العلم، وهدفُه

فيها كما يشير كثيراً نفعُ الناس وهدايتهم.

قال ابن بسام رحمه الله: (فلما بلغ أشده، ونضج علمه، ورسخ قدمه، شرع في التأليف)[1].

٢- كما تميّزت تآليفه بمقدمات تعريفية تبين الغاية من التأليف، مع الإشارة إلى أهم ما في الكتاب من موضوعات، ومن ذلك قوله في مقدمة القواعد الحسان: (أما بعد: فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم، جليلة المقدار عظيمة النفع، تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله، والاهتداء به، ومَخْبَرها أجلُّ من وصفها، فإنها تفتح للعبد من طرق التفاسير، ومناهج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة ..)[2].

ففي كلامه تمهيد للقارئ وتعريف له بأهمية المقروء.

٣- أن الشيخ السعدي رحمه الله صرف غالب وقته في التعليم، بأسلوب واضح سهل، بالتحرير والكتابة أو الإجابة للمستفتين، مع ظهور شخصيته العلمية المستقلة.

حيث ملك القوة في ترجيح ما يعضده الدليل، ولو قال الأكثر بخلافه، بمنهج مكتمل يصل إلى أفهام المتعلمين، وقد أكد هذا بقوله: (فإذا شرع المعلم في مسألة وضحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من التعبير، وضرب الأمثال، والتصوير والتحرير، ثم لا ينتقل منها إلى غيرها قبل تفهيمها للمتعلمين ..)[3].

وهو بهذا يقرر ما يقول ويعمل به من أهمية الوضوح في الشرح، ومراعاة

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢/ ٤٢٤.

(٢) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ١٥.

(٣) المجموعة الكاملة للسعدي ٧/ ٤٥٤.

الأفهام، والتدرج في التعليم، وصناعة الطلاب لتولي التعليم، وقد ظهر أثر هذا في أسلوبه التفسيري بكل وضوح.

٤- التكامل بين مؤلفاته في تحقيق الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، وهي توحيد الله والتمسك بالكتاب والسنة قولاً وعملاً، وقد انتهج هذا جلياً في تفسيره.

٥- شمول تفسيره لبيان معاني القرآن بأسلوب شيّق وجذاب، ولذا جاء في الجديد من اللطائف التي لم يسبق لها في طريقة العرض والتوجيه، فأضاف فيه الجديد والمفيد.

وهذه القدرة القوية والعزيمة الصادقة من الشيخ السعدي رحمه الله في الجمع بين العلم المؤصل والتعليم المميّز والتأليف النوعي قلّ أن تجتمع في عالِمي زمانه، ومع ذلك الأسلوب السهل والطرح الميسر، مما جعل لكتبه القبول والأثر فيمن خلَفَه، وسخّر الله تعالى من بعده للعناية بكتبه تحقيقاً وتعليقاً وشرحاً واختصاراً.

وبهذا يظهر جلياً سرُّ هذه الملكة النوعية التي بانت معالمها وثمارها فيما سطره في التفسير وأصوله، فكان لهما نصيب طيب عند الشيخ رحمه الله بسطها في مؤلفاته الواسعة.

المطلب الثاني: تفسيره بالسياق مع معرفته بأحوال النزول.

كَتَبَ الشيخ السعدي في وسط صفحة غلاف التفسير ما يلي: (تنبيه: اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكر ما يتعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنه [مثاني] تُثنّى فيه الأخبار، والقصص، والأحكام، وجميع المواضيع النافعة، لحكمٍ عظيمة، وأمر بتدبّره جميعه؛ لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف،

وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها)[1].

فتفسير السعدي مع اختصاره إلا أنه كاف وافٍ ببيان المعنى المراد من كلام الله تعالى بوجهٍ مركّزٍ دقيقٍ وسهل يسير على أفهام الناس أجمعين.

وفي كل موضعٍ يفسر كامل الآيات حسب ما يقتضيه السياق، دون إحالة على ما سبق من الآيات المشابهة لها، فيبسط في بعضها ما ليس في الآخر.

وهذه ملكة عظيمة تميز بها الشيخ رحمه الله في فهم السياقات المختلفة في آيات القرآن وتفسير الآية مراعياً جميع جوانبها والمقابلة بينها وبين نظيرها في المواضع الأخرى، مع حضور الهدف الأساس عنده في جميع سياقات القرآن، وهو هداية الخلق كلهم على اختلاف أنواعهم ومنازلهم، مع ما وهبه الله من إلمام بعلوم العربية المساعدة لفهم كلام الله تعالى.

يقول السعدي رحمه الله: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٧] أي: وهل نجازي جزاء العقوبة - بدليل السياق - إلا من كفر بالله وبطر النعمة؟..)[2].

ويذكر لطائف وقواعد في السياق فيقول مثلاً: (.. وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم لا يختص به: ذكر الحكم وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين، فلهذا لم يقل: [وما كيدهم إلا في ضلال]

---

(١) تفسير السعدي ١٥.

(٢) تفسير السعدي ٦٧٧.

بل قال: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٥][1].

وهو رحمه الله يؤصّل هذا المبدأ لمن أراد أن يفسر القرآن في مقدمة تفسيره، فيقول: (وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها)[2].

ومن أعظم مزايا تفسير السعدي رحمه الله تناسق التفسير مع القرآن بأسلوب سهل واضح حيث يذكر جزءاً من الآية، ثم يفسيرها، ثم يعود للآية ويفسرها تباعاً؛ بترابط عجيب بين المعاني، وذكْرِ ما يحضره من الفوائد حسب المقامات مع دمج الإيمانيات والهدايات في التفسير مما يترك أثراً في نفوس القراء، وهذا من أعظم مقاصد القرآن.

كما أن له عنايةً بارزة في المناسبات بين الآيات والجمل؛ فكثيراً ما يقول في تفسيره: ولما ذكر الله كذا ذكر كذا، كما في حديثه على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ

(١) تفسير السعدي ٧٣٦.

(٢) تفسير السعدي ٢٩، ٣٠.

نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس: ٢٤] قال بعدها: (ولما ذكر الله حال الدنيا، وحاصل نعيمها، شوق إلى الدار الباقية، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥][1].

وبعد تفسير قوله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] قال: (فلما ذكر حكمه القدري وهو التدبير العام، وحكمه الديني وهو شرعه، الذي مضمونه ومقصوده عبادته وحده لا شريك له، ذكر الحكم الجزائي، وهو مجازاته على الأعمال بعد الموت، فقال: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾[يونس:٤] أي: سيجمعكم بعد موتكم، لميقات يوم معلوم)[2].

ومع اهتمام السعدي رحمه الله بالسياق والمناسبات بين الآيات فهو يعرض أحوال النزول بصورة تجعل الذهن يعيش ما كان عليه النزول؛ فيقول مثلاً في بداية سورة المجادِلة: (نزلت هذه الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الله، وجادلته إلى رسول الله ﷺ لما حرّمها على نفسه، بعد الصحبة الطويلة، والأولاد، وكان رجلاً شيخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وكررت ذلك، وأبدت فيه وأعادت)[3]. ثم بدأ بالتفصيل في تفسير الآيات.

واهتمام السعدي رحمه الله بالنزول ينقلك وأنت تقرأ تفسيره إلى العيش مع القرآن، وكأنه يخاطبك الآن، حيث إن العبرة عنده بعموم اللفظ لا بخصوص

---

(١) تفسير السعدي ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) تفسير السعدي ٣٥٧.

(٣) تفسير السعدي ٨٤٣.

السبب، فيقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤] (وهذه الآية، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد، لقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الصف: ٢ - ٣][1].

كما تجده إذا ذكر احتمالاً لبعض المعاني ووجد قولاً يجمع ما قيل في الآية يرجحه بكل ثقة لعدم وجود مانع في اللفظ، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الدخان: ١٠] وقوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الدخان: ١] (وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الدخان: ١٠] أن هذا كله يكون يوم القيامة.

و قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان: ١٥-١٦] هذا ما وقع لقريش كما تقدم، وإذا نُزِّلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك؛ بل تجدها مطابقةً لهما أتم المطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح، والله أعلم)[2].

وكثيراً ما يرجح بالسياق، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣]،ثم لما كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها، وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف استدركت، فقالت: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾ أي: من المراودة والهمِّ، والحرص الشديد، والكيد في ذلك. ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾.... إلى أن قال: (وهذا هو الصواب أن هذا

---

(١) تفسير السعدي ٥١.

(٢) تفسير السعدي ٧٧١.

من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر)[1].

وفي قوله تعالى ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٣ - ٤] قال متدبّراً وواعِظاً ومرجّحاً بالسياق: (أي: ذو العلو والجلال والعظمة، والتدبير لسائر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها على تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برَّها وفاجرَها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سماء إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فتُحيّي ربها وتسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر والإعظام.

وأما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها، وأُعِيدت إلى الأرض.

ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة والأرواح، وأنها تعرج في يوم بما يسَّر لها من الأسباب، وأعانها عليه من اللَّطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها، وما تنتهي إليه من الملأ الأعلى، فهذا الملك العظيم، والعالم الكبير، علويه وسفليه، جميعه قد تولى خلقه وتدبيره العلي الأعلى، فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، وعلم مستقرهم ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره ورزقه، ما عمّهم وشملهم وأجرى عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي وحكمه الجزائي.

فبؤساً لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على

---

(١) تفسير السعدي ٤٠٠.

وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم وعافاهم ورزقهم.

هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة؛ فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا)[1].

وقال تعالى: (﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ [الحديد:٢٧] قال السعدي: (خصّ الله عيسى عليه السلام؛ لأن السياق مع النصارى، الذين يزعمون اتباع عيسى عليه السلام)[2].

فمراعاة السياق مع المعرفة بقصة الآيات ومعانيها وأحوالها وذكر هذه اللفتات البيانية مما اهتم به السعدي رحمه الله وأضافَ جمالاً على تفسيره.

وهذه الملكة في التفسير السياقي عند الشيخ السعدي ظاهرة في جميع تفسيره، حيث يجد المطّلع على التفسير ربط المعاني بالسياق بطريقة غير متكلفة، وهذا بالتأكيد له أثر كبير في فهم الآيات واستشعار الأحوال والمعاني.

المطلب الثالث: عمق فهمه ودقة استنباطه.

ضرب السعدي أروع الأمثلة في تفسيره بما يدل على ملكته الكبيرة لفهم الآيات واستخراج الكثير من الفوائد واللطائف والعبر والحِكَم والأحكام، والغوص في معاني الآيات لاستخراج ما خفي فيها من المعاني.

فمن قرأ في تفسيره وجده مُعِيناً على التدبر والتأمل الأمْثَل لمقاصد كتاب الله تعالى؛ مما يزيد في محبة القرآن، والاهتداء بهداياته، ومعرفة معانيه، والوقوف على أحكامه.

---

(١) تفسير السعدي ٨٨٥.

(٢) تفسير السعدي ٨٤٢.

كما أنه لا يفوّت مقاماً يرى فيه المناسبة لتربية النفوس وتزكيتها بكلام الله، إلا وأبدع في عبارات جميلة لطيفة فيها العمق الدلالي للجمع بين التفسير والتزكية به، والتربية على الأخلاق ومعالي الأمور.

حيث يقول السعدي رحمه الله ضمن تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ [هود: ٦٩]: (ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، وردّه بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية)[1].

ويَستنبِط السعدي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [هود: ١٤] أن علم القرآن والتوحيد يجب فيهما العلم ولا يكفي غلبة الظن، فيقول: (وفيها: أنّ مما يُطلبُ فيه العلم، ولا يكفي غلبَة الظنّ، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[هود: ١٤][2].

ويعْقدُ السعدي رحمه الله المقارنةَ بين محنة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ومحنته مع إخوته وأنواع الصبر فيهما، وأيهما أشد مع ذكر الأسباب، فيقول: (هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرا، لأنه صبر اختياراً مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد

---

(١) تفسير السعدي ٣٨٥.

(٢) تفسير السعدي ٣٧٨.

بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرما في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن راودته التي هو في بيتها عن نفسه أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر)[1].

فهو بهذه المقارنة يعطي دروسـاً عميقة في دلالات الآيات واستنباط المعاني بأن الصبر أنواع وبعضها أشد من بعض، ومن نجح في التعامل مع الأشد نجح فيما دونه من باب أولى.

وربطُ السعدي رحمه الله للمعاني في السياقات أمرٌ عجيب، مع استخدام أسلوب السؤال والجواب الذي يدل على قوة الفهم وجمال الاستنباط، ومن ذلك قوله رحمه الله بعد تفسيره قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾ [الزمر: ١٧]، قال: (ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره اللّه ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾[الزمر: ١٧ - ١٨] ... إلى أن قال: (وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدُوحِين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسَنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن مَنْ آثره علِمْنا أنه من أولي الألباب؟ قيل: نعم، أحسنه ما نص اللّه عليه ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣] الآية)[2]. وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله ﷺ[3].

---

(١) تفسير السعدي ٣٩٦.

(٢) تفسير السعدي ٧٢١.

(٣) ينظر: تفسير السعدي ٧٢٢.

ثم عندما يتكلم رحمه الله في تفسير بعض الآيات لا يتوقف عن الاستنباطات منها حتى يشبعها بياناً، ففي آية الوضوء مثلاً ذكر واحداً وخمسين حكماً، حيث قال: (هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها ما يسره الله وسهله.

أحدها: أن هذه المذكورات فيها[1] امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ﴾ [المائدة: ٦] إلى آخرها. أي: يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم.

الثاني: الأمر بالقيام بالصلاة، لقوله: ﴿قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦.[

الثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] أي: بقصدها ونيتها.

الرابع: اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.

الخامس: أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة...

إلى أن قال: (الحادي والخمسون: أنه ينبغي للعبد أن يتدبر الحِكَم والأسرار في شرائع الله في الطهارة وغيرها، ليزداد معرفة وعلما، ويزداد شكرا لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة)[2].

فتجد هذه المهارة العلمية عند السعدي رحمه الله، فيذكر في الآية من الفوائد واللطائف والأحكام والمعاني ما لم يُسبق إليه.

ومن ذلك ما خالف به السعدي رحمه الله كثيراً من المفسرين في تفسيره في سورة [ص] حينما تحدث في قصة داود عليه السلام، رجح أن الله لم يذكر الذنب

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب أن (فيها) زائدة. ينظر: تفسير السعدي ٢٢٢.

(٢) تفسير السعدي ٢٢٢.

الـذي كان مـن داود عليه السـلام؛ لعدم الحاجـة لذكره، حيث قـال: (﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾[ص: ٢٥] الـذي صدر منه، وأكرمه اللّـه بأنواع الكرامات، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا﴾ أي: منزلة عالية، وقربة منا، ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي: مرجع.

وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره اللّه لعدم الحاجة إلى ذكـره، فالتعرض لـه من باب التكلف، وإنمـا الفائدة ما قصه اللّـه علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها)[1].

وهو بهذا يسـكت عن الإسـرائيليات التي ذكرت في هذه القصة، ويشير لأهمية الوقـوف علـى المقصـود من الآيـة، وهو الاسـتغفار والتوبـة والخوف مـن الفتنة والعقاب.

فتفسـير السـعدي رحمه الله جمع بين البيان والدقة في المعاني والغايات، وهي هِبة من هِبات الله تعالى وهَبَها للشيخ السعدي رحمه الله.

(١) تفسير السعدي ٧١١.

المبحث الثاني ملكة أصول التفسير عند الشيخ السعدي.

المطلب الأول: سبقه في تأليف قواعد التفسير.

الكتابة في قواعد التفسير (كفن مستقل) قليلة، بل نادرة، فلا نستطيع التفصيل في الحديث عن نشأة هذا العلم، ولا زالت قواعد التفسير بحاجة إلى دراسة تأصيلية.

إلا أن ابتداءه كان من العهد النبوي مع نشأة التفسير؛ لكنها كتابات متفرقة مبثوثة ضمن كتب التفسير أو كتب علوم القرآن أو غيرها.

ثم في القرن الثاني: ظهرت جملة مدونة من الكتب، ومنها كأول كتاب في أصول الفقه (الرسالة) للشافعي الذي تطرق لشيء من القواعد في أصول الفقه وبينها وبين قواعد التفسير نقاط التقاء.

ثم في القرنين الثالث والرابع: اتسع التدوين في كتب التفسير واللغة كـ(تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة)، وتفسير الطبري، وأحكام القرآن للطحاوي، وأحكام القرآن للجصاص، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس.

ثم في القرنين الخامس والسادس: تطور التآليف في أصول الفقه واللغة والتفسير: كـ الإحكام لابن حزم، والبرهان للجويني، وأصول الفقه للسرخسي، والمستصفى للغزالي، والمحرر الوجيز لابن عطية، وفنون الأفنان لابن الجوزي، وغيرها.

وفي القرنين السابع والثامن: برزت مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، والبرهان للزركشي، والمنثور في قواعد الفقه، والبحر المحيط في أصول الفقه، ومؤلفات ابن رجب، وغيرها.

وهكذا ظلت قواعد التفسير مبثوثة في بطون الكتب في القرون الخمسة التالية.

حتى جاء القرن الرابع عشر الهجري، فاستقل التأليف في قواعد التفسير كمصطلح خاص للقواعد التفسيرية ابتداء بكتاب السعدي رحمه الله (القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن).

فذكر فيه إحدى وسبعين قاعدة مع أمثلتها (وقد حققه د. خالد السبت). جمع فيه قواعد في التفسير، وقواعد فقهية مستنبطة من القرآن، وفوائد ولطائف، وقواعد قرآنية توضح منهج القرآن في بعض القضايا كمقابلة الوعد بالوعيد، وغيرها.

ومن هنا نحسب للإمام السعدي هذا السبق في التأليف المقاصدي الأصولي والذي يعدّ إضافة علمية للمكتبة القرآنية في كليات قرآنية وقواعد تفسيرية، حيث برع في عرض هذه القواعد التي نشأت بعد تجربة وتطبيق عملي في تفاسيره رحمه الله.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أهمية معرفة القواعد قبل الدخول في الجزئيات فقال: (لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، و إلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات)[1].

فتأليفه لهذه القواعد تأسيس وتقعيد لأصول التفسير وما ينبغي للمفسر أن يتمكن منه؛ كي يصيب في تنزيلها على الفروع، ولإدراكه مدى الحاجة لمعرفة قواعد التفسير قبل الشروع فيه، ومع ضعف التعليم الرسمي في بداية عصر الشيخ السعدي إلا أنه تجاوز هذه المرحلة بالقراءة والتعلم الذاتي وبملازمة علماء بلده، فنبغ في هذه الأصول وصنع لنفسه ملكة خاصة في الاستنباط والتدليل، وكتب هذه القواعد العظيمة النفع لتعين على فهم كلام الله والاهتداء به، حيث يقول عنها:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ٢٠٣، منهاج السنة ٥/ ٨٣.

(ومَخْبَرُهـا أجـلّ من وصفِها، فإنها تفتح للعبد من طرق التفسـير ومنهاج الفهم عن الله ما يعين على كثير من التفاسير الحالية في هذه البحوث النافعة)[1].

وكتابة الشـيخ لهذه القواعد بعد كتابته للتفسـير أشـبه ما يكون بوضع الميزان الذي يحمي المفسـرَ من الخطأ في تفسـيره، فهي علم وسـيلة والتفسـير علم غاية، كالنحو بالنسبة للكلام العربي، والله أعلم.

(١) مقدمة القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ١٥.

المطلب الثاني

التميّز في عرض قواعد التفسير وتنوعها.

تميّزَ السعدي رحمه الله في عرضه لقواعد التفسير فبيّن في مقدمته أنّ علمَ التفسير أجلُّ العلوم على الإطلاق، وأفضلها، وأوجبها، وأحبها إلى الله، وجمع فيها أصولاً مهمة لتدبر كتاب الله، والتفكر في معانيه، والاهتداء بآياته، ونوّع في عرضها مع الإيجاز، وأشار إلى أن قضاء العمر مع القرآن وتدبره ليس كثيراً، ففيه أفضل المطالب، وأعظم المقاصد، وأصل الأصول كلها، وقاعدة أساسات الدين، وصلاح أمور الدين والدنيا والآخرة.

فقواعد التفسير تتميّز بأن موضوعها القرآن الكريم، الذي هو أصل العلوم النافعة كلها، وفيه خير العاجل والآجل، وهذه القواعد تعين على فهمه، ومن أتقن القواعد تمكن من الاستنباط وتمييز الأقوال، وانفتحت له معان قرآنيةٌ كثيرة جداً، وصار بيده آلة يتمكن بها من الفهم والاستنباط، ويصبح عنده ملَكَةٌ تجعله يُحسن الاختيار والترجيح بين الأقوال المختلفة، ويأمن من الاضطراب والخطأ والانحراف في التفسير.

وفي هذه القواعد تيسير أمرِ العلم على المتعلم، وتسهيل تحصيله وفهمه، واختصار وقته.

فمن لم يعرف الأصول حرم الوصول، ومن حفظ مسائل كثيرة دون أصل لم يعرف ما خرج عنها، لكن لو عرف الباحثُ الضابطَ والأصلَ لحكمَ على جميع الجزئيات.

يقول السعدي رحمه الله: (والأصول تُبنى عليها الفروع، والفروعُ تثبت

بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى، وينمي نماء مطرداً..)[1].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (فأنا أحث إخواني على معرفة الأصول والضوابط والقواعد لما فيها من الفائدة العظيمة، وهذا شيء جربناه وشاهدناه مع غيرنا على أن الأصول هي المهم)[2].

وفي ضبط القواعد: ثبوت العلم وقوته وزيادته، فالقاعدة للعلم كالأصل للشجرة، فقوة ثباته ورسوخه أدعى لنماء الشجرة وحسن ثمارها.

فلذلك نوّعَ السعدي رحمه الله القواعدَ في كتابه ما بين قواعد في طرق القرآن:

كطريقة القرآن في تقرير التوحيد ونفي ضده، وطريقته في تقرير نبوة محمد ﷺ، وطريقته في تقرير المعاد، وغيرها، وما بين قواعد في علم التفسير: كقاعدة كيفية تلقي التفسير.

وقواعد في أسلوب القرآن: كطريقة القرآن في أمر المؤمنين وخطابهم، وطرقه في دعوة الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم، وقواعد في مقاصد أمثلة القرآن وقصصه.

وقواعد أصولية وفقهية: كدلالات الألفاظ، وكالأمر بالشيء نهي عن ضده، والرجوع إلى المتيقن حال الاشتباه، والأجر على قدر المشقة.

وقواعد تربوية: كمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وأثر الصبر وما يعين عليه، وحث الشارع على الصلاح والإصلاح.

كما تضمن الكتاب قواعد في التفسير وعلوم القرآن كثيرة: كالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وحذف المتعلق يفيد العموم، والمفرد المضاف واسم

(١) طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ٤.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢٦/ ٢٠٥.

الجمع يفيدان العموم، وغيرها.

ومِن تَميُّز السعدي رحمه الله وملَكَته التفسيرية في هذه القواعد استنباطاته النوعية الدالة على سعته العلمية، ولنقف على شيء من ذلك مثلاً:

قوله في قاعدة إرشادات القرآن -بعد عرض العلوم التي أرشد القرآن لها-: (وهذا يدل على أن تعلم الصناعات والمخترعات الحادثة من الأمور المطلوبة شرعاً، كما هي مطلوبة لازمة عقلاً، وأنها من الجهاد في سبيل الله، ومن علوم القرآن ..)[1].

وهذا من الاستنباطات المقاصدية للقرآن.

وفي قاعدة بيان المرض في القرآن قال: (مرض القلوب نوعان: مرض شبهات وشكوك، ومرض شهوات المحرمات، والطريق إلى تمييز هذا من هذا - مع كثرة ورودهما في القرآن - يُدرَك من السياق؛ فإن كان في ذم المنافقين والمخالفين في شيء من أمور الدين كان هذا من مرض الشكوك والشبهات، وإن كان السياق في ذكر المعاصي والميل إليها كان مرض شهوة)[2].

ثم ذكر وجه انحصار المرض في هذين النوعين بأن صحة القلب الكاملة بشيئين: كمال علمه ومعرفته ويقينه، وكمال إرادته ما يحبه الله ويرضاه، فالقلب الصحيح هو الذي عرف الحق واتبعه، وعرف الباطل وتركه، فمن الأول: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]، ومن الثاني: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾[الأحزاب: ٣٢]، وقد يجتمع الأمران فيكون القلب منحرفاً في علمه، وإرادته.

ففي هذه القواعد معالمُ واضحة لجادّة الطريق الصحيح للباحث في علم

---

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٦٧-٦٨.

(٢) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٨٥.

التفسير، واستحضار لمنهج الصحابة ﷺ في تلقّيه.

قال السعدي رحمه الله في القاعدة الأولى بعد ذكر منهج الصحابة في تلقي معاني القرآن: (فمن سلك هذا الطريق الذي سلكوه، وجدّ واجتهد في تدبر كلام الله، انفتح له الباب الأعظم في علم التفسير، وقويت معرفته، وازدادت بصيرته، واستغنى بهذه الطريقة عن كثرة التكلفات)[1].

ومما عرضه في القواعد قاعدة: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم.

وهي قاعدة في علم المناسبات بين الآية وما ختمت به من الأسماء الحسنى، وهي مما قد يغفل عنه كثير من المفسرين، ومن تتبع آيات القرآن تبين له العلاقة القوية بين الآيات والأسماء المختومة بها، ومن ثمراتها أن كل هدايات القرآن نابعة عن أسماء الله وصفاته، وهو باب عظيم في معرفة الله، ومعرفة أحكامه، ولذا أطال فيها الشيخ السعدي وبين الكثير من الأمثلة عليها، وقال رحمه الله: (ولا تكاد تجدها في كتب التفسير إلا يسيراً منها، قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] فذِكرُ إحاطةُ علمه بعد ذِكرِ خلقه للأرض والسماوات يدل على إحاطة علمه بما فيها من العوالم العظيمة، وأنه حكيم حيث وضعها لعباده، وأحكم صنعها في أحسن خلق وأكمل نظام، وأن خلقه لها من أدلة علمه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] فخلقه للمخلوقات وتسويتها على ما هي عليه من إنسان وحيوان ونبات وجماد من أكبر الأدلة العقلية على علمه، فكيف يخلقها وهو لا يعلمها؟)[2].

---

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ١٧.

(٢) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٥٢.

ثم أفاض بذكر الأمثلة وتناسبها في ختام الآيات بالأسماء الحسنى في أكثر من عشرين موضعاً، ومنها قوله: (ولما ذكر عقوبة السارق قال في آخرها: ﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٨] أي: عز وحكم فقطع يد السارق، وعز وحكم فعاقب المعتدي شرعاً وقدراً وجزاء)[١].

حتى ختمها بقوله: (ومن ألطف مقامات الرجاء: أن يذكر أسباب الرحمة وأسباب العقوبة، ثم يختمها بما يدل على الرحمة؛ مثل قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩﴾ [آل عمران:١٢٩] وقوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٣] فذلك يدلّ على أن رحمته سبقت غضبه وغلبته وصار لها الظهور، وإليها ينتهي كل من فيه أدنى سبب من أسباب الرحمة، ولهذا يخرج من النار من كان في قلبه أدنى حبة خردل من الإيمان، ولنقتصر على هذه الأمثلة فإنه يعرف بها صفة الاستدلال بذلك)[٢].

ويتضح من ختمه بالإشارة أنه اقتصر على ما ذكره من الأمثلة، ليؤصل أنها قاعدة مطردة في كتاب الله تعالى في جميع الآيات المختومة بالأسماء الحسنى، وقد بسطها في تفسيره في جميع المواضع، وأعاد تفسير الأسماء الحسنى حيث تكررت في أواخر الآيات، إيماناً منه بأنها من أهم المهمات، وأن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسماء الله وصفاته، ومرتبط بها[٣].

وقد اعتنى السعدي رحمه الله بقواعد التفسير تطبيقاً على التفسير قبل أن يؤلف

---

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٥٥.

(٢) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٥٧.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٧٠.

كتاب القواعد، ولذا فعندما تتأمل في تفسيره تجد اعتماده على التعليل بقواعد كثيرة، وبعضها لم يذكرها في كتابه القواعد الحسان، ومن ذلك مثلاً:

قاعدة: تقديم المعمول يفيد الحصر، حيث قال السعدي رحمه الله: (وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك)[1].

وقاعدة: ثبوت الشيء يستلزم ضده، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦﴾ [النساء: ٦٦] قال السعدي رحمه الله ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده)[2].

وقاعدة كل فعل مدح الله فاعله فهو مما يحبه الله، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف: ٢٨] (والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام. وفي الآية: استحباب الذكر والدعاء والعبادة طرفي النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دلّ ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه)[3].

---

(١) تفسير السعدي ٣٩.

(٢) تفسير السعدي ١٨٥.

(٣) تفسير السعدي ٤٧٥.

فهذه أمثلة على تطبيق السعدي للقواعد التفسيرية وعرضٌ لها في تفسيره بطريقة التعليل للمسألة الواردة في السياق، والإفادة بعموم الحكم لكل ما جاء على نفس سياقها ومدلولها.

وهذا أسلوبٌ عالٍ في التعليم وتقعيده وتأصيله، وملَكَة عامة، بعدم الوقوف على المثال الواحد والحكم على الأفراد، بل يعطيك الحكم والمعنى بوضوح ويقويك بالآلة لتقيس عليه ما شابهه، والله أعلم.

المطلب الثالث

التربية بأصول التفسير ومقاصد القرآن.

مما ركّز عليه السعدي وتميز به رحمه الله مراعاة المآلات، والتربية من خلال أصول التفسير وقواعده، وهذا أمر بارز في غالب ما كتبه رحمه الله؛ وفي القواعد الحسان خصيصاً، فغالب القواعد يبيّن اتجاه السعدي رحمه الله في العناية بمقاصد القرآن، ومن الأمثلة على ذلك:

القاعدة الثانية والعشرون: في مقاصد القرآن، وبعدها أنواع إرشادات القرآن، وبعدها حث القرآن على التوسط، وبعدها: أمر الله بحفظ حدوده، ثم في القاعدة الخامسة والثلاثين: دلالة القرآن على تحصيل أعلى المصلحتين وارتكاب أخف الضررين، وفي القاعدة الحادية والأربعين: بيّن حقوق الله وحقوق رسوله ﷺ الخاصة والمشتركة، وهكذا[1].

هذا الاهتمام وما تضمنته هذه القواعد من تأصيل علمي وتمثيل قرآني على بيان مقاصد القرآن وتربية المسلم على هذه المبادئ ومعرفة الغايات والمقاصد.

يقول السعدي رحمه الله: (اعلم أن القرآن الكريم احتوى أعلى وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع، فقد احتوى على أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأوضحه ..)[2].

ثم يذكر ما فيه بيان هذه المواضيع بأسلوب سهل واضح، فيركز على أمثال القرآن التي لا يخلو جزء من القرآن منها؛ لأن فيها حياة القلوب، وشدّ البصر والبصيرة، كما قال تعالى﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ العنكبوت: ٤٣ وفيها

---

(١) ينظر: القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٦١، ٦٦، ٨٨، ٩٧.

(٢) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٦١.

مدح لمن يفهم الأمثال.

فقد ذكر السعدي أن في المثل إيضاح المعاني النافعة وتمثيلها بالأمور المحسوسة؛ ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين، وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه[1].

وقال بعد أن بين أمر الله بحفظ حدوده والنهي عن تعديها وقربانها: (فالخير والسعادة والفلاح في معرفة حدود الله، والمحافظة عليها، كما أن أصل الشر وأسباب العقوبات الجهل لحدود الله، أو ترك المحافظة عليها، أو الجمع بين الشرّين)[2].

والتربية عند السعدي علمٌ وعمل، وهما سبب صلاح الإنسان في هذه الدنيا ونجاته في الآخرة، حيث يقول: (فمن فضل الله على الأمة أن منّ عليهم بهؤلاء العلماء الربانيين المربين لهم بنوعين من أنواع التربية العالية، أحدهما: التربية العلمية يربونهم بصغار العلم قبل كباره، .. والنوع الثاني: التربية العملية، يربون أخلاقهم ويحثونهم على كل خلق حميد)[3].

فالتربية العلمية عنده هي العلم النافع، والتربية العملية هي العمل الصالح، وبهاتين التربيتين يخرج الإنسان من وصف الجهالة إلى الطمأنينة[4].

قال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١](فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد في العقل، وينمو به اللب، لكون معانيها أجل المعاني، وآدابها أجل الآداب، ولأن الجزاء من جنس العمل، فكلما استعمل عقله للعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي

(١) ينظر: القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٦١، ٦٢.

(٢) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ٧١.

(٣) المجموعة الكاملة للسعدي ٣/ ٤٠٩.

(٤) ينظر: فوائد مستنبطة من قصة يوسف، المجموعة الكاملة ١/ ١٣٢.

دعاه إليها، زاده من ذلك)[1].

فالسعدي رحمه الله تميّز في هذا الباب وصار يتحدث عنه ويوجه إليه في غالب كتاباته التفسيرية، قال ابن عثيمين في تقديمه على تفسير السعدي ضمن ميزات التفسير: (أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة،كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]ومن أجل هذا أشير على كل مريدٍ لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم)[2].

حيث فسر السعديُّ الآية بأنها جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم، فيأخذ ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، والأمرُ بكل قول حسن وفعل جميل، ثم بين ما ينبغي أن يعامِل به العبدُ شياطين الإنس والجن، وفي أي حال:﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾[الأعراف: ٢٠٠] أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه،﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه﴿سَمِيعٌ ﴾لما تقول﴿عَلِيمٌ ﴾ بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾[الناس: ١] إلى آخر السورة[3].

والحديث عما ما كتبه السعدي في هذا الباب لا ينتهي، وفيما ذُكِر إشاراتٌ وهداياتٌ لما صار ملازماً للشيخ السعدي رحمه الله في جميع كتابته التفسيرية من التربية بالقرآن وتفسيره، والله أعلم.

---

(١) تفسير السعدي ٥٧٥.

(٢) تفسير السعدي ١١.

(٣) تفسير السعدي ٣١٣.

الخاتمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله، والشكر له على جزيل فضله وعظيم نعمائه، وصلى الله على خير خلقه وأشرف أنبيائه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا، أما بعد:

فقد تأملت في هذا البحث ما وصل إليه الشيخ السعدي رحمه الله من ملَكَة تفسيرية، وتجوّلْت في ما كتبه في التفسير وقواعده، فتوصلت للنتائج الآتية:

١- أن الشيخ السعدي رحمه الله قد أتقن صنعة المفسر وحاز الملَكَة التفسيرية بكل اقتدار،وهي العلم الراسخ في نفسه الذي حقق له فهم مقاصد القرآن ومعانيه، واستطاع الاستنباط منه وفق الأصول الشرعية.

٢- أن الشيخ السعدي رحمه الله أحسن توظيف الملكة التفسيرية في بيان معاني كلام الله تعالى، ومن معالم هذا التوظيف: التبحر في العلوم الضرورية لعلم التفسير، والفهم للسياقات المختلفة وأحوال النزول، وحسن النظر في أقوال المفسرين وجودة الاختيار، والفهم العميق والاستنباط الدقيق، والعناية بالقواعد والكليات، مع إلمامه بمقاصد الشريعة، وامتلاكه التجربة وممارسة واقع الحياة بمخالطة الناس ومعرفة أحوالهم وظروفهم، ومزاولة الفتوى، ومعرفته بالسيرة والعلوم الاجتماعية وغيرها.

٣- أن من آثار الملكة التفسيرية عند السعدي رحمه الله: حسنُ التآليف في التفسير وقواعده، والاطراد في التفسير، وتطبيق الأصول على الفروع، وتوظيف التربية والتعليم في التفسير، والسلامة من التناقض، والطمأنينةِ لصحة ما وصل إليه، والفهم الشامل للمعنى التفسيري، والقدرة على الوصول للأسرار وإصدار الأحكام الكلية، مع تناولٍ صحيح لمسائل الخلاف، وإدراكٍ لاتساق التفسير

وتكامل معانيه، مع التأهل للاجتهاد في التفسير، وبلوغه درجة الراسخين في العلم.

٤- أن غاية السعدي رحمه الله في غالب تآليفه دلالة الخلق إلى ما فيه صالحهم في الدنيا والآخرة، ولذا ترى أثر هذا ظاهراً في تفسير كل آية، وفي قواعد التفسير أصول لذلك وأمثلة.

٥- أن السعدى رحمه الله سابق لزمانه في أساليب العلم والتعليم والتربية، ولذا كان له أثر كبير في تلاميذه حسب ما نراه في الواقع.

٦- أن السعدي رحمه الله في تفسيره لم يكن مقلداً في التفسير، بل رجح ما يراه موافقاً للدليل أو التعليل الصحيح.

٧- أن السعدي رحمه الله في غالب تفسيره يأخذ بالقول الأعم، والذي يجمع ما قيل في الآية، وهذا من ملَكَته التفسيرية التي فيها مبدأ الاحتراز من طرح بعض الأقوال بلا دليل، وكذلك العمل بقاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب المعتبرة عند عامة العلماء، مع أنه كثيراً ما ينقل الأقوال دون ترجيح، ولعل هذا المنهج أيضاً تورعٌ منه لعدم ترجح أحدها لديه.

٨- أن السعدي رحمه الله موافقٌ لمن سبقه في غالب قواعد التفسير، ومع ذلك فقد ظهر تميّزه في إضافة بعض اللفتات والنكت والاستنباطات والفوائد واللطائف، وطريقة عرضها.

٩- تميز السعدي رحمه الله في عرض قواعد التفسير وتنوعها مع ضرب الأمثلة الموضحة لها.

١٠- أن السعدي رحمه الله طبّق قواعد التفسير وعلّل بها في تفسيره قبل أن يؤلف القواعد.

١١- عناية السعدي رحمه الله بالتربية والتعليم في ضوء التفسير، وجمعِه بين العلم والعمل في تطبيق ذلك.

١٢- دقة الاستنباط التي امتلكها السعدي رحمه الله من دلالات الآيات ووصوله منزلة الراسخين في العلم.

وقبل الختام أوصي بما يلي:

١. أهمية تأصيل قواعد التفسير، ودراسة منهج السعدي في قواعده دراسة تحليلية.

٢. استنباط القواعد التفسيرية التي اعتمدها السعدي في تفسيره ولم يذكرها في كتابه القواعد الحسان.

٣. أهمية العناية بكتب السعدي واكتشاف ما فيها من أسرار علمية وتربوية.

٤. دراسة ما تفرد به السعدي عما سبقه، قولاً أو منهجاً، واختياراته التي كان لها أثرٌ في تلاميذه.

٥. دراسة المناسبات بين الآيات والجمل عند السعدي رحمه الله؛ لاهتمامه بها كثيراً.

أسأل الله تعالى أن يرفع منازل الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في عليين، وأن يجمعنا به ووالدينا ومشايخنا ومن نحب في جنات النعيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجـــع

- إتحاف النبلاء بسير العلماء، تأليف: راشد بن عثمان الزهراني، دار الصميعي، السعودية، ط٢م ١٤١٨هـ.
- أثر علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي على الحركة العلمية المعاصرة، أ.د عبدالله بن محمد الطيار.
- التعريفات للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١/ ١٤٠٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، طبعة دار طيبة بالرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن اللويحق، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣/ ١٤٢٢هـ.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي. ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ.
- شرح أصول في التفسير لابن عثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١/ ١٤٣٤هـ.
- صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ أ. د عبدالله بن محمد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٣هـ.
- طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، مختارات من كتب ابن تيمية وابن القيم، للسعدي، دار البصيرة، جمهورية مصر العربية، ط١/ ٢٠٠٠م.
- علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، ط٢/ ١٤١٩هـ.
- فتح الرحيم الملك العلام فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد

والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للسعدي، اعتنى به: د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، طبعة دار ابن الجوزي، ط٣.

- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للسعدي، تحقيق د. خالد بن عثمان السبت، دار ابن الجوزي، ط٢/ ١٤٢١هـ.
- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ.
- لسان العرب لابن منظور، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر، ط١/ ١٤٢٣هـ.
- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤١٢هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢١هـ.
- المعجم الوسيط، إشراف عبدالسلام هارون، إخراج إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، المكتبية الإسلامية، تركيا، ١٣٩٢ه.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب وفاطمة أصلان، طبعة دار إحياء التراث العربي، ط١/ ١٤٢٢هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط٢/ ١٤١١هـ.

الاتجاه المقاصدي

في تفسير الشيخ ابن السعدي

د/ فاتح حسني محمود عبد الكريم

الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن

قسم الدراسات الإسلامية

بكلية التربية بالزلفي بجامعة المجمعة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على إمام المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فإنّ فهم القرآن غايةٌ عظيمة ومطلب نبيل؛ وأحسن الفهم غايةٌ أعظم ومطلب أنبل وأكمل وأسلم؛ فأحسن الفهم مدعاة لأحسن العمل، وأحسن العمل مقصد الابتلاء في هذه الدنيا؛ ومن هنا فإنّ من جملة ما يسدد الفهم ويجوِّده معرفة مقصد الكلام بحسب مراد قائله وبشروط واضعه؛ فإنّ معرفة مقصد المتكلم من كلامه هو هداية وبصيرة، تُنير الطريق وتُجنِّب الزلل.

وقد اهتم كثير من العلماء بالتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، ومن هؤلاء العلماء الإمام الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- في تفسيره[1] « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» وما لفت الانتباه لتفسير الشيخ مقاصدياً أنه جاء في عصر وحقبة زمان بدأ ينضج هذا العلم ويثمر، وهو القرن العشرين للميلاد، الذي ظهرت فيه مدرسة المنار في مصر، ومدرسة التحرير والتنوير في تونس، وكان تأليف تفسير ابن سعدي معاصراً لهاتين المدرستين؛ فكان للشيخ -رحمه الله- لبنةٌ في هذا الفن واتجاهٌ مع هاتين المدرستين، فازدان تفسير الشيخ بإشارات مقاصدية كثيرة، أجاد فيها -رحمه الله- وأفاد في فهم القرآن، ووظفها في توجيه خطابه وأحكامه وحكمه، فعزمتُ- مستعيناً بالله- على الكتابة لإبراز جهد الشيخ -رحمه الله- في هذا الفن من تفسيره.

أولاً: أهمية الدراسة: تصدر أهمية هذه الدراسة في إبراز جهود عَلَمٍ كبير وإمام

---

(١) اهتم الشيخ بالمقاصد في كل دراساته وكتبه، والباحث هنا التزم بحدود بحثه وهي دراسة المقاصد في تفسير الشيخ فقط.

من أئمة المسلمين عامة والجزيرة العربية خاصة في الوقوف على فنّ من فنون التفسير وهو المقاصد القرآنية، وكيف تزامن نضوج هذا العلم مع نضوجه عند علماء التفسير في المشرق والمغرب.

ثانيًا مشكلة البحث: يقوم البحث على التساؤلات الآتية: كيف كانت اهتمامات الشيخ ابن سعدي المقاصدية في تفسيره؟ وهل استطاع -رحمه الله- الاستفادة من المقاصد وتوظيفها؟ وما هي أبعاد هذه الاستفادة في فهم القرآن وترجيح الأفهام؟

ثالثًا: أهداف البحث: يهدف البحث لإبراز جهود الشيخ في خدمة المقاصد القرآنية في تفسيره، واستجلاء أنواع المقاصد، وكيفيات توظيفها في تفسيره.

رابعًا: دراسات سابقة: لم أقف على دراسة خاصة عن ابن سعدي في موضوع المقاصد القرآنية بالذات، لكن وقفت على دراسة منهجه في التفسير بشكل عام، ودراسة أخرى في منهجه في الاستنباط في القرآن بشكل عام أيضًا:

١- استنباطات الشيخ عبد الرحمن السعدي من القران الكريم/ د. سيف بن منصر الحارثي/ ٢٠١٦/ دار قناديل العلم - السعودية، وهو في الأصل رسالة دكتوراة في كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود، عام ١٤٣١هـ، استخرج استنباطات الشيخ ابن سعدي في القرآن وهداياته ولم يتطرق لموضوع المقاصد.

٢- منهج الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن...) الطالب ناصر المرنخ، وهو رسالة ماجستير في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في غزة، عام ١٤٢٣هـ، فأظهر الباحث منهج الشيخ ولم يلتفت لموضوع المقاصد.

خامسًا: حدود البحث: التزم الباحث في دراسته على كتاب تيسير الكريم

الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي فقط، وبيان اتجاه الشيخ في الكتاب مقاصدياً.

سادساً: منهج البحث: اعتمد البحث المنهج الاستقرائي لتفسير الشيخ -رحمه الله- والمنهج الوصفي.

سابعاً: خطة البحث: جاء البحث في مقدمة وتمهيد- بينت فيه عناية المفسرين سلفاً وخلفاً بالمقاصد وأهميتها- وثلاثة مباحث، وخاتمة، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المبحث الأول: عناية ابن السعدي بالمقاصد القرآنية:

المطلب الأول: تنصيصه على الغاية المقاصدية من تفسيره.

المطلب الثاني: التفريق بين المعنى والمقصد.

المطلب الثالث: القابلية للاستفادة المقاصدية.

المبحث الثاني: أنواع المقاصد القرآنية في تفسير ابن السعدي:

المطلب الأول: المقاصد الظاهرة والمقاصد المستنبطة.

المطلب الثاني: المقاصد الكلية للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: المقاصد الخاصة الموضوعية والجزئية.

المبحث الثالث: توظيف المقاصد في تفسير ابن السعدي:

المطلب الأول: الاستدلال بالمقاصد للتربية والتوجيه.

المطلب الثاني: الاستدلال بالمقاصد على مواجهة المخالفين.

المطلب الثالث: الترجيح بالمقاصد واستخراج الحكم والأحكام.

ثم الخاتمة: تضمنت النتائج والتوصيات.

تمهيد

أولاً: معنى المقصد لغة واصطلاحاً: يرجع أصل هذه الكلمة للجذر الثلاثي (قصْد): وهو في اللغة يحمل أصولاً ثلاثة- كما قال إمام اللغة وبيانها أبو الحسين ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): « القاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدها على إتيانِ شيءٍ وأمِّه، والآخَر على اكتنازٍ في الشيء. فالأصل: قصَدته قَصْداً ومَقْصَداً. ومن الباب: أقْصَدَه السَّهمُ، إذا أصابه فقُتِل مَكانَه، وكأنّه قيلَ ذلك لأنَّه لم يَحِد عنه.. والأصل الثالث: الناقة القصيد: المكتنِزة الممتلِئة لحماً «[1] فأصول الكلمة الثلاثة تتوجه لموضوع الاغتنام والاكتناز وإصابة محرز الأمر وعدم الحيد عنه، والأصل الثالث يدلّ على أنّ الناقة قصيدٌ أي ممتلئة لحماً وهذا هو المراد، ومنه: هذا بيت القصيد : أي الأمر المهمّ وخلاصة الموضوع؛ فهو أحسن أبيات القصيدة وأنفسها. وقال الراغب:» القَصْدُ : استقامة الطريق... ومنه : الاقْتِصَادُ... وعلى هذا قوله : وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ.. وقوله : وَسَفَراً قاصِداً»[2] وقال في المعجم الوسيط: « قصد الطَّرِيق قصداً: استقام.. أقصد السهْم: أصَاب.. يُقَال هُوَ على الْقَصْد وعَلى قصد السَّبِيل إِذا كَانَ راشداً»[3].

يتضح مما سبق أنّ معاني القصد إصابة المطلوب وأمّه وعدم الحيد عنه؛ ومنه سمي قصد الطريق؛ لأنه سهل لا عوج فيه ولا إمالة، فأصاب القصد وتوسط في مشيه فلم يحرف ولم ينحرف، والسهم إذا أصاب هدفه فقد أقصد؛ فالمعنى اللغوي يدلّ دلالةً واضحة على السداد والاعتدال.

---

(١) ابن فارس، معجم المقاييس اللغة،٥/ ٩٥.

(٢) الراغب، المفردات في غريب القرآن،٦٧٢.

(٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط،٢/ ٧٣٨.

ومـن المعنى اللغوي يتوجه المعنـى الاصطلاحي؛ فالمقصد من الخطاب هو أخـذ الخطاب باتجاه مراد المخاطِب وبيان غايته من الكلام؛ فالتفسـير المقاصدي هو إصابة غاية المراد في الآية والسـورة بقدر الاسـتطاعة البشرية بحسب الدلالات التعبيرية في الآية.

وما قيدته- بقدر الاستطاعة البشرية- فيه اعتراف بالضعف بالبشري بإزاء كمال القدرة الإلهية، وأدب مع المولى سبحانه وتعالى، وزاد الأدب حرصـاً حين أسندته بعبارة الدلالات التعبيرية في القرآن؛ حتى يطمئن القلب باجتهاد صادر عن دلالات وأمـارات، وليس عن هوىً وأخراص[1]. « فَغَرَضُ الْمُفَسِّـرِ بَيَانُ مَـا يَصِلُ إِلَيْهِ أَوْ مَا يَقْصِدُهُ مِنْ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِأَتَمِّ بَيَانٍ يَحْتَمِلُهُ الْمَعْنَى وَلَا يَأْبَاهُ اللَّفْظُ»[2] وقد عرفهـا الحامدي بأنها» الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقـاً لمصالح العباد»[3] فهي الغاية والمقصد والحكمة، وهي الاعتدال وعدم التطرف والزلل عن مراد الله.

ثانيـاً- عناية المفسـرين بالمقاصد القرآنية: لا ينبغي لمن يتصدر لتفسـير كلام الله إلا الحـرص والاجتهاد للتعرف على مقصد كلام الله سـبحانه والغاية من مراده وبيانه، لذلك حرص المفسرون بحسب طاقتهم على استخراج المقصد والغاية من القرآن بعمومه، أو من السـور وآياتها ومقاطعها على الخصوص،» .. رَائِدُ الْمُفَسِّـرِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ عَلَى الْإِجْمَالِ مَقَاصِدَ الْقُرْآنِ مِمَّا جَاءَ لِأَجْلِهِ»[4].

---

(١) جمـع خـرص وهو الكـذب، أصل الخَرْصِ التَّظَنِّي فيما لا تَسْـتَيْقِنُه ... ثم قيـل للكَذِب خَرْصٌ لما يدخله من الظُّنون الكاذبة . ابن منظور، لسان العرب، خرص،٢١،٧.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١ ص ٤٢، المقدمة الرابعة.

(٣) د عبد الكريم الحامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام . ص٢٩.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ص٤٢ المقدمة الرابعة.

وقد تفاوت المفسرون في الوقوف على المقاصد القرآنية؛ فمنهم من اعتنى بالمعنى واللفظ مقتصراً عليها دون النظر لما يقصده الله من هذه الألفاظ والمعاني، ومنهم من ذهب وراء اللفظ والمعنى متدبراً مجتهداً لمعرفة المقصد من هذا الكلام والغاية من مراد الله منه؛ وهو ما أدى إلى التفاوت والاختلاف بين المفسرين، وهذا من طبيعة البشر أولاً، ومن طبيعة دلالات اللغة ثانياً، والأهم من هذا وذاك هو أنّ إرادة الله قد استوجبت كون القرآن ميداناً للفهم والابتلاء والرفعة والاجتهاد؛ فرفع الله عز وجلّ مكانة العلماء المجتهدين لما بذلوه من جُهد وجَهد في التدبر والاستنباط والبحث، وسقط من سقط في فتنةٍ من أمره وشأنه حين اتبع هواه وهُرع للمتشابه ينشد ضالةً لن يدركها.

وقد ظهرت فكرة المقاصد بلفظها قديماً عند علماء الأصول، وبشكل خاص عند علماء المقاصد كأمثال الشاطبي، وبرزت منذ وقت مبكر فرضية مقاصد الشريعة وكتبت فيها كتب ومراجع، ولم يكن هذا اللفظ مصروفاً للقرآن بشكل ظاهر بل كان يُتداول مردوفاً بالشريعة عامة، التي كان القرآن الكريم هو المصدر الأول لها، يقول الشاطبي: « الكتاب العزيز هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وَيَنْبُوعُ الْحِكْمَةِ، وَآيَةُ الرِّسَالَةِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ لَزِمَ ضَرُورَةً لِمَنْ رَامَ الِاطِّلَاعَ عَلَى كُلِّيَّاتِ الشَّرِيعَةِ وَطَمِعَ فِي إِدْرَاكِ مَقَاصِدِهَا، وَاللِّحَاقِ بِأَهْلِهَا، أَنْ يَتَّخِذَهُ سَمِيرَهُ وَأَنِيسَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ جَلِيسَهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي؛ نَظَرًا وَعَمَلًا»[1] مع الأخذ بعين الاعتبار للعموم والخصوص بين كليات الشريعة وكليات القرآن ومقاصده؛ فكليات الشريعة ومقاصدها جزء من مقاصد القرآن؛ ونقصد بمقاصد الشريعة الأحكام العملية، أما مقاصد القرآن فهي ما يتعلق بالسورة وآياتها وقصص القرآن وأمثاله، ودستوره الأخلاقي، وبُعده العقدي.

(١) الشاطبي، الموافقات، المقدمة ج٤، ص ١٤٤ وانظر (تفسير المنار) ٦، ١٣٤.

ثالثاً- التفسير المقاصدي عند السلف ومن بعدهم: إنّ الناظر في كتب المتقدمين من المفسرين ليجد اهتماماً واضحاً بمسألة المقاصد والغايات، ولكنه يجد أيضاً تواضع هذا الفن كمبحث مستقل بارز لدى المفسرين؛ فقد تجد من العلماء المتقدمين من اهتم بمقصد السورة أو الآية ولكن بشكل عابر كجزء لا يتجزأ من التعريف المتداول للتفسير؛ فكان إبراز المقصد أمر يتفرع عن تفسير الآية، بعكس ما جرى في العصر الراهن من إبراز هذا العلم كفنّ مدون خاص، وعلم بارز من علوم القرآن ووسائل تدبره.

ولعلّ إمام المفسرين الطبري- -رحمه الله- - حين استعمل لفظ المعنى كان يقصد به المقصد؛ وما جزمنا بذلك إلا من خلال سياق كلامه- -رحمه الله-- حين قال: «.. أَنَّ اللهَ جَعَلَ الصَّدَقَةَ فِي مَعْنَيَيْنِ : أَحَدُهُمَا سَدُّ خَلَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالآخَرُ مَعُونَةُ الإِسْلاَمِ وَتَقْوِيَتُهُ»(١) فلم يكن من منهجه -رحمه الله- استخدام لفظ المعنى للمقصد إلا في هذا الموضع في حدود دراستي للتفسير، إلا في أضيق التفسيرات ويصرح فيها بالمعنى والمقصد معاً وهو عزيز في تفسيره، قال -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾[النساء: ٣] «وَقَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِأَنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْكَلاَمَ بِلَفْظِ الأَمْرِ، وَمَعْنَاهَا فِيهِ النَّهْيِ أَوِ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثناؤُهُ ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] وَكَمَا قَالَ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النحل: ٥٥] فَخَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الأَمْرِ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، وَالزَّجْرُ وَالنَّهْيِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم ﴾ بِمَعْنَى النَّهْيِ، فَلاَ تَنْكِحُوا إِلاَّ مَا طَابَ

---

(١) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، ج ١١، ٥٢٣.

لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»[1].

وقد صرح الطبري -رحمه الله- بالمقصود من الآية في مواضع قليلة جداً من تفسيره، قال -رحمه الله- في تعيين اسم المارّ على القرية في سورة البقرة: «وَلاَ بَيَانَ عِنْدَنَا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَصِحُّ مِنْ قِبَلِهِ الْبَيَانُ عَن اسْمِ قَائِلِ ذَلِكَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عُزَيْرًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ إِرْمِيَا، وَلاَ حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَعْرِفَةِ اسْمِهِ، إِذْ لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ بِالآيَةِ تَعْرِيفَ الْخَلْقِ اسْمَ قَائِلِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ بِهَا تَعْرِيفُ الْمُنْكِرِينَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَى إِحْيَائِهِ خَلْقَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَأَنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ مِنْ قُرَيْشٍ»[2] وهكذا فقد صرّح الطبري بلفظ المقصد بمعناه الاصطلاحي[3] في العصر الراهن من الآية وأنّ الاسم وتعيينه غير مراد ولا مقصود فلا يلتفت إليه. وذكر البغوي (٥١٦هـ) في مقدمة تفسيره مصرحاً بغاية ومقاصد القرآن، فقال -رحمه الله- عن القرآن: « أمَرَ فيه وزجر، وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليُتذكر، وقص عن أحوال الماضين ليُعتبر، وضرب فيه الأمثال ليُتدبر، ودل على آيات التوحيد ليُتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد فيه إلا بدراية تفسيره»[4] وقد استخدم بعض المفسرين لفظ الغرض بدل المقاصد في هذه الأحقاب[5]. وإذا سرنا إلى القرن الثامن نجد الإمام المجاهد الشهيد ابن الجوزي (ت ٧٤١هـ) يستحضر لفظ المقاصد بمعناها المعاصر؛ وبتواضع أنشط نسبياً ممن كان قبله وبمواضع أرحب قليلاً، وسأبرز

(١) ج ٦، ص ٣٧٤.

(٢) ٤،٥٨١.

(٣) وليست مجرد دلالة لغوية.

(٤) البغوي، معالم التنزيل ١/ ٣٣، المؤلف : محيي السنة.

(٥) ابن عطية الأندلسي ٥٤٢ هـ.، والبيضاوي (٦٨٥ هـ) وابن كثير (٧٠٣ هـ)،وشمس الدين القرطبي (٦٧١ هـ).

باختصار مقصد القرآن في التسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد عدّها ابن جزي مقصداً بنى عليها آيات عديدة، ففي تفسيره لقوله تعالى﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[الأنعام: ٢٣]وبعد تفسير الآية قال:".. كما جعلنا في مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذكر الأكابر، لأن غيرهم تبع لهم والمقصود تسلية النبي صلى الله عليه وسلم "[١].

وبقي هذا الفن تابعاً للتفسير إلى أن ظهرت الإشكالية التفسيرية في العصر الحديث في مدرسة المنار؛ وما أحدثوا من تساؤلات حول تجديد التفسير، فظهر هذا الفن وأخرج شطأه وبرزت اجتهادات لبيان مقاصد القرآن وتحديدها، بل وجعل المنار فصلاً بحياله في تفسيره لبيان المقاصد القرآنية سماه:" مقاصد القرآن في ترقية نوع الإنسان" وفصلها في عشر مقاصد استغرقت قريباً من مئة صفحة.[٢]، بدا فيها الكلام يحمل طيّاً من الدفاع عن القرآن وهديه ومواكبته للواقع بقدرة وصلابة، « إنّ سياق الحديث عن مقاصد القرآن عند الشيخ رشيد رضا يبدو بعيداً عن موضوع التفسير وأغراضه.. كما جاء عند من سبقه، مما يعني أن وظيفة مقاصد القرآن عند رشيد رضا ترتبط بالانتصار لصدقية الرسالة وأحقية الوحي، وهو الأمر الذي أقلق الشيخ في زمنه، ..ومهما كان من أمر هذه الوظيفة وذلك السياق، فإنّ كلام رشيد رضا يعتبر أول تفصيل للقول في مقاصد القرآن....»[٣] حتى جاء الإمام التونسي ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) فرعى هذا النبت ورباه وهذبه وأظهره كفنٍّ خاص في علم التفسير، حتى صار الإمام علماً في التفسير والمقاصد، فجعل مقدمة تفسيره الرابعة

(١) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ١/ ٢٧٤.

(٢) رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ١٧٠،١١.

(٣) د. فريدة زمرد، بين مقاصد التفسير والنقد التفسيري، مجلة الإحياء.

يتحدث فيها عن علم المقاصد، وجعل لكل سورة مقاصدها وأغراضها، وتحدث في تفسيره عن مقاصد القرآن عامة وعن آياته ومقاطعه وقصصه خاصة.

رابعًا- تفسير ابن السعدي: وفي القرن الثالث عشر الهجري، العشرين ميلادي، عصر مدرسة المنار وعصر التجديد، ظهر عالم نجدي بارز في علوم الشريعة عامة وفي علم التفسير خاصة، وهو الشيخ العلامة أبو عبد الله السعدي التميمي المشهور بابن سعدي (ت١٩٥٦م) ولد عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، هو عالم مُجِدٌّ، صاحب سعة وتمهل في العلم، وانسيابٍ في القول، موسوعيٌ ملازم للدرس والتدريس في كل الفنون « يجلس لأداء الدرس حتى تطلع الشمس.. يعلم الناس حتى صلاة الظهر، فيصلي بالناس، ويعود إلى بيته؛ ثم يذهب إلى المسجد، فيصلي العصر بالناس، ويعطيهم عقب الصلاة وهم جلوس بعض الأحكام الفقهية في دقائق،.. يصلي بالناس صلاة المغرب، ويجلس للدرس حتى يصلي العشاء....ويتكرر ذلك في كل يوم»[1].

وقد أبرز الشيخ ابن سعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - بشكل واضح- المقاصد بأنواعها المختلفة، ووظّف هذه المقاصد في خدمة التفسير وبيان الغاية من كلام الله، مجتهداً في ذلك بحسب وُسْعِهِ وطاقته:

---

(١) عبد الرحمن العدوي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عدد٤٤.

المبحث الأول: عناية ابن السعدي بالمقاصد القرآنية:

ظهرت عناية الشيخ -رحمه الله- بمقاصد القرآن جلية في تفسيره؛ واستخدم التقصيد بشكل لافت وبمنهجية واضحة مضطردة، وهو بذلك يكون مواكباً لحركة التجديد في التفسير وتطوير أدواته بانضباط والتزام بقواعد البحث والاجتهاد، يقول- -رحمه الله-- في معرض تفسيره والكلام عن آيات الله «وخص الله أولي النهى بذلك، لأنهم المنتفعون بها، الناظرون إليها نظر اعتبار، وأما من عداهم، فإنهم بمنزلة البهائم السارحة، والأنعام السائمة، لا ينظرون إليها نظر اعتبار، ولا تنفذ بصائرهم إلى المقصود منها..»[1]. « أي: تعقلها أولو الألباب ويعرفون المقصود منها ووجه الآية بها»[2].

وقد قعّد الشيخ وأصل لقاعدة جليلة في القرآن: وهي عدم ترك أمر من مقاصد هذا الدين إلا وبيّنه الله ودفع لتقويته بالحجج والبراهين، ففي تفسيره لقوله تعالى﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأعراف: ٧١] قال -رحمه الله-: «.. فإنها لو كانت صحيحة لأنزل اللّه بها سلطاناً، فعدم إنزاله له دليل على بطلانها، فإنه ما من مطلوب ومقصود - وخصوصا الأمور الكبار - إلا وقد بين اللّه فيها من الحجج، ما يدل عليها، ومن السلطان، ما لا تخفى معه»[3]. فكيف ظهرت عناية الشيخ بالمقاصد وما هي معالم اهتماماته بها:

---

(١) تفسير ابن السعدي، ص ٥٠٧.

(٢) ص ٨٨٢.

(٣) ص ٢٩٤.

المطلب الأول: تنصيصه على الغاية المقاصدية من تفسيره: فقد أوضح -رحمه الله- غرضه من تفسيره في مقدمة الكتاب، وبيّن أنّ المقصد الأهم من كتاب الله الذي تدور عليه جميع المقاصد هو الهداية، وأنّ النظر للفظ مفصولاً عما سيق لأجله الكلام خروج عن الصحيح وقصورٌ عن المطلوب والمنشود، فقال -رحمه الله-: «... وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطوِّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقتصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك أن يُجعَل المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة إليه، فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم..»[1].

فبيّن -رحمه الله- الغاية من تفسيره؛ وهو بيان المقاصد لا الاقتصار على المعنى واللفظ، وقد انتهى -رحمه الله- من كتابته عام١٣٥٤هـ، وبعد أربع عشرة سنة لخّص الشيخ -رحمه الله- تفسيره[2] ولم ينس ذكر هذا المقصد، بل ونص عليه وأبرزه فقال- يصف القرآن-: « .. فتجده في آية واحدة يجمع بين الوسائل والمقاصد، وبين الدليل والمدلول، وبين الترغيب والترهيب، وبين العلوم الأصولية والفروعية، وبين العلوم الدينية والدنيوية والأخروية، وبين الأغراض المتعددة والمقاصد النافعة»[3] وقال: « أشار عليَّ بعض العارفين الناصحين أن أكتب كتاباً غير مطوَّل؛ يحتوي على خلاصة ذلك التفسير، ونقصر فيه على الكلام على بعض الآيات التي نختارها وننتقيها من جميع مواضع علوم القرآن ومقاصده»[4]، فكرر

(١) تفسير السعدي، ص ٢٩.

(٢) سماه تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

(٣)()تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن ١ / ٣.

(٤) نفس المرجع والصفحة.

المقصد وتقصيد التفسير أكثر من مرة في مقدمته، وجعل أغراضه من الملخص بيان المقاصد، فقد بيّن -رحمه الله- أنّ الكلام لا يستقيم فهماً ولا يتضح دلالةً إلا إذا فُهم المقصود منه، قال- -رحمه الله-- « ..كيف تصبر على أمر ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟»[1] «.. السبب الكبير لحصول الصبر إحاطة الإنسان علماً وخبرة، بذلك الأمر، الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدريه، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨] فجعل الموجب لعدم صبره عدم إحاطته خُبراً بالأمر.. حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود»[2].

وقد وفّى -رحمه الله- بما ألزم به نفسه، فخرج التفسير والملخص ليسد ثغرةً من ثغرات التفسير، ويضع لبنته وبصمته فيه.

المطلب الثاني: التفريق بين المعنى والمقصد: يرى الباحث أنّ من مقتضيات التدبر المأمور به البشر للقرآن تقتضي تفريقاً بين المعنى والمقصد في الآية القرآنية؛ ولا يعبأ الباحث بالخلافات الفلسفية الكلامية والأصولية، وكل ما أرمي إليه هو أنّ النص القرآني لا تقتصر دلالاته على الألفاظ الظاهرة، بل هناك أبعاد ودلالات ومقاصد تستنبط بضوابط منهجية وأصول دلالية مضطردة تمنع العبث وتطلق الفهم بشرط الانضباط الدلالي؛ حتى يسلم الفهم وينساب التواصل وتُجتنب الأمراض الدلالية[3]، ويفك الاشتباك بين حدود الدلالة والتداولية[4]، ولذلك

(١) ص ٤٨١. في تفسير قوله تعالى﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨].

(٢) ص ٤٨٢. حين استخرج الدروس المستفادة من قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف.

(٣) كعدم ملاءمة اللفظ للمعنى، أو السجع المتكلف، والدلالة نوعان دلالة لفظية ودلالة غير لفظية سواء كانت وضعية أم عقلية أم طبيعية.

(٤) انظر الدكتور إدريس مقبول، «الأفق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية»

اختلف المفسرون في قدراتهم وتدبراتهم وآفاق أفهامهم.

ومن سار من المفسرين في درب المقاصد وتقصيد التفسير نهج هذا النهج وأبرز الجانب المقاصدي في تفسيره، بغض النظر عن المقصود الدلالي للفظ؛ فقد يفسر الآية ويظهر المقصد بصيغة المقصد، أو يفسرها بالمعنى الظاهر[1] ويعبر بالمقصد بلفظ المعنى[2] كما فعل الإمام الطبري من قبل[3].

ويؤكد ابن سعدي على التفريق بين المعنى اللغوي وبين المقصد؛ وعبر عنه بالمراد، فقال: « وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه؛ فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله... »[4].

ويستخدم الإمام ابن سعدي عبارة المعنى أحياناً للدلالة على المقصد، يقول -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ أي: لأذهبنا حركتهم ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا ﴿٦٧﴾ ﴾ إلى الأمام ﴿ وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٦٧] إلى ورائهم ليبعدوا عن النار. والمعنى: أن هؤلاء الكفار، حقت عليهم كلمة

وخاصةً في مبحثه الأول حين درس آلية التأويل عند ابن عاشور، ومقارنته بالمتداولين المعاصرين. ٢٠١١م، عالم الكتب الحديث.

(١) أقصد بالظاهر المعنى الواضح المنكشف، ولم أقصد معناه الأصولي الذي يحتمل التأويل فيرجح الظاهر ويؤول المرجوح.

(٢) المعنى عند الأصوليين هو المقصد، يقول الشاطبي: «واللفظ إنما هو وسيلة إلى تَحْصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود» الموافقات، ٢، ٥٧.

(٣) انظر في فصل التمهيد، ٣: التفسير المقاصدي عند السلف ومن بعدهم.

(٤) في مقدمة تفسيره، ص٣٠.

العذاب، ولم يكن بُدٌّ من عقابهم»[1] وبعد أن ذكر المعنى استطرد في التفسير وأظهر المقصد صراحةً فقال: «.. وفي ذلك الموطن ما ثَمَّ إلا النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما هؤلاء، فليس لهم عند اللّه عهد في النجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم، فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر. **المقصود**: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة»[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: «أكثر المفسرين على أنها ليلة الإسراء ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ ﴾ -التي ذكرت - ﴿ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم. **والمعنى**: إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس حتى استلج الكفار بكفرهم وازداد شرهم، وبعض من كان إيمانه ضعيفاً رجع عنه[3] بسبب أنّ ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء ومن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان خارقا للعادة. والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضا من الخوارق فهذا الذي أوجب لهم التكذيب. **فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة**؟ أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟! فلذلك رحمهم الله

---

(١) ص ٦٩٨.

(٢) ص ٦٩٨.

(٣) لم يصح في ذلك شيء، انظر دراسة د. سعد بن عبد الله الحميد، أستاذ الدراسات العليا بجامعة الملك سعود، حيث أثبت ضعف الخبر الوارد في ذلك، وبين أنّ المسألة كانت جحوداً من كفار أصلاً لا ردةً عن الدين: موقع طريق الإسلام: https: //ar.islamway.net/.

وصرفها عنهم»[1].

المطلب الثالث: القابلية للاستفادة المقاصدية: وهي الاستعداد النفسي والفطري لمعرفة المقاصد الربانية من الآيات القرآنية والآيات الكونية، فيلمح الشيخ -رحمه الله- إلى أنّ القرآن يوجه أبناءه للبعد النفسي للمنكرين والكاذبين؛ فيوجه القرآن أتباعه توجيهات لحسن الخطاب والتعامل مع المنكرين، ومن جملة هذه النصائح والتوجيهات بيان عدم القابلية عند المنكرين لملاحظة المقاصد القرآنية والمقاصد من خلقهم وكل مخلوق حولهم، قال -رحمه الله- «---- نظر فكر واعتبار ---- - أي: الأشجار كلها، خصوصاً: النخل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأنعام: ٩٩] أي: انظروا إليه، وقت إطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإنّ في ذلك عبراً وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده، وكمال اقتداره وعنايته بعباده. ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر وليس كل من تفكر، أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأنعام: ٩٩] فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه، عقلاً وفطرة، وشرعاً»[2]. وقال

(١) ص ٤٦١.

(٢) ص ٢٦٧.

-رحمه الله- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[يونس: ٧] فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة، عن المدلول المقصود"[1].

ويبين الشيخ فقهاً عظيماً ومقصداً دعوياً يحتاجه الدعاة في كل زمان، وهو حسن الخطاب وحسن التأتي وحسن التوقيت وحسن الكلام: ففي تفسير قوله تعالى ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦] يقول -رحمه الله-:" ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية،... وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأنّ المقصود منها ضائع"[2].

وفطن الشيخ للمقاصد العكسية التي يستخدمها الطغاة لصرف الناس عن مقصدهم وغايتهم، ففي تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] قال -رحمه الله-: « الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره؛ خلقت لهم الأفئدة

---

(١) ص ٣٥٨.

(٢) ص ٦٣٢.

والأسماع والأبصار لتكون عوناً لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود»[1]. وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ذكر -رحمه الله- المقصد من الاحتجاج بالقدر وأنّ مقصودهم المشاغبة على الدين ودفعه عن طريقهم، فقال -رحمه الله-: «ومنها- أي من هذه الشبه-: أنّ احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أنّ الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ»[2].

(١) ص ٣٠٩.

(٢) ص ٢٧٨.

المبحث الثاني: أنواع المقاصد القرآنية في تفسير ابن السعدي

تنوعت الاستنباطات المقاصدية عند الشيخ ابن سعدي- رحمه الله- فمنها الاستنباطات الظاهرة الجلية التي نص عليها القرآن بجلاء ووضوح تام، ومنها المستنبطة التي تحتاج إلى دراية وقدرة فائقة على استخراجها ومعرفة المقصد المعنيّ منها، ومنها المقاصد العامة والكلية للقرآن الكريم، ومنها المقاصد الجزئية للآية والمقطع.

وترجع أهمية المقاصد والوقوف عليها إلى أهمية حسن استقبال مراد الله من كلامه، وفهم مراده أحسن الفهم، كما قال الله عز وجلّ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[الزمر: ١٨] فمعرفة المراد والمقصد تورث أحسنية الفهم وتخلف أحسنية العمل، وفي المقابل: فإنّ أسوأ الفهم يورث أسوأ العمل وعكس المراد؛ فقد فهم بعض الناس قوله تعالى﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة: ١٩٥] على غير مراد الله؛ فقالوا عن الرجل المقدام المجاهد الذي اقتحم الصفوف في معركة القسطنطينية أنه ألقى بنفسه إلى التهلكة، ففهموا عكس مراد الله فيها، حتى بيّن ذلك أبو أيوب الأنصاري، فأفهمهم أنهم حين تركوا الجهاد وانشغلوا بأولادهم وأموالهم ظنّاً منهم أنهم قد أدّوا واجبهم فانتصر الدين وانتشر الإسلام انتهى واجبهم تجاه الدين فنزلت الآية تفهمهم أنهم بهذا الفكر هلكوا، وأنّ نصرة الدين لا ترتبط بزمن أو إنجاز، بل هي المحيا والممات، فكانت التهلكة هي الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد[1].

وينص الشيخ على أنّ هذه المقاصد قد تخفى عن كثير من الناس إما جهلاً أو

---

(١) انظر القصة كما رواها أبو داود، والترمذي، وابن أبي حاتم، وابن جريرٍ وقال الترمذي: حسنٌ صحيح غريب. وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

انصرافاً عنها أو لانعدام آلة الاستبصار والتفكر، يقول -رحمه الله-: « ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر، وليس كل من تفكر أدرك المعنى المقصود؛ ولهذا قيّد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩] فإنّ المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه، عقلاً وفطرةً وشرعاً"[1].

فما هي أنواع المقاصد عند الإمام ابن سعدي -رحمه الله-؟

المطلب الأول: المقاصد الظاهرة والمقاصد المستنبطة: تنبه الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- لإبراز مقاصد القرآن الظاهرة ونصّ عليها وأكّد عليها، واستطاع أيضاً -رحمه الله- استنباط المقاصد المخفية التي تحتاج إلى تدبر واجتهاد وبعد نظر:

أولاً: مقاصد ظاهرة: وهي المقاصد المنصوص عليها في القرآن عن القرآن، أو مقاصد الآية أو المقطع من القصة أو المشهد؛ ففي قوله تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] وبعد تفسيره للآية يقول الشيخ عن المقصد من نزول القرآن: «وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد علماً وعملاً وبصيرةً، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]»[2]، وفي تفسير قوله تعالى﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾[الروم: ٤٦] يبرز الشيخ مقصداً جلياً ذكرته الآية، وهو مقصد ظاهر لكنه

---

(١) ص ٢٦٧.

(٢) ص ١٨٩.

صعب المنال بعيد الطلب؛ يحتاج شدة وهمة وجُهداً وجَهداً، فقال -رحمه الله-: «﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ من سخر لكم الأسباب وسير لكم الأمور. فهذا المقصود من النعم؛ أن تقابل بشكر الله تعالى؛ ليزيدكم الله منها ويبقيها عليكم. وأما مقابلة النعم بالكفر والمعاصي فهذه حال من بدَّل نعمة الله كفراً ونعمته محنة؛ وهو معرض لها للزوال والانتقال منه إلى غيره»[1]. وفي تفسيره لقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]قال الشيخ- -رحمه الله--: "هذه الأشياء، التي وصف الله بها رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم هي المقصود من رسالته، وزبدتها وأصولها، التي اختص بها، وهي خمسة أشياء: أحدها: كونه] شَاهِدًا [..الثاني، والثالث: كونه] مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا [.. الرابع: كونه] دَاعِيًا إِلَى اللهِ [..الخامس: كونه] سِرَاجًا مُنِيرًا[»[2].

ثانيًا: مقاصد مستنبطة: وقد برع الشيخ -رحمه الله- في تدبره وفقه استنباطه؛ فقد كانت هذه الاستنباطات أمارةً جليةً على فقه الشيخ ووعيه المقاصدي للقرآن الكريم وآياته، ففي تفسيره لقوله تعالى﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحج: ١٣] يقول -رحمه الله-: «﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ أي: هذا المعبود ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ أي: القرين الملازم على صحبته، فإنّ المقصود من المولى والعشير، حصول النفع، ودفع الضرر، فإذا لم يحصل شيء من هذا، فإنه مذموم ملوم»[3]. وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ

(١) ص ٦٤٣.

(٢) ص ٦٦٧ باختصار شديد.

(٣) ص ٥٣٤.

فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[يوسف: ٣٠] يقول الشيخ- بذكاء وخبرة-: «وكان هذا القول منهنّ مكراً؛ ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحنق امرأة العزيز، وتريهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكراً، فقال: فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ»(١).

المطلب الثاني: المقاصد الكلية للقرآن الكريم: اختلفت وجهات المفسرين في تحديد المقاصد الكلية للقرآن الكريم، واختلفوا في طريقة عرضها والإشارة إليها، فمنهم- وبالأخص المتأخرين المعاصرين- من نصّ عليها وجمعها في مكان واحد من تفسيره وحصرها على شكل نقاط محددة، كابن عاشور ومحمد رشيد رضا، فقد حصرها ابن عاشور بثمانية مقاصد أصلية فقال: « أليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها فلنلم بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا وهي ثمانية أمور ...»(٢) وحصرها رشيد رضا بعشرة مقاصد فقال: «لِأَنَّ الْمَقْصِدَ الْأَوَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ الْهِدَايَةُ بِأَنْ تَكُونَ تِلَاوَتُهُ عِظَةً وَذِكْرَى وَعِبْرَةً يُنَمَّى بِهَا الْإِيمَانُ وَالْمَعْرِفَةُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ..»(٣) ففصل وأطال النفس في عشرات الصفحات لكل مقصد، وجعل لكل مقصد أركاناً ومباحث(٤)، ومن العلماء المتقدمين من حصره في مقصد واحد ومحوري تدور عليه كل الأغراض والأهداف، ومنهم من خلط بين المقاصد والموضوعات الرئيسة وجعلهما أمراً واحداً.

(١) ص ٣٩٦.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١ / ٣٩.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)٥، ٣٦١

(٤) بدأ بالمقصد الأول في ج٥، وبدأ بالمقصد الثاني ج١١،ص ١٠٨ وواصل الشرح عن بقية المقاصد بالتوالي بعد ذلك.

وما يهمنا هنا هو وقوف الشيخ ابن سعدي على مقاصد القرآن الرئيسية وكيفية عرضها، فلم يجمع الشيخ المقاصد العامة للقرآن بشكل محصور، بل نثرها في طيات تفسيره من خلال الشرح والتوضيح، وجعل الشيخ في مقدمة تفسيره أنّ مراد الله ومقصده الأسنى في القرآن هو المقصد الهدائي، قال في المقدمة: «.. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم»[1] وهذه الهداية تحتاج للتدبر والفهم، فجعل الشيخ مقصد التدبر من مقاصد نزول القرآن وهو مقصد الوسيلة؛ للوصول للعمل بعد العلم والبصيرة، فقال- -رحمه الله-- : « وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد علماً وعملاً وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه المقصود بإنزال القرآن»[2]. وقال -رحمه الله-: «القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود»[3]. وجعل تعظيم هذا القرآن في القلوب والأفعال مقصداً أساسياً لنزوله فقال -رحمه الله-: «ذلك أنّ الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خَلَق الله الخَلْق لأجله، فضد الإيمان الكفر بها..»[4]

المطلب الثالث: المقاصد الخاصة الموضوعية والجزئية: أفاض الشيخ في ثنايا تفسيره الكلام عن المقاصد الجزئية للآيات القرآنية، كالقصص و العقائد و العقوبات وما إلى ذلك من موضوعات القرآن المستظلة جميعاً بمقصد واحد عظيم- عند الشيخ- وهو الهداية، وكل موضوعات القرآن وآياته تنزع لهذا المقصد

(١) ص ٣٠.

(٢) ص ١٨٩.

(٣) ص ٧١٢.

(٤) ص ٢١٠.

الأسنى والغاية الأعلى. فكيف نهج الشيخ لإبراز هذه المقاصد:

الأول: التوجيه المباشر لبيان المقصد والإشارة إليه سواء كان مقصداً جزئيًا أو موضوعيًا: فمن المقاصد الخاصة أو الموضوعية عند الشيخ: المقاصد الخاصة بالقصص القرآني، فبعد تفسيره لقصة يحيى ومريم في سورة آل عمران قال: «.. فأنت- يا أيها الرسول- لم تحضر تلك الحالة لتعرفها، فتقصها على الناس، وإنما الله نبأك بها، وهذا هو المقصود الأعظم من سياق القصص؛ أنه يحصل بها العبرة، وأعظم العبر: الاستدلال بها على التوحيد والرسالة والبعث، وغيرها من الأصول الكبار»[1].

وفي بيانه للمقصد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال-رحمه الله- بعد تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[الأعراف: ١٦٤] وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ : أي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم، فربما نجع فيهم الوعظ، وأثر فيهم اللوم. وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر؛ ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل اللّه أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي»[2]. وفي بيانه للمقصد الجزئي للآية يقول الشيخ بعد تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الطور: ٤٣] «.. فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة، وهذا هو المقصود من الكلام الذي سيق لأجله، وهو بطلان عبادة ما سوى الله وبيان فسادها بتلك الأدلة القاطعة..»[3] وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ

(١) ص ٩٦٦.

(٢) ص ٣٠٦.

(٣) ص ٨١٦.

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨]. يقول الشيخ -رحمه الله-: «وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز والغلبة في بعض الأوقات؛ فإنّ هذا كله] متاع قليل [ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً»[1].

ولولا ضيق المساحة لأفردت منهجاً للشيخ في بيان مقاصد الأحكام، ولعلّ دراسةً مستقلةً تخرج في ذلك، وخاصة آية الدَّيْن التي فسر مقاصدها الشيخ بإبداع وإتقان.

الثاني: يستدل بالمقاصد المركبة باستدراج القارئ من مقصد أولي لمقصد نهائي هو مقصد المقصد: ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٦] يقول-رحمه الله-: «ثم امتنّ عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب والمراكب، والمناكح ونحوها، قد يسر اللّه للعباد ضروريها ومكمل ذلك، وبين لهم أنّ هذا ليس مقصوداً بالذات، وإنما أنزله اللّه ليكون معونةً لهم على عبادته وطاعته، ولهذا قال:] وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ [من اللباس الحسي؛ فإنّ لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح»[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) قال

---

(١) ص ١٦٢.

(٢) ص ٢٨٥.

-رحمه الله-:» فلما دعا العباد النظر لآياته الموجبة لخشيته والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه أي: الفرار مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا، إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا..»[1].

الثالث: تصحيح المقصد وتوجيهه الوجهة الصحيحة لا كما يعتقد بعض الناس: ففي تفسيره لآية البر العظيمة في سورة البقرة قال -رحمه الله- « يقول تعالى﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: ليس هذا هو البر المقصود من العباد، فيكون كثرة البحث فيه والجدال من العناء الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف..»[2] وعن إنزال الآيات والبراهين قال -رحمه الله-:﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩] أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها، بل المقصود منها التخويف والترهيب ليرتدعوا عما هم عليه»[3].

الرابع: تحري المقصد الصحيح وتحقيقه فعلاً: ومنه الحث على حسن الخطاب في الدعوة إلى الله ومعرفة المقصد الصحيح لتؤتي الدعوة أُكلها، لا لمجرد القيام بالدعوة فقط من غير رؤية ولا أفق، يقول -رحمه الله- في سياق تفسيره لقوله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥] «فإن كان المدعوُّ يرى أنّ ما هو عليه حق، أو كان داعيةً إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي

---

(١) ص ٨١١.

(٢) ص ٨٣.

(٣) ص ٤٦١.

كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها»[1]. في نفس الباب ولكن في سورة أخرى وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٥-٦] قال -رحمه الله-: «أي: نفوراً عن الحق وإعراضاً، فلم يبق لذلك فائدة، لأنّ فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه.﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح: ٩] كل هذا حرص ونصح، وإتيانهم بكل باب يظن أن يحصل منه المقصود»[2] وقال في سورة المدثر﴿قُمْ﴾ -أي بجد ونشاط-﴿فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢] الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه"[3] وفي سورة البقرة وفي تفسيره لقوله تعالى﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾ [البقرة: ١٨٩] «ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً؛ فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود»[4].

(١) ص ٤٥٢.

(٢) ص ٨٨٨.

(٣) ص ٨٩٥.

(٤) ص ٨٨.

المبحث الثالث: توظيف المقاصد في تفسير ابن السعدي:

للمعرفة المقاصدية القرآنية أهمية كبيرة في فهم القرآن وحسن التعامل مع الواقع ومطابقته مع القرآن أحسن تطابق، وقد برع الإمام ابن عاشور في هذا الفن وأصّل له معتمداً على التراكم المعرفي ممن سبقه حتى نضج بين يديه -رحمه الله-[1]. وقد أجاد الشيخ ابن سعدي في هذا المجال، وأفاد من معين القرآن الخصب، وفطن على ضرورته في التدبر والاستنباط. وقد كان لفقه الشيخ وخبرته الطويلة عصمةٌ من الزلل في هذا المضمار الصعب؛ فهو يحتاج لقدرة غير عادية في التوظيف والاستدلال، قلما توجد إلا عند عالم راسخ مكين عليم؛ حتى لا ينزلق عن البرهان العلمي الصحيح، بل يحسن وضع الأمور في نصابها الصحيح من غير تكلف أو ضيق أفق.

وسأعرض في هذه الورقات نماذج لحسن توظيف الشيخ للمقاصد القرآنية في الفهم والاستدلال:

المطلب الأول: الاستدلال بالمقاصد للتربية والتوجيه: ففي تفسيره لقوله تعالى﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾[آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨] قال -رحمه الله-:

---

(١) انظر لتفصيل ذلك: كتاب د إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، رسالة دكتوراة طبعها المعهد العالمي للفكر الإسلامي،٢٠٠٥م، ط٢، وكان شرحاً لرؤية ابن عاشور في المقاصد بدراسة مقارنة. وكذلك كتاب التهامي الوزاني، في كتابه: توظيف المقاصد في فهم القرآن وتفسيره، موتمر: فهم القرآن مناهج وآفاق، جمعية المحافظة على القرآن الكريم،٢٠٠٨م ١٤٢٩هـ.

« هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله متاع قليل، ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيتَ ما تؤول إليه. وأما المتقون لربهم، المؤمنون به- فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزراً يسيراً، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً، وعطاءً جسيماً، وفوزاً دائماً»[1].

المطلب الثاني: الاستدلال بالمقاصد على مواجهة المخالفين: ففي تفسير قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤] يقول -رحمه الله-: «..لما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زاداً لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود

(١) ص ١٦٢.

منهـا وأنّ الله جعلهـا ابتلاءً وامتحانـاً لعباده، ليعلم من يقـدم طاعته ومرضاته على لذاته وشـهواته، فجعلوها وسـيلةً لهم وطريقـاً يتزودون منهـا لآخرتهم، ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهـم، وعلموا أنها كما قال الله فيها [ذلك متاع الحياة الدنيا] فجعلوها معبراً إلى الـدار الآخـرة، ومتجراً يرجون بهـا الفوائد الفاخـرة، فهؤلاء صارت لهـم زاداً إلى ربهم»[1].

وفي تفسـيره لقولـه تعالـى ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] عزز هـذا التوجيه بقوله -رحمـه الله-: ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ منعوها حقهـا التي هي بصـدده، فإنها مخلوقة لعبـادة اللّه وحده، فهـؤلاء وضعوها في غير موضعها، وأشغلوها بالشـهوات والمعاصي، فضروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها»[2].

المطلب الثالث: الترجيح بالمقاصد واستخراج الحكم والأحكام: نهج الشيخ في اسـتخراج الحكم والأحكام في تفسـيره إلى فن المقصد مـن الآية، ولجأ إليه في الترجيـح بين المختلف في التفسـير، ففـي قوله تعالـى﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[النسـاء: ٩٢] يقـول -رحمه الله- « ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ كفارة لذلك، تكون في ماله، ويشمل ذلك الصغيـر والكبيـر، والذكـر والأنثى، والصحيـح والمعيب، في قول بعـض العلماء. ولكـن الحكمة تقتضي أن لا يجزئ عتق المعيـب في الكفارة؛ لأنّ المقصود بالعتق

(١) ص ١٢٣.

(٢) ص ٦٣١.

نفع العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعتقه، وبقاؤه في الرق أنفع له فإنه لا يجزئ عتقه، مع أن في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ما يدل على ذلك؛ فإنّ التحرير: تخليص من استحقت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع لم يتصور وجود التحرير. فتأمل ذلك فإنه واضح»[1].

ومن وجوه توظيف المقاصد عند الشيخ -رحمه الله- بيان الراجح من القول بعد بيان الاحتمالات في الآية، فينهج -رحمه الله- بمنهج الاحتمال في التفسير ثم يقوم بالترجيح بنظرة مقاصدية ولا أروع، يقول- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى في سورة الغاشية معدداً لمعاني الآية: « ويحتمل أن المراد بقول﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية: ٢ - ٣] في الدنيا؛ لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان، صار يوم القيامة هباءً منثوراً، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحاً من حيث المعنى فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول، لأنه قيده بالظرف وهو يوم القيامة، ولأنّ المقصود هنا بيان وصف أهل النار عموماً، وذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلى أهلها؛ ولأنّ الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا... وأما طعامهم ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية: ٦ - ٧] وذلك أنّ المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة نسأل الله العافية»[2].

---

(١) ص ١٩٢.

(٢) ص ٩٢١.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

بعد هذا العرض لدراسة المقاصد عند الإمام ابن سعدي في تفسيره الموسوم ب « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» تبين للباحث وقوف الشيخ -رحمه الله-- على مقاصد القرآن عامة وآياته بشكل مخصوص، واستطاع الشيخ إظهار واستنباط هذه المقاصد وتوظيفها في بيان الحكم والترجيح من خلالها.

ويوصي الباحث بالنقاط الآتية:

١- العناية بهذا الفن من قبل أهل التفسير خاصة وأهل الشريعة بشكل عام؛ لما له من أهمية في كشف وبيان مراد الله بحسب الجهد البشري.

٢- قيام مؤسسة علمية بفريق بحث بكتابة تفسير كامل للقرآن الكريم يقوم على تقصيد التفسير وبيان مقصد كل سورة وآية ومقطع، ليكون تفسيراً مقاصدياً بالدرجة الأولى.

٣- التحذير من الدعوى المقاصدية في فهم القرآن ممن لا يحسن ذلك، أو ممن كان هدفه التشغيب على الدين وأهله؛ وعلامة هؤلاء الأخذ بالمقاصد الجزئية، كلُّ مقصد يناقض بقية المقاصد ليجعل القرآن عنين؛ فبدعوى تحرير المرأة- وهو مقصد شرعي- تخرج المرأة من حيائها ودينها؛ فتحرير المرأة مقصد لا ينفك عن باقي المقاصد في شأنها، وهكذا في بقية مواضيع الدين.

٤- أوصي المفسرين والعلماء باستصحاب مقاصد الدين ومقاصد القرآن في تعاطيهم مع التفسير والفتوى والفكر والثقافة؛ فهو عاصمٌ عن الزلل، رادع عن الخطل، بل هو موجه للفهم ومسدد للرأي.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١) الأفق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، د إدريس مقبول، ٢٠١١م، عالم الكتب الحديث.

٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣) بين مقاصد التفسير والنقد التفسيري، د. فريدة زمرد، مجلة الإحياء، . فبراير ٢٠١٩.

٤) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ.

٥) التسهيل لعلوم التنزيل، ٢ أبو القاسم، محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٦) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

٧) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء ابن كثير، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط١ - ١٤١٩ هـ.

٨) تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة:

الثالثة - ١٤١٩ هـ.

٩) توظيف المقاصد في فهم القرآن وتفسيره، التهامي الوزاني، جمعية المحافظة على القرآن الكريم،٢٠٠٨م.

١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

١١) جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر الطبري، مكتب التحقيق بدار هجر، ط١.

١٢) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٥) سنن أبي داود، أبو داود، دار الفكر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٦) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عبد الرحمن العدوي،، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عدد٤٤.

١٧) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت،ط١.

١٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد ابن عطية الأندلسي المحاربي، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ ه..

١٩) معالم التنزيل محيي السنة، أبو محمد بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٤ ١٤١٧هـ .

٢٠) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

٢١) معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.

٢٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار العلم الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٢٣) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، د عبد الكريم الحامدي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨، ٢٩. دار ابن حزم، ٢٠٠٨م.

٢٤) الموافقات، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٥) نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، د إسماعيل الحسني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،٢٠٠٥م، ط٢.

التفسير المقاصدي
عند السعدي في تفسيره
(ورقة عمل)

أ.د. محمد بن عبدالله الربيعة

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإن من أعظم العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى، علم المقاصد القرآنية التي تدور حول غايات القرآن وحكمته، وهو جانب مهم يحقق الغاية من كتاب الله تعالى ويوصل إلى الاهتداء والعمل به.

وقد عُنى بذلك المفسرون قديماً وحديثاً، ذلك أن غاية المفسر هو بيان المقصود من الآيات الذي به يعرف مراد الله من كلامه سبحانه.

وهذا الجانب وإن لم يكن ظاهراً كنوع من أنواع التفسير إلا أنه مرتبط بالتفسير أصلاً في أي نوع من أنوعه.

وممن عنى بهذا الجانب عناية بارزة، السعدي في تفسيره «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، وكتابه «**القواعد الحسان**».

ولظهور هذا الجانب عند السعدي مع عدم إبرازه لدى الباحثين كجانب من الجوانب التي تميز بها السعدي حقيقة، بل إنني على يقين بأنّ تميّز السعدي وعظم أثره كان لعدة أسباب، منها: عنايته بجوانب الحكمة في الآيات.

ومن هنا جاء هذا البحث تلبية لدعوة اللجنة العلمية في مؤتمر السعدي، للكتابة عن جانب من جوانب التفسير عند السعدي رحمه الله تعالى.

وقد بنيت خطة هذا البحث على: **مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث.**

المقدمة: وفيها بيان أهمية البحث والحاجة إليه وخطة البحث.

التمهيد، وفيه:

* التعريف بالمقاصد والتفسير المقاصدي.

* علاقة التفسير المقاصدي بأنواع التفسير وأثره فيها.

* الحاجة إلى التفسير المقاصدي.

المبحث الأول : مقاصد القرآن العامة عند السعدي

المبحث الثاني : مقاصد السور عند السعدي

المبحث الثالث : مقاصد الأحكام عند السعدي

المبحث الرابع : مقاصد الآيات عند السعدي

المبحث الخامس : مقاصد الألفاظ عند السعدي

وقد سلكت منهج البحث الاستقرائي والتحليلي، وأعتبر أن هذه الورقة نواة لمشروع بحثي في تفسير السعدي في مجال المقاصد والحكمة في تفسيره.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل مباركًا

وصلى الله على نبينا محمد..

التمهيد:

مدخل إلى التفسير المقاصدي :

لابد لنا قبل الدخول في بيان المقاصد عند السعدي أن نذكر مقدمات مهمة حول التعريف بالمقاصد والتفسير المقاصدي، وعلاقته بأنواع التفسير.

- تعريف المقاصد:

- المقصد:

لغة: ما ينتج عنه التوجه نحو الشيء، قَصَدَ الشيء أي: توجّه إليه سواء كان التوجه بالنظر أم بالجسد، قَصَدْتُ كذا أي: توجهتُ إلى هذا الأمر، أو إلى هذا الرأي[1].

وتأتي الكلمة عند أهل اللغة بمعان عدة منها:

- استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ (النحل:٩).

- العدل والوسط بين الطرفين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ (فاطر:٣٢)[2].

اصطلاحًا: مقصد الكلام، هو أن يتوجه الكلام واللفظ إلى معنى معين، أو غاية يريدها المتكلم[3].

وأما المقاصد القرآنية؛ فهي: الغايات التي أرادها الله في كتابه، ويعبر عنها بـ: «مراد الله تعالى من كلامه»، وعرّفها الدكتور عبد الكريم حامدي بأنها: «الغايات

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٥٩).

(٢) لسان العرب (٣/ ٩٥)، مختار الصحاح (٢/ ٢٤).

(٣) نظرية المقاصد (ص: ١٩).

التي أُنزل القرآن لأجلها تحقيقًا لمصالح العباد»[1].

والمقاصد في كتاب الله تعالى منها ما هو صريح أي: غايته صريحة؛ مثل قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (البقرة: ٢)؛ يبين الله تعالى أن غاية هذا الكتاب ومقصده هو الهدى، فهذه الغاية صريحة.

وهناك مقاصد خفية في أثناء الكلام؛ كما في قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (البقرة:٢)؛ غايتها: بيان علو هذا الكتاب وارتفاع منزلته، فهذه غاية لم يصرّح بها، وإنما فهمناها من اسم الإشارة: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾.

والمقاصد مصطلح يشترك معه مرادفات أخرى مثل: **الحكمة، والعلة، والغايات، والغرض، والمراد، والأهداف**، ولا أرى فرقًا بينها.

مفهوم التفسير المقاصدي:

من خلال تعريفنا للمقاصد عامة، يمكن لنا أن نحدد مفهوم التفسير المقاصدي بأنه: **علم يبحث في الغايات التي يدور حولها القرآن كليًا أو جزئيًا، واستخراج حكمه وهداياته.**

قال د. وصفي أبو زيد في كتابه التفسير المقاصدي: «هو لون من ألوان التفسير يبحث في الكشف عن المعاني والغايات التي يدور حولها القرآن الكريم كليًا أو جزئيًا مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد»[2].

فيظهر من خلال التعريف أن التفسير المقاصدي يتكون من:

١- المقاصد الكلية، ويدخل فيها مقاصد القرآن العامة، مقاصد السور.

٢- المقاصد الجزئية: مقاصد الآيات والأحكام والألفاظ.

(١) مقاصد القرآن (ص: ٢٩).

(٢) التفسير المقاصدي (ص: ٧).

منزلة التفسير المقاصدي:

التفسير المقاصدي جزء أساس من تفسير القرآن، ولا بد للمفسر من مراعاته، ذلك أن غاية المفسر بيان مراد الله تعالى من كلامه، وهو المقصود في الآيات.

قال ابن عاشور: «فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن»(١).

وقال الدكتور أحمد الريسوني: «المقاصد التفصيلية للآيات، هي التي يعنى بها عامة المفسرين»(٢).

وقال الدكتور وصفي أبو زيد في التفسير المقاصدي: "الفهم المقاصدي للقرآن الكريم، أو لسوره، أو موضوعاته، لا غنى عنه لأي نوع من أنواع التفسير، ولا ينفك عنه المفسر أبدا، وهذا يشير إلى محورية المقاصد وضرورتها وأولويتها لدى المفسر"(٣).

أثر التفسير المقاصدي:

يظهر أثر التفسير المقاصدي في التفسير من عدة جوانب:

١- بالنسبة للمقاصد العامة: فإن التفسير المقاصدي يبرز الغايات الكبرى التي أرادها الله في كتابه كالهداية، والتوحيد، والتزكية، وتحقيق المصالح الدنيوية والأخروية.

٢- بالنسبة لمقاصد السور: فإن التفسير المقاصدي يبرز المقصد العام للسورة،

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٢).

(٢) الموقع الالكتروني للدكتور أحمد الريسوني، المقال بعنوان: «مقاصد القرآن».

(٣) التفسير المقاصدي (ص: ١٧).

ويربط جميع أجزائها به فيجعلها في صورة مترابطة، ويبين معاني الآيات وهداياتها من خلال مقصدها فيكشف عن أسرارها وحكمها وهداياتها، وهذا أعظم ما ينبغي العناية به في تفسير السور.

٤- بالنسبة لمقاصد الآيات: فإن التفسير المقاصدي يتجاوز المعنى اللغوي إلى بيان مراد الله تعالى في الآية، وما تضمنته من حكم وهدايات.

٥- بالنسبة لمقاصد الألفاظ: فإن التفسير المقاصدي يبيّن اللفظة بالمعنى الجامع بين معناها اللغوي، ومراد الله منها، وما يجلي معناها ببيان التعليل والحكمة.

وسيظهر في الدراسة التطبيقية من خلال تفسير السعدي، أمثلة موضحة لذلك بإذن الله تعالى.

- **علاقة التفسير المقاصدي بالتدبُّر:**

التفسير المقاصدي من أعظم نتائجه إبراز الجانب التدبري المتمثل في هدايات الآيات وتنزيلها على الواقع، ولهذا قال الشاطبي عند قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (ص: ٢٩) : «إنما التدبر يكون لمن التفت إلى المقاصد»[1].

وهو الطريق إلى هدايات السورة والآيات وإبراز جوانب العمل فيها.

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٠٩).

المبحث الأول: مقاصد القرآن العامة عند السعدي:

المطلب الأول: المراد بمقاصد القرآن

هي الغايات العليا التي أنزل القرآن لأجلها في دعوة الناس إلى عبادة الله، وتحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية[1].

قال العز بن عبد السلام: «معظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»[2].

وقال ابن جزي: «فاعلم أن المقصود بالقرآن: دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله؛ أحدهما: بيان العبادة التي دُعي الخلق إليها، والآخر: ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وترددهم إليها»[3].

وقال ابن عاشور: «المقصد الأعلى من القرآن: صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية»[4].

---

(١) مقاصد القرآن (ص: ٢٩).

(٢) قواعد الأحكام (١/ ٨).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٨).

(٤) التحرير والتنوير (٣/ ١٨).

المطلب الثاني: عناية السعدي بمقاصد القرآن العامة.

عنى السعدي بمقاصد القرآن عناية بالغة، وجاء كتابه: «القواعد الحسان» مترجم لذلك، فغالب الكتاب في إبراز مقاصد القرآن، وكلّياته، ومنهجه، وطريقته، وكل ذلك متعلق بالبعد المقاصدي.

ولعلّي أبيّن ذلك بالأمثلة:

في أول كتاب «القواعد الحسان» ذكر عدة قواعد في بيان المقاصد العامة للقرآن ومنها قوله:

(القاعدة الأولى: كيف يتلقى القرآن؟):

ومما قاله في بيانها: «فاعلم أن هذا القرآن العظيم أنزله الله لهداية الخلق وإرشادهم... فعلى الناس أن يتلقوا معاني كلام الله كما تلقاه الصحابة -رضي الله عنهم-، إنهم إذا قرؤوا عشر آيات أو أقل، لم يتجاوزوها حتى يعرفوا ما دلت عليه من الإيمان والعلم والعمل فينزلونها على الأحوال الواقعة.. فيهتدون بعلومه ويتخلقون بأخلاقه...، وختم كلامه بقوله: «ومتى علم العبد أن القرآن فيه تبيان كل شيء، وأنه كفيل بجميع المصالح، مبين لها، حاث عليها، زاجر عن المضار كلها، وجعل هذا القاعدة نصب عينه، ونزّلها على كل واقع وحادث سابق أو لاحق، ظهر له عظم مواقعها، وكثرة فوائدها وثمراتها «[1].

وكأن السعدي في هذه القاعدة، يعطينا منهجاً لتفسير القرآن وفق مقاصده، وغاياته، وثمراته العملية.

وقد ألحق هذه القاعدة بقواعد متعلقة بها ومنها:

---

(١) القواعد الحسان (ص: ٩).

(القاعدة السادسة: في طريقة القرآن في تقرير التوحيد ونفي ضده):

قال السعدي معلقاً على هذه القاعدة: «يكاد القرآن أن يكون كله لتقرير التوحيد ونفي ضده»[1].

(القاعدة السابعة: في طريقة القرآن في تقرير نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-):

قال السعدي معلقاً على هذه القاعدة: «هذا الأصل الكبير قرره الله في كتابه بالطرق المتنوعة التي يعرف بها كمال صدقه صلى الله عليه وسلم...»[2].

(القاعدة الثامنة: طريقة القرآن في تقرير المعاد):

قال السعدي معلقاً موضحاً هذه القاعدة: «وهذا الأصل الثالث من الأصول التي اتفقت عليها الرسل والشرائع كلها... وهذا قد أكثر الله من ذكره في كتابه وقرره بطرق متنوعة»[3].

(القاعدة التاسعة والعشرون: في الفوائد التي يجتنيها العبد في معرفته وفهمه لأجناس علوم القرآن):

قال السعدي في توضيح هذه القاعدة: «وهذه القاعدة تكاد أن تكون هي المقصود الأعظم في علم التفسير، وذلك أن القرآن مشتمل على علوم متنوعة، وأصناف جليلة من العلوم... فأجلّ علوم القرآن على الإطلاق علم التوحيد، وما لله من صفات الكمال...، ومن علوم القرآن صفات الرسل وأحوالهم...، ومن علوم القرآن: علم أهل السعادة والخير وأهل الشقاوة والشر...، ومن علوم القرآن: علم الجزاء في الدنيا والبرزخ والآخرة على أعمال الخير وأعمال الشر، وفي ذلك

(١) المصدر السابق (ص: ٢٠).

(٢) القواعد الحسان (ص: ٢٢).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٥).

مقاصد جليلة: الإيمان بكمال عدل الله وسعة فضله، والإيمان باليوم الآخر...، ومن علوم القرآن: الأمر والنهي، وفي ذلك مقاصد جليلة: معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله...»[1].

فتأمّل كيف نص في هذه القاعدة على مقصد القرآن الكلي؟ ثم علّق على القاعدة بذكر مقاصد القرآن العامة وهي:

١- علم التوحيد، وما لله من صفات الكمال.

٢- صفات الرسل وأحوالهم.

٣- علم أهل السعادة والخير، وأهل الشقاوة والشر.

٤- علم الجزاء في الدنيا والبرزخ والآخرة على أعمال الخير وأعمال الشر.

٤- الأمر والنهي، وفي ذلك مقاصد جليلة: معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله.

(القاعدة الخامسة والأربعون: حث الباري في كتابه على الصلاح والإصلاح):

قال السعدي موضحاً هذه القاعدة: «هذه القاعدة من أعم القواعد، فإن القرآن يكاد يكون كله داخلاً تحتها»[2].

وغالب القواعد التي ذكرها السعدي في القواعد الحسان متجهة نحو الجانب المقاصدي في بيان المقاصد العامة والخاصة في القرآن.

ولذا فيمكن القول بأن هذا الكتاب يعتبر كتاباً في مقاصد القرآن العامة والخاصة.

---

(١) المصدر السابق (ص: ٨٧).

(٢) القواعد الحسان (ص: ١٢٠).

المبحث الثاني: مقاصد السور في تفسير السعدي.

المطلب الأول: التعريف بمقاصد السور.

مقصد السورة هو: «الغاية الجامعة لمعاني السورة ومضمونها»[1].

وتتجلى أهمية علم مقاصد السور ومنزلته بأمور:

أولاً: أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى، ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقصدها.

قال الشاطبي: «اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها»[2].

ثانيًا: أنه يعين على فهم كتاب الله تعالى فهمًا صحيحًا، ويوصل إلى معرفة الحق في تفسير كلام الله تعالى، والتبحر في دلالاته وهداياته، ودقائق معانيه.

قال البقاعي في كلامه على علم المقاصد: «وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السور، ومنفعته: التبحر في علم التفسير»[3].

ثالثًا: أن معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها، سبيل للسلامة من الخطأ، وتفسير كلام الله على غير مراده[4].

رابعًا: أن مقاصد السور من أعظم ما يتحقق بها ربط الآيات بالواقع، وذلك أن المتدبر في مقصد السورة يعايش السورة معايشة تبعثه على التفاعل والعمل والتطبيق.

---

(١) علم مقاصد السور (ص: ٧).

(٢) الموافقات (٣/ ٤١٥).

(٣) مصاعد النظر (١/ ١٥٥).

(٤) دلائل النظام (ص: ٧٥).

المطلب الثاني: عناية السعدي بمقاصد السور.

لم أجد للسعدي منهجاً مطرداً في بيان مقاصد السور، لكننا حين ننظر في ثنايا تفسيره للسورة، نجده يذكر أحياناً ما تتجه إليه السورة من مقصد عام، مثال ذلك:

قال في تفسيره لسورة الفاتحة: «فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على مالم تحتو عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة... وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى عبادة واستعانة »[1].

وقال في سورة آل عمران: "نزل صدرها إلى بضع وثمانين آية في مخاصمة النصارى وإبطال مذهبهم ودعوتهم إلى الدخول في دين الإسلام"[2].

وقال في سورة الإنسان: "ذكر الله في هذه السورة الكريمة، أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها"[3].

وقال في سورة النصر: "في هذه السورة الكريمة بشارة وأمر لرسوله صلى الله عليه وسلم عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك"[4].

وقال في سورة الناس: "وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها "[5].

وبالجملة فإن عناية السعدي في بيان مقاصد السور قليلة.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٥).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٠٦٣).

(٤) المصدر السابق (٢/ ١١٠٦).

(٥) المصدر السابق (٢/ ١١٠٨).

المبحث الثاني: مقاصد الأحكام في تفسير السعدي

ظهرت عناية السعدي بإبراز الحكمة في التشريعات، ويعتبر هذا الجانب من أبرز من تميز به السعدي من جوانب المقاصد، ومن الأمثلة في ذلك:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ (المائدة:١)

قال السعدي في بيانها: «وأحل لكم بهيمة الأنعام رحمة بكم، وحرّم عليكم ما استثنى منها من ذوات العوارض، من الميتة ونحوها، صوناً لكم واحتراماً، ومن صيد الإحرام، احتراماً للإحرام وإعظاماً»[1].

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ (المائدة: ٣)

قال السعدي: «واعلم أن الله تعالى لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده وحماية لهم من الضرر الموجود في الموجودات، وقد يبين ذلك لعباده وقد لا يبين»[2].

قوله تعالى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣﴾ (النساء: ٤٣)

قال السعدي في بيانها: «ومع هذا فإنه يشتد تحريمه وقت حضور الصلاة

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٣٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٤٠).

لتضمنه هذه المفسدة العظيمة، بعد حصول مقصود الصلاة الذي هو روحها ولبها وهو الخشوع وحضور القلب».

قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾(البقرة: ١٩٧)

قال السعدي: «أي يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصاً الواقع في أشهره»[١].

وقال أيضاً بعد بيانه للآية: "والمقصود من الحج الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك يكون مبرورا، والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة"[٢].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ (المائدة: ٨٧)

قال السعدي: «ما أحل الله لكم من المطاعم والمشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ أحلها لكم، واشكروه ولا تردوا نعمته بكفرها، أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراما خبيثا، فإن هذا من الاعتداء»[٣].

فتبين لنا من خلال هذه الأمثلة عناية السعدي بهذا الجانب وبروزه في تفسيره.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٩١).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٩١).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٤٢).

المبحث الرابع: مقاصد الآيات في تفسير السعدي

المطلب الأول: المراد بمقاصد الآيات

مقاصد الآيات هي: **الأغراض الخاصة التي تضمنتها الآية الكريمة في ضوء سياقها.**

ولا شك أن كل آية تتضمن غرضًا مستقلاً أو مكملاً لما قبلها في سياق الغرض العام للسورة؛ ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ (هود: ١)؛ ولا شك أن من الإحكام كون الآية دالة على معانٍ وأغراض مهمة مبنية ومنتظمة مع ما قبلها وبعدها.

والفرق بين معنى الآية ومرادها أو غرضها أو مقصدها هو: أن معنى الآية يغلب فيه المعنى اللغوي حسب لغة العرب أو اصطلاح الشرع، ويدخل فيه الغريب والمعاني اللغوية، وأقوال المفسرين في بيان معنى مفردات القرآن.

أما المراد أو الغرض فهو المعنى السياقي المحقق للغاية التي أرادها الله تعالى في كتابه، مثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ (الإخلاص: ٢).

فالمعنى اللفظي هو: بيان معاني الصمد في اللغة وأقوال المفسرين.

والمعنى السياقي أو المراد والغرض هو: ماذا يريد الله من عباده تحقيقه في هذه الآية، وهو العلم بكمال الله تعالى وغناه، وحاجة الخلق إليه، مما يلزم توحيده والتوجه إليه وجده.

وتظهر أهمية دراسة مقاصد الآيات من خلال عدة أمور:

١- أن مقصد الآية هو تحقيق لمعرفة لمراد الله منها، وهو الأهم في بيان الآية.

٢- معرفة الرابط بين الآية وما قبلها وبعدها بحسب السياق؛ فغرض الآيات ومقصودها تنتظم به الآيات ومناسباتها.

٣- معرفة الفرق بين الآيات المتشابهة، فالطريق الأسلم لمعرفة الفرق بين الآيات المتشابهة، هو النظر لمقاصدها وأغراضها، مثال ذلك:

بيان سر التعبير في قوله: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ (البقرة: ٦٠)، وقوله: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ (الأعراف: ١٦٠) والموقف واحد، فحين نتأمل في الغرض في قصة البقرة نجد أنه التذكير بالنعم وتعدادها على بني إسرائيل، فناسب التعبير بالانفجار الذي هو أظهر حال في كمال النعمة.

٤- تحقيق المعنى الصحيح في الآيات التي فيها إشكال: فكثير من الآيات التي يعدُّها المفسرون مشكلة أو موهمة التعارض؛ نجد أن الحلَّ الأسلم لبيانها، هو النظر في مقصودها وغرضها في السياق الذي وردت فيه.

المطلب الثاني: عناية السعدي بمقاصد الآيات

للسعدي طريقة تميز بها في التفسير، وأرى أنها من أبرز ما جعل للسعدي هذا القبول والأثر المبارك، وهو عنايته بالغايات والعلل والحكم، في الآيات وخواتيمها وإبرازها في تفسيره، حتى إن الذي يتتبع ذلك يجزم بأنه منهج مطّرد مقصود في تفسير السعدي، يؤكده ما وضحته في المطلب السابق من عنايته ببيان مقاصد القرآن في كتابه القواعد الحسان.

ولعلي في هذا المطلب أن أذكر أمثلة تجلي عنايته بهذا الجانب:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ (البقرة: ٢١).

قال السعدي: «هذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه»[1].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ (الطلاق: ١٢)

قال السعدي: «أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن، وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي يدبر بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٤).

ذلك، الظالمون المعرضون»[1].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (البقرة:٩٩).

قال السعدي: « ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ﴾ تحصل بها الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على من عاند"[2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ (المائدة: ١).

قال السعدي في أولها: «هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود»[3].

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ (آل عمران:٧٩)

قال السعدي: «وهذه الآية نزلت رداً لمن قال من أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد أن نعبدك مع الله؟» »[4].

قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٩٦)

قال السعدي: «وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من

---

(١) المصدر السابق (١/ ٨٧٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٦٠).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٣٨).

(٤) تفسير السعدي ١(/ ١٣٦).

متاع الدنيا، وتنعمهم فيها»[1].

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ (النساء: ١٢٦)

قال السعدي: «وهذه الآية الكريمة فيها بيان إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء»[2].

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ (الزلزلة: ٧ – ٨).

قال السعدي: «وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً»[3].

ومما برز فيه السعدي بيان الحكمة من ختم الآيات بالأسماء والصفات، وهو من أبرز الجوانب التي عنى بها السعدي في تفسيره، بل جعله قاعدة من القواعد الحسان، ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٩٦ ﴾ (البقرة: ١٩٦).

قال السعدي: « أي لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى، فإن من خاف عقاب الله انكفّ عما يوجب العقاب»[4].

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٩ ﴾ (آل عمران: ١٢٩).

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٦٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ٩٣٢).

(٤) تفسير السعدي (١/ ٩١).

قال السعدي: «ختم الآية باسمين كريمين دالين: على سعة رحمته، وعموم مغفرته، وسعة إحسانه...، ولم يختمها باسمين أحدهما: دال على الرحمة، والثاني دال على النقمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة، فله تعالى رحمة وإحسان سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشر»[1].

(١) المصدر السابق (١/ ١٤٦).

المبحث الخامس: مقاصد الألفاظ عند السعدي.

مقاصد الألفاظ هي: **بيان ما تتضمّنه الألفاظ، وتراكيبها، وأساليبها، من أغراض وعلل.**

وهذا الجانب هو المنهج المطرد في تفسير السعدي، بل هو أعظم ما يميزه في تفسيره ذلك أنه لا يكتفي في بيان الألفاظ بالمعنى اللغوي، ولا بيان التراكيب والأساليب كبيان بلاغي، وإنما يبين ما تضمنته من غرض وحكمة في ضوء سياقها، وهو المعنى المقاصدي.

ويمكن تقسيم هذا المبحث إلى مطالب:

المطلب الأول: بيان المعنى المقاصدي للفظة القرآنية

المعنى المقاصدي هو بيان ما تتضمّنه اللفظة من معنى غريب لغوي، وغرض سياقي، وهو ما يمكن أن نسمّيه: المعنى السياقي أو المقاصدي.

قال السعدي: «وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطوّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصّر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية، بقطع النظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله»[1].

ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ (الفاتحة: ١)

قال السعدي: «الله: هو الإله المعبود المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به

(١) تفسير السعدي (١/ ٣٩).

من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال»[1].

قال تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ (البقرة: ٥٩)

قال السعدي: « فقالوا بدل حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله واستهزاء»[2].

قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (التحريم: ١٢)

قال السعدي: «أي: صانته وحفظته عن الفاحشة، لكمال ديانتها، وعفتها، ونزاهتها».

قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٦)

قال السعدي: «يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة»[3].

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٥٣).

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٠).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٦٦).

المطلب الثاني: بيان أغراض التراكيب والأساليب

السعدي يعنى عناية كبيرة باستنباط الدلالات الأصولية وأغراضها، والأساليب البلاغية وأسرارها، وهو جانب متعلق بالمقاصد وبيان الحكمة.

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ (البقرة : ٣)

قال السعدي: " أتى بـ (من) الدالة على التبعيض، **لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءاً يسيراً من أموالهم**، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم "[1].

قال تعالى: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ (البقرة : ٤)

قال السعدي: «﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ﴾ خصّه بالذكر بعد العموم، **لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل**»[2].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ (البقرة: ٢٩)

قال السعدي: "وفي هذه الآية العظيمة دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، **لأنها سيقت في معرض الامتنان**، يخرج بذلك الخبائث، فإن تحريمها أيضا يؤخذ من فحوى الآية، **ومعرفة المقصود منها**، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته، منعناً من الخبائث، تنزيها لنا»[3].

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٠).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٠٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٨).

قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾(البقرة: ٦١)

قال السعدي: « وقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم»[1].

قال تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾(البقرة: ١٥٠)، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾(البقرة: ١٤٩)

قال: «خاطب الأمة عموماً فقال:﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أكّده بـ(إنّ) و(اللاّم) لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال»[2].

فبيانه لغرض دلالة العموم وسر الإتيان بـ(إنّ) المؤكّدة واللاّم، إبراز للحكمة والغرض، وهو جانب من جوانب التفسير المقاصدي.

بالتأمل في هذه الأمثلة يظهر لنا عناية السعدي ببيان جوانب الحكمة، والعلة، والغرض، في الدلالات الأصولية والأساليب البلاغية، وهو كثير جداً في تفسيره، ويمكن اعتباره منهجاً بارزاً لدى السعدي، يظهر ذلك بسبب عنايته بالدلالات الأصولية واللغوية.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٦٠).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٤٨).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أهم النتائج:

من خلال ما بينته في هذه الورقة ظهر لي عدداً من النتائج المهمّة:

١- أن السعدي رحمه الله قد عنى ببيان المقصد والحكمة في الآيات بما يمكن اعتباره منهجاً بارزاً في تفسيره، ولذا فيعتبر تفسيره عمدة في ذلك.

٢- فيما يتعلق ببيان السعدي لمقاصد القرآن العامة، فإنه قد عنى عناية ظاهرة صرح بها في مقدمة تفسيره، وفي كتابه القواعد الحسان الذي ركز فيه على بيان مقاصد القرآن ومنهجه وطريقته.

٣- فيما يتعلق بعناية السعدي لمقاصد السور لم تكن عناية السعدي به ظاهرة.

٤- فيما يتعلق بعناية السعدي بمقاصد الأحكام، فقد تجلى لي عنايته الكبيرة بذلك بل لا تكاد تجد آية في الأحكام إلا وأبرز ما فيها من حكم ومقاصد تشريعية.

٥- فيما يتعلق بعناية السعدي بمقاصد الآيات، فقد ظهر لي جلياً عناية السعدي بالمعنى السياقي أو المقاصدي، وقد صرح بذلك في مقدمة تفسيره، وعليه فيعتبر هذا الجانب منهجاً بارزاً في تفسيره.

٦- فيما يتعلق بعناية السعدي بمقاصد الألفاظ ودلالاتها وأساليبها، فإنه كثيراً ما يبيّن ذلك ضمن بيانه لمعنى الآية وهو جانب دقيق في التفسير.

أهم التوصيات:

أوصي بما يلي:

٧- دراسة هذا الجانب عند السعدي في مشروع بحثي يبرز فيه منهج السعدي وطريقته.

٨- قراءة تفسير السعدي بتركيز على جوانب الحكمة والتعليل والغرض لتتكوّن لدى القارئ ملكة التفسير المقاصدي.

٩- العناية بدراسة هذا الجانب في التفاسير الأخرى كابن كثير، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، وابن العربي، وابن عاشور.

(٢٦

فقه السنة عند الشيخ ابن سعدي
كتاب «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار» أنموذجاً

أ.د. بندر بن نافع العبدلي

أستاذ السنة وعلومها، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد مّن الله علي -وله الحمد والفضل- بقراءة جُل كتب الشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي -رحمه الله- منذ أن سمعتُ شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله- يذكر اختياراته وترجيحاته -رحمه الله-... بقوله: «وهذا قول شيخنا عبدالرحمن بن سعدي»، «واختاره شيخنا ابن سعدي».

وعلّقتُ على بعض كتبه ورسائله في لقاءات علمية مع بعض طلبة العلم.

ومما زادني شرفاً وسروراً تكليفي من قبل اللجنة العلمية في (**مؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، آثاره ومنهجه في الاجتهاد والتجديد والدعوة**)، بالكتابة في أحد محاور المؤتمر، فوقع اختياري على ما يناسب التخصص وهو: (**فقه السنة عند الشيخ ابن سعدي كتاب بهجة قلوب الأبرار أنموذجاً**).

والمراد: إبراز الجانب الحديثي في فهم السنة عند الشيخ -رحمه الله-.

ووقع اختياري على كتابه (**بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**) لأنه من أجمع كتبه التي ظهر فيها تميُّزه الحديثي، حيث يأتي في المرتبة الثانية بعد تفسيره المبارك (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)

جمع فيه (٩٩) حديثاً من الجوامع انتقاها الشيخ -رحمه الله- متفرقة وشرحها شرحاً يبين مقاصدها ومعانيها الجليلة.

قال -رحمه الله- في مقدمته: «وقد بدا لي أن أذكر جملة صالحة من أحاديثه

الجوامع في المواضيع الكلية، والجوامع في جنس، أو نوع، أو باب من أبواب العلم، مع التكلم على مقاصدها وما تدل عليه، على وجه يحصل به الإيضاح والبيان مع الاختصار، إذ المقام لا يقتضي البسط».

وختمه بقوله: «تمت هذه الرسالة المشتملة على شرح تسع وتسعين حديثاً من الأحاديث النبوية الجوامع، في أصناف العلوم، والمواضيع النافعة، والعقائد الصحيحة، والأخلاق الكريمة، والفقه والآداب، والإصلاحات الشاملة، والفوائد العامة».

وأردتُ في هذا البحث إبراز شيء مما تميّز به الشيخ في فقه السنة من خلال كتابه هذا، مع أن الكتاب له مُميزات كثيرة يطول ذكرها[1].

ومشاركة مني لإخواني في المؤتمر، وأداء حق من حقوق هذا العلامَّة -رحمه الله- عليه وغفر له...

وقد اعتمدتُ على الطبعة التي حققها فضيلة الزميل الدكتور عمر بن عبدالله المقبل وفقه الله[2].

واللهَ أسأل أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه، إنه جواد كريم بر رحيم.

---

(١) ذكر فضيلة الدكتور عمر المقبل محقق الكتاب مميزات الكتاب وبعض المآخذ عليه في مقدمة تحقيقه ص (٩-٣).

(٢) وهي ط دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض ط الأولى ١٤٣٣هـ.

التمهيد

أهمية البحث:-

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:-

١. أنه يتعلق بأحد الأئمة الأعلام وهو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله-.

٢. إبراز جانب من الجوانب التي تميز بها الشيخ -رحمه الله- مع التفسير وهو جانب الفقه الحديثي.

٣. عظم قدر هذا الكتاب «**بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**» فهو يأتي في المنزلة الثانية بعد تفسيره -رحمه الله-.

٤. أن الأحاديث الواردة فيه هي من الأحاديث الجوامع، فكانت العناية باستنباطات الشيخ الفقهية منها من الأهمية بمكان.

مشكلة البحث:-

تتمثل مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:-

١. ما الجانب الحديثي الذي تميز به الشيخ -رحمه الله- في هذا الكتاب؟.

٢. ما هي الأحاديث التي اشتمل عليها الكتاب؟.

٣. ما هي الأساليب التي سلكها الشيخ في استنباطه من الأحاديث؟

٤. هل وافق الشيخ أحد من الأئمة على استنباطاته أو لا؟

أهداف البحث:-

١. الجانب الحديثي الذي تميز به الشيخ -رحمه الله- في كتابه هو في فقه السنة واستنباط المعاني الجليلة من الأحاديث النبوية.

٢. الأحاديث التي اشتمل عليها الكتاب هي من الأحاديث الجوامع.

٣. الأساليب التي سلكها الشيخ -رحمه الله- في استنباطه من الأحاديث متعددة، وأبرزها ذكر المعنى الإجمالي مع فوائد الأحاديث...

٤. ما يذكره الشيخ من الاستنباطات هي مما فتح الله عليه به وقد يوافق غيره من الأئمة لا سيما الشيخين الإمامين ابن تيمية وابن القيم فقد تأثّر بهما كثيرا، وظهر ذلك عليه في كثير من استنباطاته.

الدراسات السابقة:-

لم أقف بعد البحث على دراسة تبرز هذا الجانب من الجوانب التي تميز بها الشيخ -رحمه الله-. وهو استنباطه الفقهي من الأحاديث.

منهج البحث:-

سرت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي.. وذلك من خلال قراءة الكتاب أكثر من مرة واستخراج طريقة الشيخ -رحمه الله- في استنباط المعاني الجليلة التي تضمنها الحديث...

خطة البحث:-

قسمتُ البحث إلى فصلين، ومقدمة، وخاتمة، مع المصادر والفهارس وهي كالآتي:

الفصل الأول: طريقته في عرض الحديث وشرحه، وفيه مباحث:

المبحث الأول: العبارات الكلية التي تشير إلى أهمية الحديث ومكانته.

المبحث الثاني: المعاني الجليلة التي تضمنها الحديث بالكلام على مفرداته.

المبحث الثالث: تقسيم الحديث إلى منطوق ومفهوم.

المبحث الرابع: الكلام على الحديث بجمله وتقسيماته.

المبحث الخامس: الإشارة إلى الخلاف الفقهي مع ذكر القول الراجح.

المبحث السادس: ذكر فوائد الحديث وما يشمله بعمومه.

الفصل الثاني: الأصول والقواعد والاستطرادات والإيرادات على الأحاديث ونقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم... وفيه مباحث:

المبحث الأول: الأصول والقواعد.

المبحث الثاني: الاستطراد في شرح بعض الأحاديث.

المبحث الثالث: الإيرادات والتعقبات.

المبحث الرابع: نقله عن شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما الله.

وجعلت بعد كل مبحث خلاصة فيها إشارة إلى ما تميز به الشيخ في هذا الجانب.

المصادر.

الخاتمة.

الفهارس.

المبحث الرابع: الكلام على الحديث بجمله وتقسيماته.

المبحث الخامس: الإشارة إلى الخلاف الفقهي مع ذكر القول الراجح.

المبحث السادس: ذكر فوائد الحديث وما يشمله بعمومه.

الفصل الثاني: الأصول والقواعد والاستطرادات والإيرادات على الأحاديث ونقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم... وفيه مباحث:

المبحث الأول: الأصول والقواعد.

المبحث الثاني: الاستطراد في شرح بعض الأحاديث.

المبحث الثالث: الإيرادات والتعقبات.

المبحث الرابع: نقله عن شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما الله.

وجعلت بعد كل مبحث خلاصة فيها إشارة إلى ما تميز به الشيخ في هذا الجانب.

المصادر.

الخاتمة.

الفهارس.

الفصل الأول: طريقته في عرض الحديث وشرحه.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: العبارات الكلية التي تشير إلى أهمية الحديث ومكانته.

المبحث الثاني: المعاني الجليلة التي تضمنها الحديث بالكلام على مفرداته.

المبحث الثالث: تقسيم الحديث إلى منطوق ومفهوم.

المبحث الرابع: الكلام على الحديث بجمله وتقسيماته.

المبحث الخامس: الإشارة إلى الخلاف الفقهي مع ذكر القول الراجح.

المبحث السادس: ذكر فوائد الحديث وما يشمله بعمومه.

المبحث الأول

العبارات الكلية التي تشير إلى أهمية الحديث ومكانته.

أطلق الشيخ -رحمه الله- عبارات كلية جامعة عند شرحه لبعض الأحاديث تدل على أهميتها والعناية بها.

فمن ذلك:

١) عند شرحه لحديث عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ: "**إنما الأعمال بالنيات**»[١].

قال: «فعلم بهذا: أن هذا الحديث جامعٌ لأمور الخير كلها، فحقيقٌ بالمؤمن الذي يريد نجاة نفسه ونفعها أن يفهم معنى هذا الحديث، وأن يكون العمل به نُصب عينيه في جميع أحواله وأوقاته»[٢].

٢) وقوله عند شرح الحديثين الأولين:

حديث عمر بن الخطاب ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات...**».

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[٣].

قال: «هذان الحديثان العظيمان يدخل فيهما الدين كله: أصوله وفروعه ظاهره وباطنه، فحديث عمر ﷺ ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة ميزان للأعمال

---

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٧).

(٣) رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨).

الظاهرة »[1].

٣) وعند شرحه لحديث معاوية ﷺ مرفوعاً: «**مَن يُرِد اللهُ به خيراً يفقهُه في الدين**» متفق عليه[2].

قال: «هذا الحديث من أعظم فضائل العلم، وأن العلم النافع علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيراً»[3].

٤) وعند شرحه لحديث أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اشفعُوا تُؤجَروا**... الحديث» متفق عليه[4].

قال: «وهذا الحديث متضمن لأصل كبير، وفائدة عظيمة، وهو أنه ينبغي للعبد أن يسعى في أمور الخير سواء أثمرت مقاصدها ونتائجها أو حصل بعضها، أو لم يتم منها شيء، وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء، ومن تعلقت حاجتهم بهم»[5].

٥) وعند شرحه لحديث أبي هريرة: « **إن الدينَ يُسر، ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه**... الحديث»[6].

قال: «ما أعظم هذا الحديث، وأجمعه للخير والوصايا النافعة، والأصول

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٣).

(٢) «صحيح البخاري»(٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٤٦).

(٤) «صحيح البخاري»(١٣٦٥)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٥) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٥٩).

(٦) رواه البخاري (٣٩).

الجامعة »[1].

٦) وعند شرحه لحديث أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ، أن الله تعالى قال: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**... الحديث »[2].

قال: «هذا حديث جليل، أشرف حديث في أوصاف الأولياء، وفضلهم ومقاماتهم»[3].

٧) وعند شرحه لحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو يُعطَى الناسُ بدعواهم لادّعى رجالٌ دماءَ قوم وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه**» رواه مسلم[4].

قال: «هذا الحديث عظيم القدر، وهو أصل كبير من أصول القضايا والأحكام»[5].

٨) وعند شرحه لحديث عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمُه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان...**» متفق عليه[6].

قال: «هذا حديث عظيم، تضمن من عظمة الباري ما لا تحيط به العقول ولا تعبر عنه الألسن»[7].

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٠١).

(٢) رواه البخاري (٦١٣٧).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٢٥).

(٤) برقم (١٧١١).

(٥) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٧٦).

(٦) «صحيح البخاري» (٧٠٧٤)، ومسلم (١٠١٦).

(٧) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٢٩).

وعند شـرحه لحديث عبدالله بن مسعود ﷺ: « أن النبي ﷺ كان يدعو، فيقول: **اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى** » رواه مسلم[1].

قـال: «هذا الدعاء مـن أجمع الأدعية وأنفعها. وهو يتضمن سـؤال خير الدين وخير الدنيا»[2].

والخلاصة: أن مثل هذه العبارات الكلية تبرز فقه الشيخ -رحمه الله- واستنباطه مـن الأحاديث النبوية، وهو يشـير إلى العناية بها وبما تضمنته مـن معانٍ جليلة تنير للسالك طريقه عند تطبيقها والعمل بها.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢١).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٦٠).

المبحث الثاني: المعاني الجليلة التي تضمنها الحديث بالكلام على مفرداته.

يذكر الشيخ -رحمه الله- في شرحه المعنى الإجمالي لمفردات الحديث ليتضح مراد النبي ﷺ لمن قرأه بعبارة سهلة وميسرة.

وجرى على هذا في كثير من الأحاديث، فمن ذلك:

١) عند شرحه لحديث تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدينُ النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه مسلم[١].

قال: «كرر النبي ﷺ هذه الكلمة اهتماما للمقام، وإرشادا للأمة أن يعلموا حق العلم أن الدين كله -ظاهره وباطنه- منحصر في النصيحة، وهي القيام التام بهذه الحقوق الخمسة».

ثم بدأ يفصل في هذه الحقوق ويشرحها إجمالاً[٢].

٢) وعند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدين يُسر، ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة**» متفق عليه[٣].

شرح المعنى الإجمالي لمفردات الحديث، فقال: «**إن الدين يسر**» أي: ميسر مسهل في عقائده وأخلاقه وأعماله، وفي أفعاله وتُرُوكه.

و«لن يشاد الدين أحد إلا غلبه» فمن قاوم هذا الدين بشدة وغلو، ولم يقتصد: غلبه الدين، واستحسر ورجع القهقرى، ولهذا أمر ﷺ بالقصد، وحث عليه، فقال: «والقصد القصد تبلغوا»، ثم وصّى ﷺ بالتسديد والمقاربة.

فالتسديد: أن يقول الإنسان القول السديد، ويعمل العمل السديد، ويسلك الطريق الرشيد، وهو الإصابة في أقواله وأفعاله من كل وجه.

فإن لم يدرك السداد من كل وجه فليتق الله ما استطاع، وليقارب الغرض. فمن لم يدرك الصواب كله فليكتف بالمقاربة، ومن عجز عن العمل كله فليعمل منه ما يستطيعه»(٤).

٣) وعند شرحه لحديث علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، ألا، لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده**» رواه أبو داود والنسائي. ورواه ابن ماجه عن ابن عباس ﷺ(١).

شرح المعنى الإجمالي لمفردات الحديث، فقال: "فالمسلمون كلهم على حد سواء، فمن قتل أو قطع طرفا متعمدا عدوانا، فلهم أن يقتصوا منه بشرط المماثلة في العضو.

«ويسعى بذمتهم أدناهم» يعني: أن ذمة المسلمين واحدة. فمتى استجار الكافر بأحد من المسلمين وجب على بقيتهم تأمينه، وقوله: «ويرد عليهم أقصاهم» أي: في التأمين.

وقوله: «وهم يد على من سواهم» أي: يجب على جميع المسلمين في جميع أنحاء الأرض أن يكونوا يدا على أعدائهم من الكفار، بالقول والفعل، والمساعدات والمعاونة في الأمور الحربية، والأمور الاقتصادية، والمدافعة بكل وسيلة.

وقوله: «ولا ذو عهد في عهده» أي: لا يحل قتل من له عهد من الكفار بذمة أو أمان أو هدنة؛ فإنه لما قال: «لا يقتل مسلم بكافر» احترز بذلك البيان عن تحريم

---

(١) رواه البخاري (٣٩).

قتل المعاهد؛ لئلا يظن الظان جوازه»[1].

٤) وعند شرحه لحديث ابن مسعود ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يدعو، فيقول: **اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى**» رواه مسلم[2].

قال: «فإن الهدى: هو العلم النافع. والتقى: العمل الصالح، وترك ما نهى الله ورسوله عنه. وبذلك يصلح الدين. فإن الدين علوم نافعة، ومعارف صادقة. فهي الهدى، وقيام بطاعة الله ورسوله: فهو التقى. والعفاف والغنى يتضمن العفاف عن الخلق، وعدم تعليق القلب بهم. والغنى بالله وبرزقه، والقناعة بما فيه، وحصول ما يطمئن به القلب من الكفاية. وبذلك تتم سعادة الحياة الدنيا، والراحة القلبية، وهي الحياة الطيبة»[3].

والخلاصة: أن هذا المبحث من أكبر ما يبرز مكانة الشيخ -رحمه الله- في فقه السنة: بيان المعنى الإجمالي لمفردات الأحاديث بعبارة وأسلوب سهل وميسّر.

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٦٦-١٦٧).

(٢) برقم (٢٧٢١).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٦٠).

المبحث الثالث: تقسيم الحديث إلى منطوق ومفهوم.

من الأساليب والطرق التي سلكها الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في شرحه الإشارة إلى منطوق الحديث ومفهومه.

المنطوق هو: ما دل على الحكم في محل النطق.

والمفهوم هو: ما دل على الحكم بمفهوم موافقة إن كان مساوياً للمنطوق أو أولى منه، أو بمفهوم المخالفة إذا خالف المنطوق في حكمه، لكون المنطوق وصف بوصف أو شرط فيه شرط إذا تخلّف ذلك الوصف أو الشرط تخلّف الحكم[1].

من ذلك:

١) عند شرحه لحديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، أو «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2].

قال: «يدل بالمنطوق وبالمفهوم.

أما **منطوقه**: فإنه يدل على أن كل بدعة أحدثت في الدين ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة، سواء كانت من البدع القولية الكلامية، كالتجهم والرفض والاعتزال وغيرها، أو من البدع العملية كالتعبد لله بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله. فإن ذلك كله مردود على أصحابه.

وأما **مفهوم** هذا الحديث: فإن من عمل عملا، عليه أمر الله ورسوله - وهو التعبد لله بالعقائد الصحيحة، والأعمال الصالحة: من واجب ومستحب- فعمله

---

(١) «رسالة لطيفة جامعة» لابن سعدي ص (٦٦-٧٠).

(٢) تقدم تخريجه .

مقبول، وسعيه مشكور»[1].

٢) وعند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**» متفق عليه[2].

قال: «يدل الحديث بمنطوقه: أن من لم يتوضأ إذا أحدث فصلاته غير مقبولة: أي غير صحيحة، ولا مجزئة، وبمفهومه: أن من توضأ قبلت صلاته: أي مع بقية ما يجب ويشترط للصلاة»[3].

٣) وعند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مطلُ الغني ظلم. وإذا أتبع أحدكم على ملئ فليتبع**» متفق عليه[4].

قال: «وهذا الحديث أصل في باب الحوالة، وأن من حول بحقه على مليء فعليه أن يتحول، وليس له أن يمتنع.

ومفهومه: أنه إذا أحيل على غير مليء فليس عليه التحول، لما فيه من الضرر عليه[5].

٤) وعند شرحه لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: «**من تطبب ولم يعلم منه طب، فهو ضامن**» رواه أبو داود والنسائي[6].

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٥٥٤) واللفظ له، ومسلم (٢٢٥).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٧٩).

(٤) «صحيح البخاري» (٢١٦٦) واللفظ له، ومسلم (١٥٦٤).

(٥) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٣٨).

(٦) «سنن أبي داود» (٤٥٨٦)، والنسائي (٤٨٣٠) من طريق الوليد بن مسلم، عن ابن جريج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده.. فذكره.

قال: "هذا الحديث يدل بلفظه وفحواه على: أنه لا يحل لأحد أن يتعاطى صناعة من الصناعات وهو لا يحسنها، سواء كان طبا أو غيره، وأن من تجرأ على ذلك: فهو آثم، وما ترتب على عمله من تلف نفس أو عضو أو نحوهما: فهو ضامن له...

ومفهوم الحديث: أن الطبيب الحاذق ونحوه إذا باشر ولم تجن يده وترتب على ذلك تلف، فليس بضامن؛ لأنه مأذون فيه، من المكلف أو وليه، فكل ما ترتب على المأذون فيه فهو غير مضمون، وما ترتب على غير ذلك المأذون فيه، فإنه مضمون"[1].

٥) وعند شرحه لحديث جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم الناس: لا ي-رحمه الله-» متفق عليه[2].

قال: «يدل هذا الحديث بمنطوقه على أن من لا يرحم الناس لا ي-رحمه الله-.

وبمفهومه على أن من يرحم الناس ي-رحمه الله-، كما قال ﷺ في الحديث الآخر: "الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في

وإسناده ضعيف، قال أبو داود: « هذا لم يروه إلا الوليد' لا ندري هو صحيح أم لا؟ وقال الدارقطني: « لم يسنده عن ابن جريج غير الوليد بن مسلم وغيره يرويه عن ابن جريج، عن عمرو بن شعيب مرسلاً» « سنن الدارقطني»(٣/ ١٩٥- ١٩٦)

فعلته: عنعنة ابن جريج حيث لم يصرح بالتحديث.

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٦٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٩٤١) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٩) واللفظ له.

السماء »[1][2].

والخلاصة: أن مما تميز به الشيخ -رحمه الله- الإشارة إلى منطوق الحديث ومفهومه، وهو استنباط وثيق من الأحاديث يعين على فهمها.

ويفيد أيضا أن الشيخ اعتمد مسلك الأصوليين في الاستنباط والاستدلال.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) من طريق عمرو بن دينار، عن أبي قابوس، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه فذكره.

قال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح».

وفي إسناده: أبو قابوس مولى عبدالله بن عمرو بن العاص، وقد قال عنه ابن حجر: « مقبول» « التقريب»ص(١١٩٢).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٣٧).

المبحث الرابع: الكلام على الحديث بجمله وتقسيماته.

جرى الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في شرحه على طريقة بديعة في بعض الأحاديث وهي الكلام على جمل الحديث وعلى ذكر تقسيمات متنوعة في الحديث.

وللشيخ رسالة اسمها: «القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة» جعلته يبدع في هذا الجانب.

من ذلك:

١) عند شرحه لحديث مالك بن الحويرث ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم**» متفق عليه[1].

قال: «هذا الحديث احتوى على ثلاث جمل، أولها أعظمها:

الجملة الأولى: قوله: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم».

فيه مشروعية الأذان ووجوبه للأمر به.

الجملة الثانية: قوله: «وليؤمكم أكبركم» فيه: وجوب صلاة الجماعة وأن أقلها إمام ومأموم.

الجملة الثالثة: -وهي الأولى في هذا الحديث- قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وهذا تعليم منه ﷺ بالقول والفعل...[2].

٢) وعند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حق المسلم**

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٥) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٩٠).

على المسلم ست: قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» رواه مسلم[1].

قال: «هذه الحقوق الستة من قام بها في حق المسلمين كان قيامه بغيرها أولى. وحصل له أداء هذه الواجبات والحقوق التي فيها الخير الكثير والأجر العظيم من الله.

ثم بدأ يفصلها:

الأولى: «إذا لقيته فسلم عليه».

الثانية: «إذا دعاك فأجبه».

الثالثة: قوله: «وإذا استنصحك فانصح له»[2].

٣) وعند شرحه لحديث أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» متفق عليه[3].

قال: «هذا الحديث اشتمل على أربع جمل جامعة نافعة:

أحدها: قوله: «ومن يستعفف يعفه الله».

والثانية: قوله: «ومن يستغن يغنه الله».

وهاتان الجملتان متلازمتان.

---

(١) برقم (٢١٦٢).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٠٦).

(٣) «صحيح البخاري» (١٤٠٠) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٣).

الثالثة قوله: «ومن يتصبر يصبره الله».

ثم ذكر في الجملة الرابعة: أن الصبر إذا أعطاه الله العبد فهو أفضل العطاء وأوسعه وأعظمه، إعانة على الأمور...»[1].

٤) وعند شرحه لحديث عبدالرحمن بن سمرة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا عبدالرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها، فائت الذي هو خير، وكفر عن يمينك»** متفق عليه[2].

قال: «هذا الحديث احتوى على جملتين عظيمتين:

إحداهما: أن الإمارة وغيرها من الولايات على الخلق، لا ينبغي للعبد أن يسألها، ويتعرض لها، بل يسأل الله العافية والسلامة.

الجملة الثانية: قوله ﷺ: «وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها فائت الذي هو خير، وكفر عن يمينك» يشمل من حلف على ترك واجب، أو ترك مسنون؛ فإنه يكفر عن يمينه، ويفعل ذلك الواجب والمسنون الذي حلف على تركه، ويشمل من حلف على فعل محرم، أو فعل مكروه فإنه يؤمر بترك ذلك المحرم والمكروه، ويكفر عن يمينه.

فالأقسام الأربعة داخلة في قوله ﷺ: «فائت الذي هو خير» لأن فعل المأمور مطلقا، وترك المنهي مطلقا: من الخير»[3].

٥) وعند شرحه لحديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"يا أبا**

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١١٥-١١٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٢٤٨) واللفظ له، ومسلم (١٦٥٢).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٦١-١٦٣).

ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق» رواه البيهقي في شعب الإيمان[1].

قال: «هذا الحديث اشتمل على ثلاث جمل، كل واحدة منها تحتها علم عظيم:

أما الجملة الأولى: فهي في بيان العقل وآثاره وعلاماته، وأن العقل الممدوح في الكتاب والسنة: هو قوة ونعمة أنعم الله بها على العبد...

فبين ﷺ في هذا الحديث آثاره الطيبة، فقال: «لا عقل كالتدبير» أي: تدبير العبد لأمور دينه، ولأمور دنياه...

الجملة الثانية: قوله ﷺ «لا ورع كالكف».

فهذا حد جامع للورع، بين به رسول الله ﷺ: أن الورع الحقيقي هو الذي يكف نفسه، وقلبه ولسانه، وجميع جوارحه عن الأمور المحرمة الضارة.

الجملة الثالثة: قوله ﷺ: «ولا حسب كحسن الخلق».

وذلك أن الحسب مرتبة عالية عند الخلق، وصاحب الحسب له اعتبار وشرف بحسب ذلك، وهو نوعان:ثم فصل فيهما...»[2].

٦) وعند شرحه لحديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها، ويعلمها»** متفق عليه[3].

قال: «الحسد نوعان:

نوع محرم مذموم على كل حال، وهو أن يتمنى زوال نعمة الله عن العبد دينية

(١) برقم (٤٣٢٥)، ورواه ابن ماجة أيضاً (٤٢١٨).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٠٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٣) واللفظ له، ومسلم (٨١٦).

كانت أو دنيوية، وسواء أحب ذلك محبة استقرت في قلبه، ولم يجاهد نفسه عنها، أو سعى -مع ذلك- في إزالتها وإخفائها، وهذا أقبح، فإنه ظلم متكرر.

وهذا النوع هو الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

والنوع الثاني: أن لا يتمنى زوال نعمة الله عن الغير، ولكن يتمنى حصول مثلها له، أو فوقها أو دونها، وهذا نوعان: محمود، وغير محمود... ثم فصل فيهما»[1].

وهذه الطريقة طريقة بديعة نافعة تجمع ذهن القارئ، وتعينه على استحضار المعنى.

وهذه التقسيمات لم يفدها الشيخ من أحد قبله، إنما هي إبداع منه، ومن جملة ما فتح الله به عليه.

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٥٧).

المبحث الخامس

الإشارة إلى الخلاف الفقهي مع ذكر القول الراجح.

يشير الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- أحياناً وفي مواضع يسيرة إلى خلاف العلماء في مسألة ما بدون تفصيل ثم يذكر القول الراجح.

فمن ذلك:

١) في أثناء شرحه لحديث سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**على اليد ما أخذت حتى تؤديه**» رواه أهل السنن إلا النسائي[١].

قال: «فإن تلفت العارية بغير تعد ولا تفريط، فمن العلماء من ضمّنه -كما هو المشهور من مذهب الإمام أحمد- ومنهم من لم يضمنه كسائر الأمناء.

ومنهم من فصّل: فإن شرط ضمانها ضمنها، وإلا فلا. وهو أحسن الأقوال الثلاثة»[٢].

٢) وفي أثناء شرحه لحديث جابر ﷺ في الشفعة[٣].

قال: «واختلف العلماء في شفعة الجار على جاره، إذا كان بينهما حق من حقوق الملكين، كطريق مشترك، أو بئر أو نحوهما.

---

(١) «سنن أبي داود» (٣٥٦١)، والترمذي (١٢٦٦)، وابن ماجة (٢٤٠٠) من طريق قتادة، عن الحسن البصري، عن سمرة... وقد قيل: إنه لم يسمع منه إلا حديث العقيقة.

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٤٠).

وانظر: «المغني»(٧/ ٣٤١)، و«بداية المجتهد» (٢/ ٤٠٧) والذي رجحه الشيخ هو اختيار الصنعاني وشيخ الاسلام ابن تيمية، انظر: «الاختيارات» ص (٢٣١)، «سبل السلام» (٥/ ٢٢٢).

(٣) رواه البخاري (٢١٣٨).

فمنهم: من أوجب الشفعة في هذا النوع، وقال: إن هذا الاشتراك في هذا الحق نظير الاشتراك في جميع الملك، والضرر في هذا كالضرر هناك.

وهو الذي تدل عليه الأدلة.

ومنهم: من لم يثبت فيه شفعة، كما هو المشهور من مذهب الإمام أحمد.

ومنهم: من أثبت الشفعة للجار مطلقا، وهذه الصورة عنده من باب أولى، كما هو مذهب الإمام أبي حنيفة»[1].

ثم قال: «وأما اشتراط المبادرة جداً إلى الأخذ بها، من غير أن يكون له فرصة في هذا الحق المتفق عليه: فهذا قول لا دليل عليه.

وما استدلوا به من الحديثين اللذين أوردهما: «الشفعة كحل العقال»[2].

و«الشفعة لمن واثبها»[3].

فلم يصح منهما عن النبي ﷺ شيء»[4].

٣) وعند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٤١). والذي رجحه الشيخ هو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- «الإنصاف»(٦/ ٢٥٥)، و«المغني»(٧/ ٤٣٦).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢٥٠٠) من طريق محمد بن عبدالرحمن بن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر. وإسناده ضعيف جداً، محمد بن البيلماني ضعيف وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان كما قال ابن حجر في «التقريب»ص(٨٦٩).

وقال أبو زرعة: « هذا حديث منكر» «علل الحديث» لابن أبي حاتم (١٤٣٤).

(٣) قال ابن حجر في «الدراية» (٢/ ٢٠٣): «لم أجده، وإنما ذكره عبد الرزاق من قول شريح».

(٤) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٤٢).

أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ **تعدل ثلث القرآن**» رواه مسلم[1].

قال: «تكلم أهل العلم على معنى هذه المعادلة وتوجيهها.

وأحسن ما قيل فيها: أن معادلتها لثلث القرآن؛ لما تضمنته من المعاني العظيمة: معاني التوحيد، وأصول الإيمان، فإن المواضيع الجليلة التي اشتمل القرآن عليها:

- إما أحكام شرعية: ظاهرة أو باطنة، عبادات أو معاملات.

- وإما قصص وأخبار عن المخلوقات السابقة واللاحقة، وأحوال المكلفين في الجزاء على الأعمال.

- وإما توحيد ومعارف، تتعلق بأسماء الله وصفاته، وتفرده بالوحدانية والكمال، وتنزهه عن كل عيب، ومماثلة أحد من المخلوقات.

فسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ مشتملة على هذا، وشاملة لكل ما يجب اعتقاده من هذا الأصل، الذي هو أصل الأصول كلها "[2].

٤) وفي أثناء شرحه لحديث عائشة في قصة هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقول النبي ﷺ لها: «**خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك**» متفق عليه[3].

قال: «إن الكفاية معتبرة بالعرف بحسب أحوال الناس -في زمانهم ومكانهم، ويسرهم وعسرهم- وأن المنفق إذا امتنع أو شح عن النفقة أصلا أو تكميلا، فلمن له النفقة أو يباشر الإنفاق أن يأخذ من ماله، ولو بغير علمه.

وذلك لأن السبب ظاهر، ولا ينسب في هذه الحالة إلى خيانة، فلا يدخل في قوله ﷺ: "لا تخن من خانك".

(١) برقم (٨١١)، وأخرجه البخاري أيضاً (٥٠١٣).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٥٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٥٠٤٩)، ومسلم (١٧١٤).

وهذا هو القول الوسط الصحيح في مسألة الأخذ من مال من له حق عليه بغير علمه بمقدار حقه، وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد، أنه لا يجوز ذلك، إلا إذا كان السبب ظاهرا، كالنفقة على الزوجة والأولاد والمماليك ونحوهم، وكحق الضيف»[٤].

والخلاصة: أن طريقة الشيخ في الترجيح أنه يميل مع الدليل، فما كان الدليل يعضده رجحه، وهذه لفتة مهمة لطالب العلم وهي العناية بما دل عليه الدليل ولو خالف من خالف.

وفيه أيضًا: عناية الشيخ ببيان مذهب الإمام أحمد وتحرير اختلاف الروايات عنه.

وأن الشيخ وإن كان على مذهب الإمام أحمد فإنه ليس مقلداً، بل إذا دل الدليل على حكم أخذ به ولو خالف المذهب... والله أعلم.

---

(٤) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٥٤)، وانظر: «المغني»(١٤/ ٣٤٠)، واختاره ابن القيم -رحمه الله- انظر «إعلام الموقعين»(٤/ ٤٨٠).

المبحث السادس: ذكر فوائد الحديث وما يشمله بعمومه.

جرى الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في شرحه على ذكر فوائد مستنبطة من الأحاديث... إما مفرّقة في الشرح وهو الأغلب أو في آخر الشرح.

وذكره أيضاً ما يدخل في الحديث ويشمله بعمومه.

فمن ذلك:

١) عند شرحه لحديث أبي موسى الأشعري ﷺ «**اشفعوا تؤجروا...**»[١].

قال: «وفيه من الفوائد: السعي في كل ما يزيل اليأس، فإن الطلب والسعي عنوان على الرجاء والطمع في حصول المراد، وضده بضده.

- وفي الحديث دليل على الترغيب في توجيه الناس إلى فعل الخير، وأن الشفاعة لا يجب على المشفوع عنده قبولها إلا أن يشفع في إيصال الحقوق الواجبة، فإن الحق الواجب يجب أداؤه وإيصاله إلى مستحقه، ولو لم يشفع فيه، ويتأكد ذلك مع الشفاعة.

- وفيه أيضا: رحمة النبي ﷺ في حصول الخير لأمته بكل طريق. وهذا فرد من آلاف مؤلفة تدل على كمال رحمته ورأفته ﷺ»[٢].

---

(١) «صحيح البخاري»(١٣٦٥)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٦٠).

٢) وعند شرحه لحديث ابن عمر الطويل في دعاء السفر...[١].

قال: «هذا الحديث فيه فوائد عظيمة تتعلق بالسفر، وقد اشتملت هذه الأدعية على طلب مصالح الدين -التي هي أهم الأمور- ومصالح الدنيا»[٢]، ثم سردها...

٣) وعند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**أسرعوا بالجنازة. فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه...**» متفق عليه[٣].

قال: «وفيه: الحث على الاهتمام بشأن أخيك المسلم حيا وميتا، وبالإسراع إلى ما فيه خير له في دينه ودنياه.

كما أن فيه: الحث على البعد عن أسباب الشر، ومباعدة المجرمين، حتى في الحالة التي يبتلى الإنسان فيها بمباشرته.

وفي هذا الحديث: إثبات نعيم البرزخ وعذابه. وقد تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ، وأن مبتدأ ذلك وضعه في قبره إذا تم دفنه، ولهذا يشرع في هذه الحال الوقوف على قبره والدعاء له، والاستغفار، وسؤال الله له الثبات.

وفي هذا أيضا: التنبيه على أسباب نعيم البرزخ وعذابه، وأن أسباب النعيم الصلاح لقوله: «فإن كانت صالحة»[٤].

٤) وعند شرحه لحديث حكيم بن حزام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا: بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما: محقت**

---

(١) رواه مسلم (٣٤٢).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٤٥).

(٣) «صحيح البخاري»(١٢٥٢)، ومسلم (٩٤٤).

(٤) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١١٠-١١١).

بركة بيعهما» متفق عليه[1].

قال: "ويدخل فيه: الكذب في مقدار الثمن والمثمن، وفي وصف المعقود عليه، وغير ذلك. وضابط ذلك: أن كل شيء تكره أن يعاملك فيه أخوك المسلم أو غيره ولا يخبرك به، فإنه من باب الكذب والإخفاء والغش.

ويدخل في هذا: البيع بأنواعه، والإجارات، والمشاركات وجميع المعاوضات، وآجالها ووثائقها، فكلها يتعين على العبد فيها، الصدق والبيان، ولا يحل له الكذب والكتمان.

وفي هذا الحديث: إثبات خيار المجلس في البيع، وأن لكل واحد من المتبايعين الخيار بين الإمضاء أو الفسخ، ما داما في محل التبايع..."[2].

٥) وعند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**» متفق عليه[3].

قال: «وفي هذا الحديث: الحث على الحزم والكيس في جميع الأمور، ومن لوازم ذلك: تعرف الأسباب النافعة ليقوم بها، والأسباب الضارة ليتجنبها.

ويدل على الحث على تجنب أسباب الريب التي يخشى من مقاربتها الوقوع في الشر، وعلى أن الذرائع معتبرة»[4].

٦) وعند شرحه لحديث عدي بن حاتم ﷺ وفي آخره: «**فمن لم يجد فبكلمة طيبة**» متفق عليه[5].

(١) «صحيح البخاري»(٢٠٠٤)، ومسلم (١٥٣٥).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٢٩).

(٣) «صحيح البخاري»(٥٧٨٢)، ومسلم (٢٩٩٨).

(٤) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٠١).

(٥) «صحيح البخاري»(٧٠٧٤)، ومسلم (١٠١٦).

قال: «وفي هذا الحديث: أن من أعظم المنجيات من النار، الإحسان إلى الخلق بالمال والأقوال، وأن العبد لا ينبغي له أن يحتقر من المعروف ولو شيئاً قليلاً، والكلمة الطيبة تشمل النصيحة للخلق بتعليمهم ما يجهلون، وإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية.

وتشمل الكلام المسر للقلوب، الشارح للصدور، المقارن للبشاشة والبشر، وتشمل الذكر لله والثناء عليه، وذكر أحكامه وشرائعه. فكل كلام يقرب إلى الله ويحصل به النفع لعباد الله. فهو داخل في الكلمة الطيبة»(٦).

٧) وعند شرحه لحديث أسمر بن مضرس: أن رسول الله ﷺ قال: «**من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له**» رواه أبو داود(٧).

قال: «يدخل في هذا الحديث: السبق إلى جميع المباحات التي ليست ملكاً لأحد، ولا باختصاص أحد؛ فيدخل فيه: السبق إلى إحياء الأرض الموات، فمن سبق إليها باستخراج ماء، أو إجرائه عليها، أو ببناء: ملكها، ولا يملكها بدون الإحياء»(٨).

والخلاصة أن ذكر فوائد الحديث وما يستنبط منه أو يشمله بعمومه مما تميز به الشيخ -رحمه الله-، وهذا يدل على تمكنه من فقه السنة.

وفيه أيضاً: أن الشيخ يركز في الفوائد المستنبطة في الغالب على ما تمس إليه حاجة المسلم، ويحرص على تفريع المسائل التي تندرج تحت هذا المعنى.

---

(٦) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٣٠).

(٧) أخرجه أبو داود (٣٠٧١)، والبيهقي (٦/ ١٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٨١٤).

(٨) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٤٩).

الفصل الثاني

الأصول والقواعد والاستطرادات والإيرادات على الأحاديث، ونقله عن شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الأصول والقواعد.

المبحث الثاني: الاستطراد في شرح بعض الأحاديث.

المبحث الثالث: الإيرادات والتعقبات.

المبحث الرابع: نقله عن شيخ الاسلام وابن القيم.

المبحث الأول: الأصول والقواعد[1].

من أكثر ما يميز الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في شرحه ذكره للقواعد والضوابط المستنبطة من الأحاديث وهي تبرز فقه السنة عنده -رحمه الله-.

ومن ذلك:

١) عند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة**»[2].

قال: «فعلمت بهذا: أنه يؤخذ من هذا الحديث العظيم عدة قواعد:

القاعدة الأولى: التيسير الشامل للشريعة على وجه العموم.

القاعدة الثانية: المشقة تجلب التيسير وقت حصولها.

القاعدة الثالثة: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم.

القاعدة الرابعة: تنشيط أهل الأعمال، وتبشيرهم بالخير والثواب المرتب على الأعمال.

القاعدة الخامسة: الوصية الجامعة في كيفية السير والسلوك إلى الله، التي تغني عن كل شيء ولا يغني عنها شيء.

فصلوات الله وسلامه على من أوتي جوامع الكلم ونوافعها»[3].

٢) وعند شرحه لحديث عائشة مرفوعاً: «**ادرءوا الحدود عن المسلمين ما**

---

(١) اقتصرت على أمثلة يسيرة لوجود بحث كامل عن هذا الموضوع من بحوث المؤتمر.

(٢) رواه البخاري (٣٩)

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٠٤-١٠٥).

استطعتم.... الحديث» رواه الترمذي مرفوعا وموقوفا[1].

قال: «وفي هذا الحديث: دليل على أصل وهو: أنه إذا تعارض مفسدتان تحقيقا أو احتمالا: راعينا المفسدة الكبرى، فدفعناها تخفيفا للشر»[2].

٣) وعند شرحه لحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**» رواه البخاري[3].

قال: «الأصل في جميع الأمور العادية الإباحة، فلا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله...»، ثم قال: «فالأمور ثلاثة أقسام:

قسم مشترك بين الرجال والنساء من أصناف اللباس وغيره، فهذا جائز للنوعين؛ لأن الأصل الإباحة، ولا فيه تشبه.

وقسم مختص بالرجال، فلا يحل للنساء.

وقسم مختص بالنساء، فلا يحل للرجال»[4].

---

(١) «سنن الترمذي»(١٤٢٤) من طريق محمد بن ربيعة، عن يزيد بن زياد الدمشقي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة فذكرته...

وإسناده ضعيف جداً، يزيد بن زياد الدمشقي متروك، كما في «التقريب»ص (١٠٧٥).

وروي موقوفاً ورجحه الترمذي فقد قال: «ورواه وكيع، عن يزيد بن زياد نحوه ولم يرفعه، ورواية وكيع أصح».

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٧١).

(٣) رواه البخاري (١٨٧)

(٤) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٨٧).

المبحث الثاني: الاستطراد في شرح بعض الأحاديث.

يستطرد الشيخ -رحمه الله- عند شرحه لكثير من الأحاديث في ذكر مسائل أخرى مستنبطة من الحديث أو يمكن أن تستنبط منه.

وهو مما يميز الشيخ -رحمه الله- في شرحه، ويدل على سعة فهمه وفقهه.

من ذلك:

١) عند شرحه لحديث أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في الهرة: «**إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات**» رواه مالك وأحمد وأهل السنن الأربع[1].

استطرد بذكر أقسام الحيوانات، فقال: «ولذلك قال أصحابنا: الحيوانات أقسام خمسة:

إحداها: نجس حياً وميتاً في ذاته وأجزائه وفضلاته، وذلك كالكلاب والسباع كلها، والخنزير ونحوها.

الثاني: ما كان طاهراً في الحياة نجساً بعد الممات، وذلك كالهرة وما دونها في الخلقة، ولا تحله الذكاة ولا غيرها.

الثالث: ما كان طاهراً في الحياة وبعد الممات، ولكنه لا يحل أكله، وذلك كالحشرات التي لا دم لها سائل.

الرابع: ما كان طاهراً في الحياة وبعد الذكاة، وذلك كالحيوانات المباح أكلها، كبهيمة الأنعام ونحوها.

---

(١) «سنن أبي داود» (٧٥)، والترمذي (٩٢)، والنسائي (٦٨)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

الخامس: ما كان طاهراً في الحياة وبعد الممات، ذُكي أو لم يُذك وهو حلال، وذلك كحيوانات البحر كلها والجراد»[1].

٢) وعند شرحه لحديث شداد بن أوس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء...**» رواه مسلم[2].

استطرد بذكر أنواع الإحسان وأصله وأدلته[3].

٣) وعند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**» رواه البخاري[4].

استطرد بذكر أصول الطب واستعمال الحمية في جميع المؤذيات في مقدارها، أو في ذاتها، أو في وقتها... ثم ذكر جملة أحاديث تدل عليها[5].

٤) وعند شرحه لحديث مصعب بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟**» رواه البخاري[6].

استطرد بذكر الأسباب والجهات الشرعية والقدرية التي يستجلب بها الرزق[7].

٥) وعند شرحه لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب**

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٨٧).

(٢) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٨٣-١٨٤).

(٤) رواه البخاري (٥٣٥٤).

(٥) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٩٠).

(٦) رواه البخاري (٢٧٣٩).

(٧) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢١٧).

أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه» متفق عليه[1].

استطرد بذكر الأسباب التي تحصل بها المحبوبات الدنيوية[2].

٦) وعند شرحه لحديث عائشة في قصة هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقول النبي ﷺ لها: "**خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك**" متفق عليه[3].

استطرد بذكر المسائل الفقهية المستنبطة من الحديث، فقال: «أخذ العلماء من هذا الحديث فقها كثيرا، سأشير إلى ما يحضرني» ثم ذكرها[4].

والخلاصة: أن الاستطراد بذكر مسائل أخرى مستنبطة من الحديث أو يمكن أن تستنبط منه يدل على تمكن الشيخ -رحمه الله- من فقه السنة.

وفيه أيضاً: أن الاستطراد ليس عيباً بل هو من مميزات الشرح، لأنه يوقف القاري على مسائل وأحكام قد يحتاج إليها.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٤٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٥٠٤٩)، ومسلم (١٧١٤).

(٤) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٦٥).

المبحث الثالث: الإيرادات والتعقبات.

يذكر الشيخ -رحمه الله- عند شرحه لبعض الأحاديث إيرادات ويجيب عنها وهي بمثابة الاشكالات، ويتعقب بعض الأقوال التي فيها ضعف.

من ذلك:

١) قوله -عند شرحه لحديث جابر بن سمرة في سؤال الإمارة-: «فإن قيل: كيف طلب يوسف ﷺ ولاية الخزائن المالية في قوله: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:٥٥]، قيل: الجواب عنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، فهو إنما طلبها لهذه المصلحة التي لا يقوم بها غيره: من الحفظ الكامل، والعلم بجميع الجهات المتعلقة بهذه الخزائن. من حسن الاستخراج، وحسن التصريف، وإقامة العدل الكامل»[٥].

٢) وقوله -عند شرحه لحديث جابر في الشفعة-: «وأما اشتراط المبادرة جدا إلى الأخذ بها -يعني شفعة الجار-، من غير أن يكون له فرصة في هذا الحق المتفق عليه: فهذا قول لا دليل عليه»[٦].

٣) وقوله -عند شرحه لحديث أبي أمامة: «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[٣]-: «فمن أوصى لوارث فقد تعدى حدود الله، وفضل بعض الورثة على بعض، وسواء وقع ذلك على وجه الوصية

(٥) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٦٢) وانظر: ص (٢٧٥).

(٦) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٤٢).

(٣)«سنن أبي داود» (٣٥٦٥)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣) من طريق إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي أمامة ﷺ... وإسناده صحيح.

(٤)"بهجة قلوب الأبرار" (١٥٣)، وانظر: ص (٢٧٥).

أو الهبة للوارث، كما هو اتفاق العلماء، أو على وجه الوقف لثلثه على بعض ورثته. وشذ بعضهم في هذه المسألة، فأجازها. وهو مناف للفظ الحديث ومعناه»[٤].

المبحث الرابع: نقله عن شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما الله.

الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- هو من تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وقد تأثر بأسلوبهما ويميل كثيراً إلى ترجيحهما.

وانتقى الفوائد والدرر من مؤلفاتهما[1].

وقد سمعت شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله- كثيراً يقول: «كان شيخنا عبدالرحمن بن سعدي -رحمه الله- يوصينا بقراءة كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم».

وفي شرحه هذا ذكر بعض النقولات عنهما.

فمن ذلك:

١) قوله: «والفرق بين الحاكم المجتهد، وبين صاحب الهوى: أن صاحب الحق قد فعل ما أمر به من حسن القصد والاجتهاد، وهو مأمور في الظاهر باعتقاد ما قام عنده عليه دليله، بخلاف صاحب الهوى، فإنه يتكلم بغير علم، وبغير قصد للحق، قاله شيخ الإسلام»[2].

٢) قوله: «ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام حسن جدا في خلاصة حج النبي ﷺ، ذكره في «القواعد النورانية»، فقال -قدس الله روحه ورضي عنه- ثم سرد كلام شيخ الاسلام بطوله في صفة الحج»[3].

---

(١) كتاب «فوائد من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم» المجلد (٢٢)ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ.

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (١٧٥) وانظر: ص (٢٤).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٥٠).

٣) وعند شرحه لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[١].

قال: «قال شمس الدين ابن القيم -رحمه الله-: أي لا يبقى في القلب غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه منه؛ فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل. وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلال، فهذه الثلاثة تملؤه غلا ودغلا، ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه، بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة. انتهى»[٢].

---

(١) عزاه الشيخ لمسلم.

قال المحقق: «في عزو الحديث لمسلم وهم، وإنما أخرجه الترمذي (٢٦٥٨)، وابن ماجة (٢٣٠)، وأحمد (١٣٣٥٠)، وصححه ابن حبان (٦٧)» أ. هـ.

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» ص (٢٧٦).

الخاتمة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد ظهر لي من خلال هذا البحث عن فقه الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- من خلال كتابه الماتع « بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار «عدة نقاط منها: -

- تمكن الشيخ -رحمه الله- من هذا العلم فقه السنة وفهمها.
- أسلوبه البديع في شرح الأحاديث بطريقة سهلة وميسرة وعبارات مفهومة واضحة بعيداً عن التكلف والعبارات المعقدة، وهذا من توفيق الله للشيخ، وأسلوبه هذا مع الأحاديث مثل أسلوبه وطريقته في التفسير.
- تميز الشيخ في شرحه هذا بعدة مميزات جمعتها في هذا البحث المختصر... وغيرها كثير.

ومن التوصيات:

- العناية بفقه الشيخ -رحمه الله- للأحاديث في جميع مصنفاته.
- مقارنة استنباطاته من الأحاديث باستنباط غيره من الأئمة.
- العناية على وجه الخصوص بهذا الكتاب في فهم الأحاديث وفقهها واستنباط المعاني الجليلة منها، وقراءته على جماعة المسجد.

والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا وأن يرزقنا فهماً في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

وأن يجزي العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي خيراً على ما قدم من تقريب العلم وتبسيطه للناس وأن يجعل ذلك في موازين حسناته ورفعة في درجاته.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر

* الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، للبعلي، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر ١٣٦٩هـ.
* إعلام الموقعين، لابن القيم، دار الكتب العلمية.
* الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي، ت: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية ١٤٠٦هـ.
* بداية المجتهد، لا بن رشد، دار الكتب العلمية، ط: العاشرة ١٤٠٨هـ.
* التقريب، للحافظ ابن حجر، ت: أبو الأشبال صغير الباكستاني، دار العاصمة، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
* الدراية في تخريج أحاديث الهداية، لابن حجر، ت: عبد الله هاشم اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
* رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه، للشيخ ابن سعدي، ضمن مجموع فتاواه.
* سبل السلام، للصنعاني، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
* سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
* سنن أبي داود، ت: محمد محيي عبد الحميد، نشر المكتبة الإسلامية، إسطنبول.
* سنن الترمذي، ت: بشار عود، دار الغربي الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٩٩٨م.
* سنن الدارقطني، مكتبة المتنبي القاهرة، وعالم الكتب بيروت.
* سنن النسائي، ت: عبد الفتاح أبوغدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ط:

الثانية١٤٠٩هـ

* صحيح البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، مصر.
* صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، إسطنبول.
* علل الحديث، لابن أبي حاتم، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٥هـ.
* فوائد من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ.
* معجم الطبراني الكبير، ت: حمدي السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الثانية.
* المغني، لابن قدامة، ت: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر القاهرة، الأولى ١٤٠٨هـ.

الأحاديث التي حكم عليها العلَّامة ابن سعدي بالردِّ ومنهجه فيها

د. ياسر بن إبراهيم بن محمد القزلان

الأستاذ المساعد في فقه السنة ومصادرها في قسم الدراسات الإسلامية في كلية العلوم والآداب بمحافظة الرس في جامعة القصيم

١٤٤١ هـ

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين ؛ أمَّا بعدُ:

فإنَّ أعظم ما صُرفت به الأوقات، ونِيْل به عالي الدرجات، بعد خدمةِ كلام الله -جلَّ وعلا- خدمةُ كلام رسوله ﷺ، حفظًا وفهمًا وعملاً وتعليمًا، فاختار الله أهل الحديث من بين الأمَّة، فقاموا خير قيام بهذه المهمَّة، فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمته، والمجتهدون في حفظ ملَّته، فطافوا المدن والأمصار، وقطعوا المفاوز والقِفار، وسهروا الليالي والأيَّام، بحثًا عن كلام خير الأنام، محمد -عليه الصلاة والسلام -؛ لِيَرْقُموه بعد ذلك في كتبهم، ويحدِّثوا به في حِلَقهم، نشرًا للسنة بين المسلمين، وصيانةً له عن ثلب القادحين، فجزاهم الله خير الجزاء على مابذلوه، وأجزل لهم عظيم العطاء على ما أحكموه، فما زال أئمة هذا الشأن سائرين على هذا النهج، قرنًا بعد قرن، حتى دبَّ الضعف في علماء هذا الشأن، وخاصة في القرون المتأخرة، فاقتصر أمرهم في خدمة هذا العلم - على جلالة ما قدَّموه - على شرح الأحاديث وبيان أحكامها العملية والعلمية، فقلَّ كلامهم في الحكم عليها صحة وضعفًا، وعلى رجالها جرحًا وتعديلاً، ومن تلك القرون التي نالها ذلك الضعف هو القرن الماضي، في بلاد المسلمين عامة وفي بلادنا المباركة خاصَّة، فنشطت همتي وقويت عزيمتي على البحث في كلام علماء ذلك القرن، وجمع كلامهم - على قِلَّته -، فكان من أبرز علماء ذلك القرن الذين حرصت على جمع كلامه، والنظر في أحكامه، هو الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن بن

ناصر السعدي - رحمه الله -، فاجتمع لدي مادَّة - لا بأس بها - في حكمه على الأحاديث قبولاً وردًّا، فرأيت الاقتصار على أحكامه على الأحاديث بالردِّ ومنهجه فيها؛ حتى لا يطول البحث؛ ولأن كلام الشيخ - رحمه الله - على الأحاديث التي حكم عليها بالردِّ أكثر من كلامه على الأحاديث التي حكم عليه بالقبول، فَحَسُن الاقتصار عليها، وقد سمَّيت بحثي: «**الأحاديث التي حكم عليها العلاَّمة ابن سعدي بالردِّ ومنهجه فيها**»، سائلاً المولى - عز وجل - التوفيق والسداد.

بيان أهمية الموضوع:

وتبرز أهمية الموضوع فيما يلي:

١. عظم منزلة الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى - ومكانته الرفيعة في عصره وعصر من بعده، واهتمامهم بأقواله وآرائه.

٢. أهمية الاطلاع على شيء من جهود الحركة العلمية الحديثية في القرن الماضي - وإن قلَّت -؛ مع قلَّة البحوث التي تناولت ذلك مع قرب عهدنا به.

٣. أن عامَّة هذه الأحاديث التي تكلَّم عنها الشيخ - رحمه الله تعالى - متعلقةٌ بأبواب الأحكام التي تمسُّ حاجة العبد في يومه وليلته.

أسباب اختيار الموضوع:

ويمكن التماس الأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع فيما يلي:

١. ندرة البحوث التي تناولت الجهود العلمية الحديثية في القرن الماضي، كما سبق بيانه.

٢. قلة المؤلفات التي تناولت جهود الشيخ ابن سعدي - مع منزلته - في خدمة السنة وعلومها.

الدراسات السابقة:

لم أقف - حسب علمي - على مؤلَّف أو بحث في هذا الموضوع، والله أعلم.

خطة البحث:

وفيما يلي الخطة التي سرت عليها في هذا البحث، وهي تنقسم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج العمل في البحث.

المبحث الأول: منهج العلامة ابن سعدي في حكمه على الأحاديث بالرد.

المبحث الثاني: الأحاديث التي حكم عليها العلامة ابن سعدي بالرد، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: حديث ابن عمر رضي الله عنهما : (أمرنا بغسل الأنجاس سبعًا).

المطلب الثاني: حديث غسل سائر البدن ثلاثًا في غسل الجنابة.

المطلب الثالث: حديث عائشة - رضي الله عنها - (قصر رسول الله وأتممت).

المطلب الرابع: حديث أبي هريرة ﷺ في الغرة: (فمن استطاع منكم أن يطيل..).

المطلب الخامس: حديث عبد الله بن مغفل ﷺ (وعفروه الثامنة بالتراب).

المطلب السادس: حديث علي بن أبي طالب ﷺ (أن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية).

المطلب السابع: أحاديث زيادة أكثر من ركوعين في الركعة الواحدة من صلاة الكسوف.

المطلب الثامن: حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ في المرأة التي وهبت

نفسها، وفيه: (ولا تجزئ عن أحد بعدك).

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس: وضمَّنتها فهرسين هما: فهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج العمل في البحث:

١. جمعت المادة العلمية للبحث من الكتب المتخصصة، كما سيأتي سردها في فهرس المصادر، في ذيل البحث.

٢. بذلت الوسع في كتابة البحث وفق الأسلوب العربي، مراعيًا في ذلك سهولة العبارة، وقواعد الإملاء المعاصرة، ملتزمًا بعلامات الترقيم ومناسباتها المقررة.

٣. جعلت صلب البحث للمادة العلمية المرتبطة بموضوعه ارتباطًا وثيقًا، وجعلت الحاشية لتدوين ما سوى ذلك، مثل عزو المصادر ونحوها.

٤. قمت بعزو الآيات القرآنية الكريمة الواردة في البحث إلى مواضعها من السور.

٥. قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في البحث، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي بذلك، ولا أذكر معهما غيرهما إلاَّ لفائدة، وإن كان في غيرهما فإنني أخرجه من تلك الكتب مقدِّمًا بقية الكتب الستة على الترتيب المشهور (د، ت، س، ق)، وما عداها فعلى وفيات مؤلفيها، مقتصرًا في ذلك على رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث.

٦. اقتصر في التخريج على مدارات الأسانيد ولا أذكر من دونه إلاَّ لفائدة.

٧. اقتصرت في التخريج على الأحاديث التي ذكرها الشيخ - رحمه الله تعالى - ولا أذكر غيرها إلاَّ لفائدة، كتقوية الحديث، أو زيادة بيان على ضعفه.

٨. أكتفي عند الكلام على الرجال بحكم مختصر مما ترجح لي - كي لا يطول الكلام -، ولا أفصِّل في غير ذلك إلا مما فيه فائدة، كإثبات تدليس راو، أو

إثبات صحبة أو عدمها، أو نحو ذلك.

٩. اعتمدت في نقل كلام الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى - من كتابه: «التعليقات على عمدة الأحكام» ضمن مجموع مؤلفاته، التي طبعت في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

المبحث الأول

منهج العلامة ابن سعدي في حكمه على الأحاديث بالرد.

تميَّز منهج الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى - في حكمه على الأحاديث بالردِّ بمزايا عدَّة، فمن ذلك:

١. أن كلَّ أحكامه على الأحاديث، قد سبقه إلى ذلك جمع من أهل العلم قبله، وقد اعتمد - غالباً - على أحكام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وابن عبد الهادي والذهبي - رحمهم الله -.

٢. سمة أحكامه على الأحاديث هو الاختصار وعدم التطويل، فغالباً ما يقتصر فيه على حكمه من دون تفصيل، وكلُّ أحكام الشيخ - رحمه الله - التي ذكرتها في هذا البحث شاهد على ذلك.

٣. تعدَّدت أحكامه على الأحاديث؛ مع نصِّه - غالباً - على نوع الضعف، فجاءت هذه الأحكام: «موضوع، منكر، شاذ، مدرج، لم يثبت، لم يرد في حديث صحيح».

٤. لا يذكر سبب ضعف الحديث إلاَّ أحياناً، وقد يطيل الكلام عليه، ومن أمثلة ذلك: حديث أبي هريرة ﷺ في الغرَّة «مدرج، حيث قال: «وقوله (فمن استطاع...) إلخ من كلام أبي هريرة، وليس من كلام الرسول ﷺ، ويدل على ذلك أمور: ...» ثم ذكرها، وحديث علي بن أبي طالب ﷺ في تحريم المتعة يوم خيبر، حيث قال: "والصحيح أنه لم يحرَّم يوم خيبر، وإنما وَهْمٌ من بعض الرواة، والذي حُرِّم يوم خيبر الحمر الأهلية...ولما ذكر عليٌّ تحريم الحمر الأهلية ونكاح المتعة جميعًا وَهِمَ بعض الرواة وظن أن تحريمهما يوم خيبر،

ولكن الصحيح أنه حُرِّم يوم الفتح».

٥. يكتفي - رحمه الله - بذكر حكمه على الأحاديث، مع ذكره - أحيانًا - لحكم غيره من العلماء ممن سبقه، فمن أمثلة ما اكتفى بحكمه فقط - وهو الأغلب -: حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - (أمرنا بغسل الأنجاس سبعًا)، وحديث سهل بن سعد - رضي الله عنه -: (ولا تجزئ عن أحد بعدك)، وغيرها، ومن أمثلة ما ذَكَرَ فيه حكم غيره ممن سبقه: حديث أبي هريرة ﷺ في الغرة، حيث نقل كلام ابن القيم، وأحاديث زيادة أكثر من ركوعين في الركعة الواحدة في صلاة الكسوف، حيث نقل كلام أحمد بن حنبل والبخاري.

٦. يحرص على نقده للأحاديث سندًا ومتنًا، فمن أمثلة نقده لسند الحديث: حديث علي بن أبي طالب ﷺ في تحريم المتعة يوم خيبر، وأحاديث زيادة أكثر من ركوعين في الركعة الواحدة في صلاة الكسوف، حيث غلَّط رواتها، ومن أمثلة نقده لمتن الحديث: حديث عبد الله بن مغفل ﷺ: (وعفروه الثامنة بالتراب)، حيث قال: « هذا شاذ، فلا يؤخذ به، ويترك المتواتر»، وحديث أبي هريرة ﷺ في الغرة حيث قال: « فإطالة الغرة غير ممكنة... وأيضًا: ليس الساق والعضد موضع الحلية...».

٧. لا يذكر طرق الحديث الأخرى إلاَّ نادرًا، ومن أمثلة ذلك: حديث أبي هريرة ﷺ في الغرَّة حيث قال: « منها: أن الإمام أحمد روى هذا الحديث عن نعيم عن أبي هريرة بوقف هذه الزيادة على أبي هريرة».

٨. يُغْفِل الكلام عن رواة الحديث جرحًا وتعديلاً، وإنما يُجمل الكلام فيهم بقوله: «بعض الرواة»، ومن أمثلة ذلك: حديث علي بن أبي طالب ﷺ في تحريم المتعة يوم خيبر، وأحاديث زيادة أكثر من ركوعين في الركعة الواحدة في صلاة الكسوف.

المبحث الثاني

الأحاديث التي حكم عليها العلامة ابن سعدي بالرد

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول

حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (أمرنا بغسل الأنجاس سبعًا).

قال ابن سعدي -رحمه الله-: «وأما حديث ابن عمر: (أمرنا بغسل الأنجاس سبعًا) فهو موضوع»[1].

لم أقف على إسناد له أو مخرِّج، وإنما جميع من وقفت عليه ممن ذكره يذكره بلا عزو أو إسناد بصيغة التمريض، كابن قدامة[2]، وابن أخيه ابن أبي عمر[3]، وابن عبد الهادي[4]، والزركشي[5]، وابن رسلان[6]، وغيرهم، وقد نص الألباني أيضًا على أنه لم يقف على إسناد له أو مخرِّج[7]، وقد حكم ابن عبد الهادي[8] على هذا الحديث

---

(١) انظر: التعليقات على عمدة الأحكام (ص١٣).

(٢) انظر: المغني (١/ ٤٠).

(٣) انظر: الشرح الكبير (٢/ ٢٨٧).

(٤) انظر: مجموع رسائل الحافظ ابن عبد الهادي ص(٩٤).

(٥) انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (١/ ١٤٦).

(٦) انظر: شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٢/ ٣٩٢).

(٧) انظر: إرواء الغليل (١/ ١٨٦).

(٨) انظر: مجموع رسائل الحافظ ابن عبد الهادي (ص٩٤).

بهـذا اللفظ بالرد في رسـالة له في الأحاديث المشـهورة على ألسـنة الفقهـاء وغيرهم، مما لا يعـرف له إسـناد بالكليَّة، أو له إسـناد مركب باطـل، أو ضعيف لا يعتمـد عليه...إلخ.

المطلب الثاني

حديث غسل سائر البدن ثلاثًا في غسل الجنابة.

قال ابن سعدي -رحمه الله-: «لم يرد في حديث صحيح»[1].

لـم أقف علـى حديث بهذا اللفـظ إلاَّ ما جاء في مسـند الديلمـي (١/ ٣٢٧،ح ١٢٩٧)، وذكر إسناده ابن رجب[2] عن الحافظ سمويه، فقال: نا أحمد بن يحيى بن زيد بن كيسـان: نا يزيد بن ذريع، عن أبي مكين، عن أبي صالح: حدثتني أم هانيء، قالت: قالَ رسول الله ﷺ: (إذا اغتسل أحدكم فليغسل كل عضو منه ثلاث مرات)، وهو حديث منكر؛ فإن فيه جملة من العلل، منها:

العلـة الأولـى: أن الصـواب فيـه الوقـف، فقـد رواه ابـن أبي شـيبة في مصنفه (١/ ٦٦،ح ٧٠٤) عـن وكيع عـن أبي مكين به مثله موقوفًـا، وهو الصواب - على ضعفٍ في إسناده كما سيأتي في العلة الثانية -، وممن رجح وقفه أيضًا ابن رجب[3].

العلـة الثانية: أن في إسـناده أبا صالـح وهو: باذام مولى أم هانئ، وهو مشـهور بضعفه عند العلماء[4].

العلة الثالثة: مخالفته للأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما في صفة غُسْـله

---

(١) انظر: التعليقات على عمدة الأحكام (ص٣٦).

(٢) انظر: فتح الباري (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: فتح الباري (١/ ٢٦٥).

(٤) انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٦)

ﷺ كحديث عائشة وميمونة - رضي الله عنهما - فلم ينقل عنه أنه غسل بدنه ثلاثًا، وقد أكد على هذا المعنى عدد من العلماء، فمن ذلك: البخاري في صحيحه، حيث ترجم لحديث ميمونة - رضي الله عنها - بقوله: «باب الغسل مرة واحدة»[1]، وكذا ترجم النسائي في سننه الصغرى لحديث ميمونة ﷺ بقوله: «باب الغسل مرة واحدة»[2]،، وقال ابن بطال: «ولم يذكر مرة ولا مرتين، فحمل على أقل ما يسمى غسلاً وهو مرة واحدة»[3]، وقال ابن تيمية: « فإن من نقل غسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كعائشة وميمونة لم ينقل أنه غسل بدنه كله ثلاثًا»[4]، وقال الزركشي في شرحه لمتن الخرقي: « ثم ظاهر كلامه وكلام قليل من الأصحاب أن الإفاضة على سائر الجسد لا تثليث فيها، وهو ظاهر الأحاديث»[5]، وقال ابن رجب: « وظاهر هذه الأحاديث: يدل على أن النَّبيّ ﷺ اكتفى بإفاضة الماء على جسده من غير ذَلِكَ ».

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٦٠، ح٢٥٧)

(٢) السنن الصغرى للنسائي (١/ ٢٠٨،ح ٤٢٨).

(٣) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١٣٧٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٥) شرح الزركشي على متن الخرقي (١/ ٣١١).

المطلب الثالث

حديث عائشة - رضي الله عنها - (قصر رسول الله وأتممت).

قال ابن سعدي - رحمه الله -: «وحديث عائشة: (قصر رسول الله وأتممت) منكر لم يثبت»[1].

رواه النسائي في السنن الصغرى (٣/ ١٢٢، ح١٤٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١/ ٢٥، ح٤٢٥٨)، وغيرهما من طرق عن أبي نعيم، والدارقطني في سننه (٣/ ١٦٢، ح٢٢٩٤) من طريق القاسم بن الحكم، كلاهما عن العلاء بن زهير قال: حدثنا عبد الرحمن بن الأسود عن عائشة - رضي الله عنها - (أَنَّهَا اعْتَمَرَتْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى إِذَا قَدِمَتْ مَكَّةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَصَرْتَ، وَأَتْمَمْتُ، وَأَفْطَرْتَ، وَصُمْتُ، قَالَ: أَحْسَنْتِ يَا عَائِشَةُ»، وَمَا عَابَ عَلَيَّ)، وراه الدارقطني في سننه (٣/ ١٦٢، ح٢٢٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠٣، ح٥٤٢٧)، من طرق عن محمد بن يوسف الفريابي عن العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةِ رَمَضَانَ...) الحديث.

والصواب في هذا الاختلاف - أعني الاختلاف على العلاء بن زهير - أنه بدون ذكر «الأسود»؛ فهي رواية الأكثر، قال أبو بكر النيسابوري: «من قال فيه عن أبيه فقد أخطأ»[2]، وقال الدارقطني: «والمرسل أشبه»[3]، ومما يزيد شذوذ تلك الرواية: أن فيها قول عائشة - رضي الله عنها -: (عمرة في رمضان)؛ فإن النبي ﷺ

(١) التعليقات على عمدة الأحكام (ص٦٥).

(٢) انظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٢/ ٥٢٠).

(٣) علل الدراقطني (١٤/ ٢٥٨).

لـم يعتمر في رمضان قط باتفاق العلماء، كما حكاه ابن تيمية[1]، وأعلَّها بهذا، وممن أعلَّهـا بهذا أيضًا: النووي[2]، وابن القيم[3]، وابـن عبد الهادي[4]، والذهبي[5]، وابن الملقن[6]، وابن حجر[7]، وغيرهم.

وقال الدارقطني في حكمه على حديث عبد الرحمن بن الأسود: «متصل، وهو إسـناد حسن»[8]، وقال البيهقي: «إسناد صحيح»[9]، وقال النووي: «إسناد حسن أو صحيح»[10]، إلا أن صحة الإسـناد أو حسـنه فقط لا تكفي لثبوت الحديث، بل هو حديث منكر، استنكره أهل العلم، كما سيأتي بيانه.

ورواه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه (٢/ ٢٠٦، ح٨١٨٧)، والطحاوي في شـرح معـاني الآثـار (١/ ٤١٥، ح٢٣٨٩)، والدارقطنـي في سـننه (٣/ ١٦٤، ح٢٢٩٩)، وغيرهم من طرق عن المغيرة بن زياد، والدارقطني في سـننه (٣/ ١٦٣، ح٢٢٩٧)، ومـن طريقه البيهقي في السـنن الكـبرى (٣/ ٢٠٣، ح٥٤٢٥)، من طريق طلحة بن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٨٠).

(٢) انظر: خلاصة الأحكام (٢/ ٧٢٨).

(٣) انظر: زاد المعاد (٢/ ٥٣،٨٩).

(٤) انظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٢/ ٥٢٠).

(٥) انظر: تنقيح التحقيق للذهبي (١/ ٢٧٠).

(٦) انظر: البدر المنير (٤/ ٥٢٨).

(٧) انظر: التلخيص الحبير (٢/ ١١١).

(٨) سنن الدارقطني (٣/ ١٦٢).

(٩) السنن الكبرى (٣/ ٢٠٣).

(١٠) خلاصة الأحكام (٢/ ٧٢٧)

عمرو، والدراقطني في سننه (٣/ ١٦٣، ح٢٢٩٨) ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠٢، ح٥٤٢٢) من طريق عمر بن سعيد، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠٢، ح٥٤٢٣) من طريق دلهم بن صالح، أربعتهم عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة ﷺ بنحوه مرفوعًا، إلا أن هذه الرواية أيضًا منكرة؛ فإنها معلولة بأمور، منها:

العلة الأولى: ضعف المغيرة بن زياد وطلحة بن عمرو ودلهم بن صالح، بخلاف عمر بن سعيد فإنه ثقة، إلا أن روايته معلولة بما سيأتي في العلة الثانية.

العلة الثانية: أن الصواب في هذه الرواية عن عطاء الوقف، فقد روى عبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٥٦٠، ح٤٤٥٩) عن ابن جريج، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠٣، ح٥٤٢٦)معلقًا عن عمر بن ذر المرهبي، كلاهما عن عطاء عن عائشة - رضي الله عنها - موقوفًا، وابن جريج من أثبت الرواة عن عطاء كما نص على ذلك الإمام أحمد[1]، فكيف وقد تابعه عمر بن ذر؟ وهو ثقة أيضًا[2]، وقد توبعوا متابعة قاصرة، كما سيأتي بيانها في العلة الثالثة.

العلة الثالثة: أن الصواب في هذه الرواية، وما قبلها أن إتمام الصلاة في السفر، إنما كان موقوفًا على عائشة - رضي الله عنها -، ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٤، ح١٠٩٠)، ومسلم في صحيحه (١/ ٤٧٨، ح٦٨٥) وغيرهما من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضي الله عنها - ، ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١/ ٢٧،ح٤٢٦٠)، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٤٤٧، ح٢٧٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٥٣٣، ح١٦٩٨) من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها - نحوه، وهذان الراويان: عروة بن الزبير ومسروق بن الأجدع

---

(١) انظر: العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله (٢/ ٤٩٥)

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٨/ ٥١١).

من عيون الرواة عن عائشة - رضي الله عنها - والمقدَّمين فيها، كيف وقد تابعهم عطاء بن أبي رباح - على الصحيح من روايته-

العلة الرابعة: مما يزيد نكارة الحديث مرفوعًا بكل طرقه السابقة، أن النصوص ظاهرة في قصر النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة في السفر، وأنه لا يعلم أنه أتمَّها ولو مرة واحدة باتفاق العلماء، كما حكاه ابن تيمية[1]، بل ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه أتمَّ الصلاة معه في سفر، فيخالفوا هديه ﷺ في حضرته[2]، ولذلك حكم جمع من أهل العلم على هذا الحديث بالنكارة، منهم: أحمد بن حنبل[3]، وابن تيمية[4]، وابن عبد الهادي[5]، والذهبي[6]، وابن القيم[7]، وابن حجر[8]، والألباني[9].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٧٨).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٤٥٤).

(٣) انظر: مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ص(١١٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٨٠).

(٥) انظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٢/ ٥٢٠).

(٦) انظر: تنقيح التحقيق للذهبي (١/ ٢٧٠).

(٧) انظر: زاد المعاد (١/ ٤٤٧).

(٨) انظر: بلوغ المرام (ص١٨٧).

(٩) انظر: إرواء الغليل (٣/ ٦).

المطلب الرابع

حديث أبي هريرة ﷺ في الغرة: (فمن استطاع منكم أن يطيل..)

قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: «مدرج، وقوله (فمن استطاع...)إلخ من كلام أبي هريرة، وليس من كلام الرسول ﷺ، ويدل على ذلك أمور: منها: أن الإمام أحمد روى هذا الحديث عن نعيم عن أبي هريرة بوقف هذه الزيادة على أبي هريرة، أيضًا: فإطالة الغرة غير ممكنة، ولهذا لم يزد أبو هريرة على غسل الوجه، ولو كان من كلامه ﷺ لم يكن عليه اعتراض، وأيضًا: ليس الساق والعضد موضع الحلية، ولهذا قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في النونية...،وقد تقدم حديث حمران، وحديث عبد الله بن زيد بوصف وضوئه ﷺ، ولم يذكر أحد منهم أنه زاد على حدود الله تعالى»[1].

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٩، ح١٣٦)، ومسلم في صحيحه (١/ ٢١٦، ح٢٤٦)، وغيرهما من طرق عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

وقد وافق الشيخ -رحمه الله تعالى - في الحكم على هذه اللفظة بالإدراج جمعًا من أهل العلم، منهم: ابن بطال[2]، والمنذري[3]، وابن تيمية[4]، وابن القيم[5]،

---

(١) التعليقات على عمدة الأحكام (ص١٦-١٧).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٢٢١).

(٣) انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٩٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٧٩).

(٥) انظر: حادي الأرواح (ص٢٠١).

وابن جماعة[1]، وابن حجر[2]، والعيني[3]، والألباني[4]، وغيرهم، وقد لخص الشيخ - رحمه الله - خلاصة كلام أهل العلم في سببهم لإعلال هذه اللفظة بالإدراج.

وقد خالفهم جمع من أهل العلم فرأوا أن هذه اللفظة مرفوعة من كلام النبي ﷺ، منهم: النووي[5]، وابن الملقن[6]، وغيرهما، إلا أن القول بأنها مدرجة هو الأظهر؛ لما سبق، والله أعلم.

---

(١) انظر: فيض القدير (٢/ ٤٣٠).

(٢) انظر: فتح الباري (١/ ٢٣٦).

(٣) انظر: عمدة القاري (٢/ ٢٤٩).

(٤) انظر: إرواء الغليل (١/ ١٣٣).

(٥) انظر: المجموع (١/ ٤٢٩).

(٦) انظر: التوضيح (٤/ ٣٣).

المطلب الخامس

حديث عبد الله بن مغفل ﷺ (وعفروه الثامنة بالتراب).

قال ابن سعدي - رحمه الله تعالى -: «هذا شاذ، فلا يؤخذ به ويترك المتواتر؛ ويحتمل أنه عدَّ التراب المثري في إحدى الغسلات غسلة»[1].

هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه(١/ ٢٣٥، ح٢٨٠)، وغيره من طرق عن شعبة عن أبي التياح عن مطرف بن عبد الله عن عبد الله بن مغفل ﷺ عن النبي ﷺ مثله.

ومراد الشيخ - رحمه الله - بالمتواتر: ما رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٤، ح٢٧٩) وغيره من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا وفيه: (أولاهن بالتراب)، وقد سبق الشيخ - رحمه الله - إلى هذا الإعلال جمع من أهل العلم، منهم: ابن بطال[2]، والبيهقي[3]، وابن قدامة[4]، وقال الشافعي: «هو حديث لم يُقَف على صحته».[5].

وقد خالفهم غيرهم من أهل العلم - وهم كثير - فصحَّحوا حديث عبد الله بن مغفل ﷺ، منهم: الإمام مسلم، فقد رواه في صحيحه كما سبق، والدارقطني[6]، وابن

---

(١) التعليقات على عمدة الأحكام (ص١٢).

(٢) انظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١/ ٢٧٠).

(٣) انظر: السنن الكبرى (١/ ٣٦٧).

(٤) انظر: المغني (١/ ٣٩).

(٥) انظر: الحاوي الكبير (١/ ٣٠٩).

(٦) انظر: سنن الدراقطني (١/ ١٠٧).

حزم[1]، والبغوي[2]، والنووي[3]، وابن دقيق العيد[4]، وابن تيمية[5]، والعراقي[6]، وابن حجر[7]، وهو كما قالوا؛ فإن الحديث لا مطعن فيه من حيث الإسناد، ومخرجه مختلف، وأما معارضة متنه لحديث أبي هريرة ﷺ السابق، فهو من باب «مختلف الحديث» الذي يمكن فيه الجمع بينهما، حالها كحال غيرها من النصوص التي صحت مع أن ظاهرها التعارض، والجمع أولى من الترجيح، وقد جمعوا بينهما بما ذكره الشيخ - رحمه الله - بقوله: «ويحتمل أنه عدَّ التراب المثري في إحدى الغسلات غسلة»[8]، وزاد ابن تيمية هذا المعنى بيانًا بقوله: « وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ عَدَّ التُّرَابَ ثَامِنَةً وَإِنْ لَمْ تَكُنْ غَسْلَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [سورة الكهف:٢٢] يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ قَالُوا: إِذَا كَانَ اسْمُ فَاعِلٍ عَلَى الْعَدَدِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الْمَفْعُولِ يَجْعَلُهُ زَائِدًا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [سورة المجادلة:٧]، وَإِنْ كَانَ مِنْ جِنْسِهِ جَعَلَهُ أَحَدَهُمْ لِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ

(١) انظر: المحلى (١/ ١٢١).

(٢) انظر: شرح السنة(١١/ ٢١٣).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ١٨٤).

(٤) انظر: إحكام الأحكام (١/ ٧٧).

(٥) انظر: شرح عمدة الفقه (١/ ٨٦).

(٦) انظر: طرح التثريب (٢/ ١٢٤).

(٧) انظر: فتح الباري (١/ ٢٧٧).

(٨) التعليقات على عمدة الأحكام (ص١٢).

هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[سورة التوبة: ٤٠]، فَلَمَّا قَالَ: «سَبْعَ مَرَّاتٍ» عُلِمَ أَنَّ التُّرَابَ سَمَّاهُ ثَامِنًا لأَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ وَإِلاَّ قَالَ: فَاغْسِلُوهُ ثَمَانِيًا وَعَفِّرُوهُ الثَّامِنَةَ، كَمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: (إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الإِنَاءِ فَاغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ السَّابِعَةُ بِالتُّرَابِ)»[1]. وأما قول الشافعي السابق فقد أجاب عنه ابن حجر بقوله: «وَنُقِلَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ هُوَ حَدِيثٌ لَمْ أَقِفْ عَلَى صِحَّتِهِ، وَلَكِنَّ هَذَا لاَ يُثْبِتُ الْعُذْرَ لِمَنْ وَقَفَ عَلَى صِحَّتِهِ»[2].

(١) شرح عمد الفقه (١/ ٨٦).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٧٧).

المطلب السادس

حديث علي بن أبي طالب ﷺ (أن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية)

قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى -: «وقوله: (يوم خيبر) ورد حديث صحيح صريح أنه حُرِّم يوم الفتح، فقيل: إنه أُبيح ثم حُرِّم، ثم أُبيح ثم حُرِّم. قال الإمام الشافعي: ما أعلم شيئًا من الأحكام أُبيح مرتين، وحُرِّم مرتين، إلاَّ نكاح المتعة. والصحيح أنه لم يحرَّم يوم خيبر، وإنما وَهْمٌ من بعض الرواة، والذي حُرِّم يوم خيبر الحمر الأهلية. وكان ابن عباس يرى حلَّ ذلك عن الضرورة، ولكنه رجع بعد ذلك. ولما ذكر عليٌّ تحريم الحمر الأهلية ونكاح المتعة جميعًا وَهِمَ بعض الرواة وظن أن تحريمهما يوم خيبر، ولكن الصحيح أنه حرم يوم الفتح.»[1].

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٢، ح٥١١٥)، ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٢٧، ح١٤٠٧) واللفظ له، وغيرهما من طرق عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبد الله والحسن بن محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن أبي طالب ﷺ مثله.

وقد سبق الشيخ - رحمه الله - إلى هذا القول جمع من أهل العلم، منهم:

---

(١) التعليقات على عمدة الأحكام (ص٣٧٣).

سفيان بن عيينة[1]، والبيهقي[2]، وابن تيمية[3]، وابن القيم[4]، وابن حجر[5]، وقال ابن عبد البر: «على هذا أكثر الناس»[6]، وقال السهيلي: «وَهَذَا شَيْءٌ لاَ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَرُوَاةِ الأَثَرِ أَنَّ الْمُتْعَةَ حُرِّمَتْ يَوْمَ خَيْبَرَ»[7].

وقد خالفهم جمع من أهل العلم فرأوا أن الحديث على ظاهره، منهم: الشافعي[8]، وأبو عوانة (٣/ ٢٦)، وابن حبان[9]، وابن العربي[10]، والمازري[11]،

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٣٢٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣/ ٩٦).

(٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٠٤).

(٥) انظر: فتح الباري (٩/ ١٧١).

(٦) التمهيد (١٠/ ١٠٢).

(٧) الروض الأنف (٧/ ٩٩).

(٨) انظر: اختلاف الحديث (ص٦٤٥).

(٩) انظر: صحيح ابن حبان (٩/ ٤٥٣).

(١٠) انظر: أحكام القرآن (١/ ٤٩٩).

(١١) انظر: المعلم (٢/ ١٣١).

والقاضي عياض[1]، وابن الجوزي[2]، وابن الأثير[3]، والنووي[4]، والعيني[5]، وغيرهم، وهو الصحيح؛ لما يلي:

أولاً: أن فيه جمعًا للنصوص وبعداً للتكلف في تأويلها.

ثانيًا: أن في بعض روايات حديث علي ﷺ ما يدفع دعوى وهم بعض الرواة فيه، حيث نُصَّ على تحريم المتعة في خيبر، فقد روى البخاري في صحيحه(٥/ ١٣٥، ح٤٢١٦)، ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٢٧، ح١٤٠٧) وغيرهما من طرق عن مالك، واللفظ له، والبخاري في صحيحه (٩/ ٢٤، ح٦٩٦١)، ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٢٨، ح١٤٠٧)، وغيرهما من طرق عن عبيد الله بن عمر، ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٢٨، ح١٤٠٧)، والنسائي في السنن الصغرى (٧/ ٢٠٢، ح٤٣٣٥)، وغيرهما من طرق عن يونس بن يزيد، والنسائي في السنن الصغرى (٧/ ٢٠٢، ح٤٣٣٥) من طريق أسامة بن زيد الليثي، وعبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٥٠٠، ح ١٤٠٣٢) عن معمر، خمستهم عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ)

ثالثًا: ما رواه أبو عوانة في مستخرجه (٣/ ٢٩، ح٤٠٨٣) (٣/ ٢٩، ح٤٠٨٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢٥، ح٤٣١١)، من طرق عن الزهري:

---

(١) انظر: إكمال المعلم (٤/ ٥٣٦).

(٢) انظر: كشف المشكل (١/ ١٤٦).

(٣) انظر: الشافي (٤/ ٣٧١).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (٩/ ١٧٩).

(٥) انظر: نخب الأفكار (١٠/ ٣٤٩).

أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ عَنِ « الْمُتْعَةِ، قَالَ: حَرَامٌ، فَقَالَ: إِنَّ فُلاَنًا يَقُولُ فِيهَا، فَقَالَ: (وَاللهِ لَقَدْ عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ وَمَا كُنَّا مُسَافِحِينَ)، وقد صححه أبو عوانة كما سبق، وقوَّى إسناده ابن حجر[1]، والصنعاني[2].

رابعًا: أنه جاء في حديث سبرة الجهني ﷺ في تحريم المتعة يوم الفتح - الذي يستدل به أصحاب القول الأول-، وفيه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الاِسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ...)، فلا يصدق قول «أذنت» إلاَّ لمحرَّم سابق[3].

خامسًا: أنه جاء في حديث سبرة الجهني ﷺ في تحريم المتعة يوم الفتح أيضًا قوله: (وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، ففي ذلك تنبيهٌ على تحريم سابق إلاَّ أنه مؤقت، فتبعه هذا التحريم المؤبد[4].

---

(١) انظر: التلخيص الحبير (٣/ ٣٣٣).

(٢) انظر: سبل السلام (٢/ ١٨٥).

(٣) انظر: فتح الباري (٩/ ١٧٠).

(٤) انظر: الحاوي الكبير (٩/ ٣٣٠).

المطلب السابع

أحاديث زيادة أكثر من ركوعين في الركعة الواحدة من صلاة الكسوف.

قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى - وهو يتكلم عن صلاة الكسوف: «ولهذا خالفت جميع الصلوات، فهي ركعتان وكل ركعة تشتمل على ركوعين وسجدتين يطول فيها، كما سيأتي. ووردت على غير هذه الصفة، لكن هذه أصح ما ورد، فقد ورد إلى خمسة ركوعات في الركعة الواحدة، لكن قال الإمام أحمد والبخاري وكثير من الحفاظ: كل ما خالف هذه الرواية فغلط من الرواة. وإن كان بعضها في صحيح مسلم؛ لأن هذه الرواية - يعني: أنه أتى في كل ركعة بركوعين وسجدتين - أصح الروايات، والكسوف لم يقع إلا مرة في زمنه ﷺ، فتعين أن غير هذه الروايات غلط من بعض رواته.»[1].

الروايات التي جاءت بأكثر من ركوعين في الركعة الواحدة في صلاة الكسوف على صفات:

الصفة الأولى: رواية ثلاثة ركوعات في الركعة الواحدة.

وأشهر ما ورد فيها حديثان:

الحديث الأول: حديث عائشة - رضي الله عنها -:

فقد رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٢٠، رقم٩٠١)، من طريق ابن جريج قال: سمعت عطاء، يقول: سمعت عبيد بن عمير يقول: «حدثني من أصدق، حسبته يريد عائشة رضي الله عنها...» الحديث، وهي رواية شاذة، فقد خالف عبيد بن

---

(١) التعليقات على عمدة الأحكام (ص١٥١-١٥٢).

عمير، من هو أكثر منه وأضبط في عائشة رضي الله عنها، وهما: عروة بن الزبير فيما رواه البخاري (٢/ ٣٤، ح ١٠٤٤)، ومسلم (٢/ ٦١٨، ح٩٠١)، وعمرة بنت عبد الرحمن فيما رواه البخاري (٢/ ٤٠، رقم١٠٦٤)، ومسلم، (٢/ ٦٢١، رقم٩٠٣)، وهما من أعلم الناس بحديث عائشة رضي الله عنها، قال سفيان بن عيينة: «كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة : القاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن»[١]، وقال ابن القيم: «وعروة وعمرة أخص بعائشة وألزم لها من عبيد بن عمير»[٢]،ويزيد شذوذها أيضًا: أن عطاء لم يجزم بإسناد الحديث إلى عائشة رضي الله عنها فقال: «حسبته يريد عائشة» كما أشار إلى ذلك الشافعي[٣]، وابن القيم[٤]، والألباني[٥].

الحديث الثاني: حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -:

رواه مسلم في صحيحه(٢/ ٦٢٣، رقم٩٠٤)، من طريق عبد الملك بن سليمان، عن عطاء، عن جابر رضي الله عنه، وهي رواية شاذة أيضًا؛ فقد خالفه أبو الزبير عن جابر - رضي الله عنه - فيما رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٢٢، رقم٩٠٤)، والتي وافق فيها أكثر الرواة في صفة صلاة الكسوف، ثم إن عبد الملك بن سليمان متكلم في ضبطه، قال عنه أحمد بن حنبل: «ثقة يخطئ»[٦]، وقال ابن القيم: «قد أخذ عليه

---

(١) انظر: الجرح والتعديل (١/ ٤٥).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٤٣٧)

(٣) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٤٥٨).

(٤) انظر: زاد المعاد (١/ ٤٣٧)

(٥) انظر: صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة الكسوف (ص٢٢).

(٦) سؤلات أبي داود للإمام أحمد (ص٢٩٦).

الغلط في غير حديث»[1]، وقال ابن حجر: «صدوق له أوهام»[2]، وهذا الحديث من جملة ما أخطأ فيه، كما نص على هذا الشافعي[3] وابن القيم[4] والألباني[5].

الصفة الثانية: رواية أربعة ركوعات في الركعة الواحدة.

وأشهر ما فيه حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -:

رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٢٧، ح٩٠٨-٩٠٩)، من طريق حبيب وهو ابن أبي ثابت عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي رواية شاذة؛ فقد خالف طاوس رواية الجماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الكسوف ركعتين في كل ركعة ركوعان وهم:

١/ كثير بن عباس، فيما رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٣٥، ح١٠٤٦)، ومسلم في صحيحه(٢/ ٦٢٠، ح٩٠٢).

٢/ عطاء بن يسار، فيما رواه البخاري (٢/ ٣٧، ح١٠٥٢)، ومسلم في صحيحه(٢/ ٦٢٦، ح٩٠٧).

٣/ مقسم مولى ابن عباس، فيما رواه أحمد في مسنده، (٣/ ٣٥٨، ح١٨٦٤)، ويزيد أيضًا من ضعف رواية طاوس، عنعنة حبيب بن أبي ثابت وهو مشهور

---

(١) زاد المعاد (١/ ٤٣٨).

(٢) التقريب (ص٣٦٣) برقم (٤١٨٤).

(٣) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٤٥٨).

(٤) زاد المعاد (١/ ٤٣٨).

(٥) انظر: صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة الكسوف (ص٣٨).

بالتدليس نص على ذلك ابن خزيمة[1]، وابن حبان[2]، والدارقطني[3]، والبيهقي[4]، وأبو زرعة العراقي[5]، وابن حجر[6]، وغيرهم، وممن ضعَّف هذه الرواية أيضًا البيهقي[7]، وابن حجر[8]، والألباني[9].

الصفة الثالثة: رواية خمس ركوعات في ركعة واحدة.

وأشهر ما رود فيها حديثان:

الحديث الأول: حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه -:

رواه أبو داود في سننه (١/ ٣٠٧، ح١١٨٢)، وأحمد في مسنده (٣٥/ ١٤٨، ح٢١٢٢٥)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٨١، ح١٢٣٧)، من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية عن أبي بن كعب - رضي الله عنه -، وفي إسناده أبو جعفر الرازي، وهو ضعيف[10]، وقد ضعف هذا الحديث أيضًا

---

(١) انظر: صحيح ابن خزيمة (١/ ٢٢٩)

(٢) انظر: الثقات (٤/ ١٣٧).

(٣) انظر: تعريف أهل التقديس (ص٣٧).

(٤) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٤٩).

(٥) انظر: المدلسين (ص٣٩).

(٦) انظر: تعريف أهل التقديس (ص٣٧).

(٧) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ١٤٩).

(٨) انظر: التلخيص الحبير (٢/ ٢١٦٠).

(٩) انظر: صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة الكسوف (ص٢٧).

(١٠) انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ١٩٢).

البيهقي[1]، والنووي[2]، والزيلعي[3]، والألباني[4].

الحديث الثاني: حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

رواه البزار في مسنده، (٢/ ٢٣٣، ح٦٢٨) من طريق عبد الأعلى، عن محمد بن علي وعبد الرحمن بن أبي ليلى، عن علي رضي الله عنه، وهي ضعيفة؛ لأن فيها: عبد الأعلى وهو ابن عامر الثعلبي، وهو ضعيف[5]، وممن ضعف هذا الحديث أيضًا الألباني[6].

فعليه فكل هذه الروايات ضعيفة كما سبق، ومما يزيد من ضعفها أيضًا: مخالفتها للروايات الكثيرة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للكسوف وأنه صلاها ركعتين في كل ركعة ركوعان.

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٤٥٩)

(٢) انظر: خلاصة الأحكام (٢/ ٨٥٨)

(٣) انظر: نصب الراية (٢/ ٢٢٧).

(٤) انظر: صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة الكسوف (ص٥٨).

(٥) انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٣٥٢).

(٦) انظر: صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة الكسوف (ص٥٦-٥٧).

المطلب الثامن: حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ في المرأة التي وهبت نفسها، وفيه: (ولا تجزئ عن أحد بعدك)

قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى -: «لم يثبت».

رواه سعيد بن منصور في سننه (١/ ٢٠٦، ح ٦٤٢) عن أبي معاوية الضرير قال: حدثنا أبو عرفجة الفايشي عن أبي النعمان الأزدي قال: (زوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة على سورة من القرآن، ثم قال: لا تكون لأحد بعدك مهراً)، وهي رواية منكرة؛ وقد أعلَّت بعدَّة علل:

العلة الأولى: جهالة أبي عرفجة وأبي النعمان الأزدي، كما نصَّ عليه ابن حزم[١]، وعبد الحق الأشبيلي[٢]، وابن عبد الهادي[٣]، وابن الملقن (٧/ ٦٨٧)، وابن حجر[٤]، وغيرهم.

العلة الثانية: أنه مرسل، كما نصَّ عليه ابن حزم[٥]، وعبد الحق الأشبيلي[٦]، وأبي البركات المجد ابن تيمية[٧]، وابن عبد الهادي[٨]، وابن الملقن (٧/ ٦٨٧)،

---

(١) انظر: المحلى (٩/ ٩٨).

(٢) انظر: الأحكام الوسطى (٣/ ١٤٨).

(٣) انظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٤/ ٣٨١).

(٤) انظر: فتح الباري (٩/ ٢١٢).

(٥) انظر: المحلى (٩/ ٩٨).

(٦) انظر: الأحكام الوسطى (٣/ ١٤٨).

(٧) انظر: نيل الاوطار (٦/ ٢٠٢).

(٨) انظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٤/ ٣٨١).

وابن حجر[1]، وغيرهم، إلاَّ أن الطبراني[2]، وأبا نعيم[3]، وابن الأثير[4]، وابن حجر[5] ذكروه في الصحابة، والله أعلم.

العلة الثالثة: مخالفة هذه الرواية للروايات الكثيرة لأصل هذا الحديث حيث لم تذكر تلك الزيادة مع أهميتها.

وممن ضعَّف هذه الرواية أيضًا - غير ما ذُكِر - الذهبي[6]، والسفاريني[7]، وغيرهم.

---

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٢١٢).

(٢) انظر: المعجم الكبير (٢٢/ ٣٠٢).

(٣) انظر: معرفة الصحابة (٦/ ٣٠٣٧).

(٤) انظر: أسد الغابة (٦/ ٣٠٨).

(٥) انظر: الإصابة (٧/ ٣٤٠).

(٦) انظر: تنقيح التحقيق للذهبي (٢/ ١٩٧).

(٧) انظر: كشف اللثام (٥/ ٤٠١).

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث أذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج:

١. قلة البحوث الحديثيَّة المتعلقة بالقرن الماضي مع قرب عهدنا به.

٢. قلَّة البحوث التي تناولت جهود الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى - في خدمة السنة وعلومها.

٣. أن عامَّة الأحاديث التي حكم عليها الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى - قد سبقه إليها غيره من أهل العلم ممن سبقه، وقد اعتمد - غالباً - على أحكام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وابن عبد الهادي والذهبي - رحمهم الله -.

٤. أن سمة أحكامه - رحمه الله تعالى - على الأحاديث الاختصار وعدم التطويل.

٥. تعدَّدت أحكامه على الأحاديث؛ مع نصِّه - غالباً - على نوع الضعف، فجاءت هذه الأحكام: "موضوع، منكر، شاذ، مدرج، لم يثبت، لم يرد في حديث صحيح".

٦. لا يذكر سبب ضعف حديث إلاَّ أحيانًا، وقد يطيل الكلام عليه.

٧. يكتفي - رحمه الله - بذكر حكمه على الأحاديث، مع ذكره - أحيانًا - لحكم غيره من العلماء ممن سبقه.

٨. يحرص على نقده للأحاديث سندًا ومتنًا، مع ذكر - نادر - لطرق الحديث الأخرى.

٩. يُغْفِل الكلام عن رواة الحديث جرحًا وتعديلاً، وإنما يُجمل الكلام فيهم بقوله: "بعض الرواة".

أبرز التوصيات:

إن أهم ما يوصى به في ختام هذا البحث ما يلي:

١. الإكثار من الدراسات العلمية لجهود العلماء في القرن الماضي في خدمة السنة وعلومها.

٢. الاهتمام بدراسة تراث الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى - وجهوده في خدمة السنة وعلومها.

ومن المواضيع المقترحة للبحث ما يلي:

أ. منهج ابن سعدي في شرحه للأحاديث.

ب. منهج ابن سعدي في الجمع بين الأحاديث المتعارضة.

ج. تأثر ابن سعدي بمدرستي ابن تيمية وابن القيم في السنة وعلومها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

* الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، ت ٣٥٤هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
* أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، ت ٥٤٣هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
* الأحكام الوسطى من حديث النبي ﷺ، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي الأندلسي الأشبيلي المعروف بابن الخراط، ت ٥٨١ هـ، تحقيق حمدي السلفي، صبحي السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
* اختلاف الحديث (مطبوع ملحقا بالأم للشافعي)، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، ت ٢٠٤هـ، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
* البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ت ٨٠٤هـ، تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
* تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ٨٥٢هـ، تحقيق د. عاصم بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار - عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
* تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ -

١٩٨٦ .

* التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.
* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت ٤٦٣هـ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧ هـ.
* تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، تحقيق مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
* تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، ت ٧٤٤ هـ، تحقيق سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
* الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، ت ٣٥٤هـ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣م.
* الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، ت ٣٢٧هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.
* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، مطبعة المدني، القاهرة.
* الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن

علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، ت ٤٥٠هـ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

* خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ تحقيق حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

* الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، ت ٥٨١هـ، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

* زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

* سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم عز الدين المعروف كأسلافه بالأمير، ت ١١٨٢هـ، دار الحديث.

* سؤالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت ٢٤١هـ، تحقيق د. زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

* الشَّافِي فِيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيْر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ت ٦٠٦هـ، تحقيق أحمد بن سليمان - أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، مَكتَبَةَ الرُّشْدِ، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

* الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ت ٦٨٢ هـ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع

والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

* شرح سنن أبي داود، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي، ت ٨٤٤ هـ، تحقيق عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
* شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل، ت ٥٤٤هـ، تحقيق الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
* شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، ت ٣٢١هـ، تحقيق محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
* صحيح ابن خزيمة،أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، ت ٣١١هـ، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت.
* طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، ت ٨٠٦هـ، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي، ت ٨٢٦هـ، الطبعة المصرية القديمة.
* العلل ومعرفة الرجال، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت ٢٤١هـ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
* عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن

أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، ت ٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، تحقيق محمود بن شعبان بن عبد المقصود - مجدي بن عبد الخالق الشافعي - إبراهيم بن إسماعيل القاضي - السيد عزت المرسي - محمد بن عوض المنقوش - صلاح بن سالم المصراتي - علاء بن مصطفى بن همام - صبري بن عبد الخالق الشافعي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
* الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، ت ٥٠٩هـ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
* فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦.
* الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، ت ٢٣٥هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
* كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ت ١١٨٨ هـ، تحقيق نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
* كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
* مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت ٧٢٨هـ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

* مجموع رسائل الحافظ ابن عبد الهادي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ت ٧٤٤ هـ، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
* المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ، دار الفكر.
* المدلسين، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري أبو زرعة ولي الدين ابن العراقي، ت ٨٢٦هـ، تحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب، د. نافذ حسين حماد، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
* مستخرج أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني، ت ٣١٦هـ، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
* المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، ت ٤٠٥هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠م.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت ٢٤١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
* مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، ت ٢٩٢هـ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله - عادل بن سعد - صبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

* المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت ٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
* المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ت ٣٦٠هـ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية.
* المُعْلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي، ت ٥٣٦هـ، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر - المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م.
* المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠هـ، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
* نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، ت ٨٥٥هـ، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
* نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ت ٧٦٢هـ، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت -لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
* نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت ١٢٥٠هـ، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

منهج العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

في شرح الأحاديث وبيان معانيها

د . أحمد بن ذيب بن حمود العتيبي

الأستاذ المساعد في قسم السنة وعلومها

كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

فإنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد :

إن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، ولذا: بذل علماء الأمة وما يزالون على خدمتها، روايةً، ودرايةً، وألفت في ذلك المؤلفات الكثيرة جيل بعد جيل.

وإن من العلماء الذين عنوا بالسنة النبوية عنايةً فائقةً العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، يظهر ذلك جلياً في أخذه لعلم الحديث من مشايخه رحمهم الله، فقرأ الأمهات الست وغيرها من مصنفات الحديث، وكذلك عنايته الفائقة في تعليم علم الحديث تأليفاً وشرحاً وإملاءً ونحوها.

ومن حق هذا العالم الجليل أن تبرز جهوده العلمية والدعوية وغيرها، ولاشك أن ما دعت إليه جامعة القصيم ممثلة في كلية العلوم والآداب بعنيزة بالتعاون مع كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية لعقد مؤتمر بعنوان (الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره ومنهجه في الاجتهاد والتجديد والدعوة) هو من أداء حق لهذا العالم العلامة الذي لجهوده آثار معلومة مشاهدة في الحركة العلمية في مدينته عنيزة على وجه الخصوص، وفي باقي بلدان هذه الدولة المباركة والدول الإسلامية.

فاستعنت بالله في بيان منهج الشيخ رحمه الله تعالى في شرح الأحاديث وبيان معانيها من خلال مؤلفاته في علم الحديث فقط، إذ هي مقصود البحث؛ وإلا فإن للشيخ رحمه الله تعالى كلام قيّم وفوائد فريدة في شرحه للأحاديث التي يوردها في ثنايا مؤلفاته الأخرى في التفسير والفقه وغيرها.

أهمية البحث وأساب اختياره:

١- رسوخ قدم العلامة ابن سعدي رحمه الله في علم الحديث.

٢- تلقي الأمة بالقبول لمؤلفات العلامة ابن سعدي والعناية بها؛ خصوصاً في علم الحديث.

٣- أني لم أقف على دراسة مستقلة لهذا الموضوع.

منهج البحث:

سأقوم في هذا البحث بسلوك المنهج الاستقرائي التحليلي.

خطة البحث:

وقد رسمت خطة البحث من خلال ما يلي :

* المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، ومنهجه، وخطته.

* التمهيد: ترجمة العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى.

* المبحث الأول: التعريف بمؤلفات العلامة ابن سعدي الحديثية؛ وفيه مطالب:

المطلب الأول: التعريف بكتاب التعليقات على عمدة الأحكام.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار.

المطلب الثالث: التعريف بكتاب أحاديث في الحج.

المطلب الرابع: التعريف بكتاب الأحاديث المختارة في الأصول والأحكام والآداب وغيرها.

المطلب الخامس: التعريف بكتاب قطعة من شرح بلوغ المرام.

* المبحث الثاني: منهج العلامة ابن سعدي في شرح الأحاديث وبيان معانيها؛ وفيه

مطالب:

المطلب الأول: منهجه في تخريج الحديث والحكم عليه.

المطلب الثاني: منهجه في شرح ألفاظ الحديث.

المطلب الثالث: منهجه في بيان المعنى الإجمالي.

المطلب الرابع: منهجه في استنباط الفوائد والأحكام.

* الخاتمة .

* الفهارس اللازمة.

التمهيد

يحسن بنا قبل البدء في ثنايا البحث وصلبه التمهيد بترجمة موجزة للعلامة ابن سعدي رحمه الله[1] يظهر من خلالها عنايته بعلم الحديث تلقياً من شيوخه، وأداءً إلى تلامذته تدريساً، وللأمة تأليفاً.

فاسمه: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي، أبو عبدالله، مولده ووفاته في بلدة عنيزة بالقصيم، فكان مولده عام ١٣٠٧هـ، ووفاته ١٣٧٦هـ.

توفيت أمه وله أربع سنين ثم توفي والده وهو في الثانية عشرة من عمره، فنشأ في كنف زوجة أبيه وأخيه الأكبر (محمد) فحفظ القرآن مبكراً، وطلب العلم على علماء نجد، منهم: الشيخ صالح بن عثمان - وهو أكثر من لازمه- والشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، والشيخ محمد بن مانع، والشيخ محمد الشنقيطي.

واهتم بتلقي علم الحديث على أشياخه فقرأ الحديث على الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، والشيخ علي بن ناصر أبو وادي قرأ عليه في الأمهات الست وأجازه في ذلك[2].

ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم، وهو أول من أسس مكتبة عنيزة (سنة ١٣٥٨)، وأخذ عنه كثير من الطلاب؛ منهم: الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام، والشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع، والشيخ

---

(١) مصادر ترجمته: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠)، معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٦)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢١٨-٢٧٢)، مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص: ٢٥٦)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١٢٠٧)، الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ص: ١٧ وما بعدها).

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/ ٣٠٥).

علي الحمد الصالحي، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، والشيخ محمد صالح بن عثيمين رحمهم الله، وغيرهم الكثير.

وألف مؤلفات نافعة جاوزت الثلاثين تدل على مشاركته في العلوم ورسوخه؛ منها: تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن»، وإرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب مربية على طريقة السؤال والجواب، وتنزيه الدين وحملته ورجالة مما افتراه القصيمي في أغلاله، والدرة المختصرة في محاسن الإسلام، والخطب العصرية، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، والحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.

أثنى عليه كثيرٌ من أهل العلم، قال الشيخ محمد حامد الفقي: لقد عرفت الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي من أكثر من عشرين سنة فعرفت فيه العالم السلفي المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق وينقب عن البرهان الوثيق. . . عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة.

المبحث الأول: التعريف بمؤلفات العلامة ابن سعدي الحديثية

وفيه مطالب:

المطلب الأول: التعريف بكتاب (التعليقات على عمدة الأحكام).

لاشك أن كتاب (عمدة الأحكام) للحافظ أبي محمد عبدالغني بن عبدالواحد بن علي المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (٦٠٠ ه) كتاب عظيم القدر، رفيع المكانة، اهتم به أهل العلم منذ تأليفه إلى يومنا حفظاً وشرحاً، وقد شرحه كثير من علماء المذاهب الأربعة،

والكتاب من محفوظات الشيخ رحمه الله تعالى[١]، وقام الشيخ بشرح عمدة الأحكام بطريقة الإملاء على طلابه، وقيّد هذه الإملاءات تلميذه الشيخ عبدالله بن محمد العوهلي رحمه الله تعالى المتوفى (١٤٠٨ه)[٢]، فكتب هذه الإملاءات في كراريس، قام بجمعها وتلخيصها، فكان هذا الشرح سهل العبارة، متوسط ليس بالمطول ولا بالمختصر.

وكان هذا الشرح درساً يلقيه على طلابه، واستظهر محقق الكتاب[٣] أن الشرح كان بين عامي (١٣٤٧-١٣٤٩) لسببين:

١- ما كتب في آخر نسخة المتن: حررت في (٤) شعبان سنة (١٣٤٧)، ثم كتب في آخر نسخة الشرح: ٢٢/ ذو القعدة/ ١٣٤٩ه.

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٢١).

(٢) ترجمته: علماء نجد خلال ثمانية قرون(٤/ ٥٠٣).

(٣) عبدالرحمن الأهدل، طبعة دار الفوائد (ص٩).

٢- ما ذكره تلميذ المؤلف الشيخ محمد السليمان البسام[١].

وقد طبع الكتاب مرتين، إحداهما بعناية عبدالرحمن بن سالم الأهدل بدار عالم الفوائد عام ١٤٣١هـ، والأخرى بمكتبة العلوم والحكم بمصر عام ١٤٣٣هـ.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب (بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار).

حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم للأمة من القربات العظيمة، جعلت كثيراً من أهل العلم يؤلفون كتباً تحوي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مجردة أو مع الشرح، ورُوي في هذا حديث (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً)[٢].

وقام الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى بجمع تسعة وتسعين حديثاً من جوامع الكلم أسماه: (جوامع الأخبار) ثم شرحه في كتاب أسماه (بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار.

وربما اختصر الشيخ رحمه الله تعالى اسم الكتاب بقوله: «البهجة»[٣].

وقد وصف رحمه الله تعالى هذا الشرح بقوله في مقدمته: وقد بدا لي أن أذكر جملة صالحة من أحاديثه الجوامع في المواضيع الكلية، والجوامع في جنس، أو نوع، أو باب من أبواب العلم، مع التكلم على مقاصدها وما تدل عليه على

---

(١) المصدر السابق (ص١٠).

(٢) رُوي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنه منهم: علي ومعاذ وأبو هريرة وغيرهم، ولا يصح، يراجع: علل الدارقطني (٣/ ١٨)، والعلل المتناهية (١/ ١١١).

(٣) شرح بلوغ المرام (مجموع مؤلفاته ٥/ ٣٨٧).

وجه يحصل به الإيضاح والبيان مع الاختصار، إذ المقام لا يقتضي البسط[1].

وقد فرغ منه مؤلفه في ١٠ شعبان سنة ١٣٧١هـ.

وقد طبع الكتاب مرات جاوزت العشر، أشهرها: بعناية محمد حامد الفقي مكتبة المعارف الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، وأخرى بعناية أشرف عبدالمقصود بدار الريان ١٤٠٨هـ، وثالثة بعناية نادر التعمري بدار ابن حزم عام ١٤٢٤هـ، كما طبع الكتاب ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ بمركز صالح بن صالح الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

المطلب الثالث: التعريف بكتاب (أحاديث في الحج).

من مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى التي لم تطبع إلا مؤخراً هذا الكتاب، حيث قام الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى بجمع أحاديث تتعلق بالحج، وعدتها ثمانية وأربعين حديثاً، منها سبعة وعشرون حديثاً من الصحيحين أو أحدهما، والبقية من السنن الأربع ومسند الشافعي ومسند الدارمي ومعرفة السنن والآثار وشعب الإيمان للبيهقي.

ولم يبين الشيخ رحمه الله تعالى منهج التأليف، ولا سببه سوى قوله في مقدمة الكتاب: هذه أحاديث تتعلق بالحج موجودة فيما نقلت منه[2].

والكتاب عبارة عن أحاديث مجردة عن الشرح والتعليق سوى العزو في التخريج، ولعل سبب تأليفه للكتاب ليكون كالتذكرة لمراجعة أحاديث الحج.

وقد طبع الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الشيخ بوزارة الأوقاف القطرية الطبعة الأولى عام ١٤٣٢هـ.

---

(١) (ص٢٩) من طبعة دار ابن حزم.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ، طبعة وزارة الأوقاف القطرية (٥/ ٢٣٩)

المطلب الرابع: التعريف بكتاب (الأحاديث المختارة في الأصول والأحكام والآداب وغيرها).

يعد هذا الكتاب من أوسع مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى في جمع الأحاديث؛ حيث بلغت الأحاديث فيه خمسة وثلاثين وخمسمائة حديثاً.

وبيّن الشيخ رحمه الله تعالى في مقدمة الكتاب سبب تأليفه للكتاب بقوله: فهذه أحاديث نبوية انتقيتها وتخيرتها من كتب المحدثين، لا يستغني عن حفظها أو تذكرها صاحب العلم، متعلقة بالأصول والفروع والآداب[1].

وكذلك ذكر الشيخ في خاتمة كتابه أن الأحاديث التي ذكرها محتوية على كثير من الأصول والأحكام والنصائح والمواعظ والحكم، وجلّها ومعظمها من صحيح البخاري ومسلم، ويندر فيها الحديث الضعيف[2].

والكتاب كسابقه جرده الشيخ من الشرح والتعليق سوى عزو الأحاديث، وكذلك تبويب الكتاب.

وقد كان فراغ الشيخ رحمه الله تعالى من تأليف الكتاب في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨هـ كما نص عليه في آخر الكتاب.

وقد طبع الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الشيخ بوزارة الأوقاف القطرية الطبعة الأولى عام ١٤٣٢هـ.

المطلب الخامس: التعريف بكتاب (قطعة من شرح بلوغ المرام).

لا تقل أهمية كتاب (بلوغ المرام) للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ) عن كتاب عمدة الأحكام؛ فاهتمام أهل العلم به ظاهرٌ بيّن، وهو يمتاز

---

(١) (٥/ ٢٥٥).

(٢) (٥/ ٣٦٧).

عن كتاب عمدة الأحكام بأنه يجمع بين أحاديث الأحكام المخرجة في الصحيحين وغيرها من الكتب المسندة، بخلاف كتاب عمدة الأحكام الذي اقتصر فيه مصنفه على جملة من أحاديث الأحكام المتفق عليها فقط، لذا اهتم كثير من أهل العلم بكتاب بلوغ المرام حفظاً وشرحاً.

ولبلوغ المرام عند الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى عناية خاصة، فهو من الكتب التي غالباً تقرأ في الدرس[1].

وهذا الشرح للشيخ غير مكتمل، وهو قطعة من آخر بلوغ المرام؛ أحاديث مختارة على ترتيب بلوغ المرام ابتداءً من (باب الشركة والوكالة) إلى (ومن باب النكاح).

وليس في مخطوط الكتاب ما يدل على تاريخ نسخه ولا اسم ناسخه.

وقد طبع الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الشيخ بوزارة الأوقاف القطرية الطبعة الأولى عام ١٤٣٢هـ.

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٢٤)

المبحث الثاني: منهج العلامة ابن سعدي في شرح الأحاديث وبيان معانيها؛ وفيه مطالب:

المطلب الأول: منهجه في تخريج الحديث والحكم عليه.

إن قوة الحكم المستنبط من الدليل متوقفة على صحة الدليل؛ ولذا كانت من عناية الشيخ رحمه الله تعالى ذكر تخريج الحديث والذي يساعد في الحكم عليه.

يقول الشيخ: ولكن الاستدلال موقوف على صحة حديث: «الطواف بالبيت صلاة...»[1].

واعتنى الشيخ رحمه الله تعالى في كتبه التي جمع فيها الأحاديث بذكر ما يصلح الاحتجاج به؛ فقال في مقدمة «بهجة قلوب الأبرار: وقد بدا لي أن أذكر جملة صالحة[2].

ويقول رحمه الله تعالى في مقدمة «الأحاديث المختارة»: فهذه أحاديث نبوية انتقيتها وتخيرتها من كتب المحدثين، لا يستغنى عن حفظها أو تذكرها صاحب العلم، متعلقة بالأصول والفروع والآداب[3]، وقال في خاتمة الكتاب عن الأحاديث التي أوردها: وجلها ومعظمها من صحيح البخاري ومسلم، ويندر فيها الضعيف[4].

---

(١) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته: ٤/ ٩)، أخرجه أحمد (ح١٥٤٢٣) والنسائي (ح٢٩٢٢) والحديث رُوي مرفوعاً وموقوفاً، ورجح الدارقطني (ح٣٠٤٤) وقفه على ابن عمر رضي الله عنه، ورجح البيهقي (ح٩٢٩٢) وقفه على ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ٧).

(٣) الأحاديث المختارة (مجموع مؤلفاته ٥/ ٢٥٥).

(٤) الأحاديث المختارة (مجموع مؤلفاته ٥/ ٣٦٧).

ويشير رحمه الله تعالى إلى تخريج الأحاديث التي يذكرها بعبارة مختصرة دون توسع بقوله: أخرجه البخاري ومسلم، ونحوها من العبارات التي استعملها العلماء كثيراً.

وقد سلك العلامة ابن سعدي منهجين: منهج في البهجة وشرح البلوغ وهو عزو الحديث دون الحكم عليه ومنهج في شرح العمدة وهو ذكر الحديث دون عزو وأما الحكم فهو قل ما يتعرض له في جميع كتبه؛ كقوله: وصححه ابن حبان والحاكم[1]، ونحوها.

وربما حكم رحمه الله تعالى على بعض الأحاديث دون النقل عن غيره، كقوله: وأما الآثار المروية «الشفعة كحل العقال» أو: «لمن واثبها»[2] فلم تثبت[3].

ويمكن أن يقال: أن المدرسة النجدية بل وغالب العالم الإسلامي في ذلك الوقت لم يكن يعتني بالحديث فهو مجرد ذكر له دون انتقاء أو عزو أو تصحيح إلا من رموز معروفة كأحمد شاكر، وعبد الرحمن المعلمي عليهما رحمه الله وقلة معهما، فجاء الشيخ السعدي فأبرز في هذا الميدان أهمية الحديث في جانبين:

١. تأليفه وجمعه في الحديث وغالب طريقته قائمة على مراعاة جانبين: عزو الحديث وثبوته والجانب الآخر أن يكون من الأحاديث الجامعة في بابه، فهو ينتقي الأحاديث على هذا الأساس كما في الأحاديث المختارة أو أحاديث

---

(١) ينظر على سبيل المثال: بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (ح٢٥٠٠)، وزيادة (واثبها) عند عبدالرزاق (ح١٤٤٠٦) من قول شريح.

(٣) شرح بلوغ المرام (مجموع مؤلفاته ٥/ ٣٨٢)، والحديث بلفظه الأول: أخرجه ابن ماجه (ح٢٥٠٠) بسند ضعيف؛ فيه عبدالرحمن البيلماني، قال أبو زرعة: هذا حديث منكر، وأما اللفظ الثاني: فأخرجه عبدالرزاق (ح١٥٢١٧) من قول شريح.

الحج وكذلك البهجة جمع الأحاديث وشرحها.

٢. في شرح العمدة يكتفي في الغالب في ذكر الحديث دون عزوه أو الحكم عليه ولكنه يحرص أن لا يورد إلا حديثاً صحيحاً وهذا ظاهر في استعراض الأحاديث التي ذكرها في الشرح.

٣. في شرح بلوغ المرام يكتفي بحكم ابن حجر وإن تكلم على الحديث أعاد قول ابن حجر كما في حديث «الشفعة كحل عقال» فقد قال ابن حجر في البلوغ: رواه ابن ماجه والبزار وزاد «ولا شفعة لغائب» وإسناده ضعيف.

ونقل في مواضع أحكام الأئمة على الأحاديث؛ كنقله عن شيخ الإسلام في حكم الجهر بالبسملة في الصلاة: ولم يثبت حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالجهر بها من وجه صحيح[١].

والشيخ رحمه الله تعالى من فقهاء الحنابلة؛ ومع ذلك فقد حكم على حديث بالوضع، وهو حديث «أمرنا بغسل الأنجاس سبعاً»[٢]، وغسل الأنجاس سبعا من مفردات الحنابلة[٣]، يوردون في الاستدلال عليه هذا الحديث، وقليل جداً منهم من يحكم عليه[٤]، فحكمه رحمه الله تعالى على هذا الحديث بالوضع يدل على عدم

---

(١) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٩٨)، وكلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٧٥).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٣)

(٣) المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد (١/ ١٥٣).

(٤) ممن حكم عليه ابن عبدالهادي في كتاب «جملة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة»(ص٦٨) فيما نقله عن شيخ الإسلام، وقال الشيخ فيصل المبارك في «كلمات السداد» (ص٢٤): لا تقوم به حجة، وينظر في الحكم على الحديث إلى كتاب «إرواء الغليل» (١/ ١٨٦).

تقيده بقول أحد؛ بل كان رحمه الله تعالى من أهل الاجتهاد المقيد، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل وصدقه التعليل[1].

وربما ضعف الحديث المستدل به بالإشارة إليه دون ذكر لفظه؛ كقوله في الشفعة في الأموال التي تقسم وما لا يقسم: وأما ما استدل له على التفريق بين النوعين فضعيف[2].

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٢٠).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ١١٥).

المطلب الثاني: منهجه في شرح ألفاظ الحديث.

يصدر الشيخ رحمه الله تعالى شرحه للحديث ببيان الألفاظ التي ذكرت في الحديث، إذ إن بيان المعنى الاجمالي والفوائد المستنبطة متوقف على معرفة معاني الألفاظ.

وذكره رحمه الله تعالى لمعاني الألفاظ يكون مختصراً جداً، كقوله في شرح بلوغ المرام على حديث «ألحقوا الفرائض بأهلها....» المراد بالفرائض هنا المقادير التي قدرها الله ورسوله للوارثين[1]، وكقوله: «ولا يختلى خلاه»: الخلاء الحشيش الرطب[2].

وينقل ضبط الكلمة المشكلة كما في قوله:(الخبث) وقال القاضي عياض: أكثر روايات الشيوخ بسكون الباء[3].

ويستنبط الحكم بناءً على معنى الكلمة؛ كقوله في صلاة الكسوف: الفزع هو شدة المبادرة إلى فعل الشيء، وهذا دليل لمن قال بوجوبها[4].

ومن عادة الشيخ كأهل العلم بيان تفسير الحديث بالقرآن والحديث وأقوال الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من العلماء؛ كقوله في حديث «ثمن الكلب

---

(١) شرح بلوغ المرام(مجموع مؤلفاته ٥/ ٣٩٥)، والحديث أخرجه البخاري (ح٦٧٣٢) ومسلم (ح١٦١٥).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٢٥٣)، وهو جزء من حديث أخرجه البخاري في مواضع منها (ح١٣٤٩) ومسلم (ح٤٤٥- ح٤٦٤).

(٣) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٢٠)، وينظر إلى مشارق الأنوار للقاضي عياض (ص٢٢٨).

(٤) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٥٦).

خبيث»[1]: الخبيث يطلق على الشيء المحرم كما في قوله تعالى ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ويطلق على الردي الدني كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧]... وقد اجتمع في هذا الحديث كلا النوعين[2].

وكقوله في تفسير «لا أدري قال أربعين يوماً ...»: ورد في بعض الروايات صريحاً «أربعين خريفاً»[3]، وكقوله في حديث «فتلاعنا كما قال الله تعالى»: أي في الحديث السابق؛ فإن هذا الحديث عبارة مختصرة من الحديث الأول[4].

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٥٦٨).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٣٠١).

(٣) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٠٤)، والحديث أخرجه البخاري (ح٥١٠) ومسلم (ح٥٠٧) وأما زيادة (خريفاً) فهي عند البزار (ح٣٧٨٢) وهي منكرة.

(٤) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٤٠٩)، والحديث الأول يعني به حديث ابن عمر رضي الله عنهما في اللعان أخرجه البخاري (ح٥٣١٢) ومسلم (ح١٤٩٣)، والحديث الثاني حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري (ح٤٧٤٨) ومسلم(ح١٤٩٤).

المطلب الثالث: منهجه في بيان المعنى الإجمالي.

عناية وبراعة العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى ببيان المعنى الإجمالي للأحاديث المشروحة أمرٌ بينٌ وظاهرٌ لكل من طالع كتبه؛ من ذلك شرحه للأحاديث بطريقة مختصرة تأتي على ما يحتاجه طالب العلم دون اختصار مخل ولا طول ممل، قال رحمه الله تعالى: فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم والنسيان[1].

وقال في مقدمة كتابه «بهجة قلوب الأبرار..»[2]: وقد بدا لي أن أذكر جملة صالحة من أحاديثه في المواضيع الكلية، والجوامع في جنس أو نوع أو باب من أبواب العلم، مع التكلم على مقاصدها وما تدل عليه على وجه يحصل به الإيضاح والبيان.

ويصدّر الشيخ رحمه الله تعالى شرحه للأحاديث بذكر الأصول العظيمة التي اشتمل عليها الحديث، كقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف..»[3]: هذا الحديث اشتمل على أصول عظيمة وكلمات جامعة[4]، ثم شرع ببيان هذه الأصول بكلام موجز غير مخل بالمقصود، وهذه كانت طريقته في بيانه للمعنى الإجمالي لكثير من الأحاديث.

قال رحمه الله تعالى في حديث «الدين النصيحة»[5]: فالنبي صلى الله عليه وسلم فسر النصيحة بهذه الأمور الخمسة التي تشمل القيام بحقوق الله، وحقوق

---

(١) الفتاوى السعدية (ص٤٥٠).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ٧).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٦٦٤).

(٤) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ٣١) وينظر: (٥/ ١٢).

(٥) أخرجه مسلم (ح٥٠٧).

كتابه، وحقوق رسوله، وحقوق جميع المسلمين على اختلاف أحوالهم وطبقاتهم، فشمل ذلك الدين كله، ولم يبق منه شيء إلا دخل في هذا الكلام الجامع المحيط[1].

ويشير رحمه الله تعالى في بيانه إلى المعنى الإجمالي إلى دخول الحديث في أبواب عدة؛ كقوله في شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات...»[2] وحديث «من أحدث في أمرنا هذا..»[3]: هذان الحديثان العظيمان يدخل فيهما الدين كله: أصوله وفروعه، ظاهره وباطنه، فحديث عمر رضي الله عنه ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رضي الله عنها ميزان للأعمال الظاهرة[4].

ويكون بيانه إلى المعنى الإجمالي كذلك ببيان مكانة الحديث في الباب، خصوصاً في كتابه بهجة قلوب الأبرار، كقوله عن حديث « من عادى لي وليًا...»[5]: هذا حديث جليل، أشرف حديث في أوصاف الأولياء، وفضلهم ومقامهم[6].

وللشيخ رحمه الله تعالى عناية في التقاسيم والأنواع التي تبين معنى الحديث الإجمالي، كتقسيمه لأنواع الحركة في الصلاة، وأنواع النقص والزيادة في الصلاة[7].

ومن عنايته بالمعنى الإجمالي عنايته بمختلف الحديث وهو معارضة الحديث

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ١٥).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه وقد صدَّر الصحيح بهذا الحديث (ح١)، ومسلم (ح١٥٥) واللفظ المتفق عليه (بالنية)، وعند البخاري بلفظ (بالنيات).

(٣) أخرجه البخاري(ح٢٦٩٧) ومسلم(ح١٧١٨).

(٤) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ٨).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦١٣٧).

(٦) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ١٠١).

(٧) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٩٠) و(٤/ ١٠١).

مع مثله مع إمكان الجمع بلا تعسف[1]، إذ الجمع فيه بيانٌ لمعنى تتفق به الأحاديث، كقولـه في الجمـع بين حديث «يصليها بغلـس»[2] وحديث «أسـفروا بالفجر..»[3]: وقيل معناه: لا تصلوا حتى تحققوا طلوع الفجر[4].

ولاشـك أن الجمع بيـن الأحاديث المتعارضة أولى من القول بنسـخ أحدها؛ إذ الجمـع إعمال للأحاديث جميعـاً، والنسـخ إعمالٌ لبعضها، وينبه الشـيخ رحمه الله تعالـى كثيراً إلى عدم صحة القول بالنسـخ لإمكان الجمـع؛ من ذلك قوله على قـول بعض أهل العلـم أن النهي في حديث أبي ثعلبة الخشـني رضي الله عنه في آنية المشـركين «فلا تأكلوا فيها»[5] منسـوخ: والصواب أن هذا الحديث ليس بمنسوخ، بل يقال: المراتب ثلاث:

أحدها: أن تعلم نجاسة ذلك، فهذه يجب غسلها بالاتفاق.

الثانية: أن تعلم طهارتها فهذه لا يجب غسلها.

الثالثـة: أن تجهـل حالها، فهـذه أيضـاً لا يجب غسـلها لأن الأصل الطهارة في جميع الأشياء[6].

فأجـاب رحمه الله تعالـى بهذا التفصيل البديع على الإشـكال القائم بين جملة من أحاديث وآثار الباب، وهكذا كان منهجه في رفع الاشكالات الحديثية بصورة واضحة.

---

(١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص: ٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٦٠)، ومسلم (٦٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي (ح١٥٤)، والنسائي (ح٥٤٨).

(٤) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٥٢)

(٥) أخرجه البخاري (ح٥٤٩٦)، ومسلم (ح١٩٣٠).

(٦) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٥٠٩).

المطلب الرابع: منهجه في استنباط الفوائد والأحكام.

اعتنى العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى باستنباط الفوائد والأحكام عناية فائقة؛ خصوصاً في شرحيه على عمدة الأحكام وبلوغ المرام.

قال الشيخ ابن بسام رحمه الله تعالى: أما كلامه على النصوص الكريمة سواءً كان في التفسير أو في الحديث فأمر عجب، فإنه يستنبط منها الأحكام والفوائد ما لا يتصوره طالب[1].

يدل على ذلك سهولة إيراده للفوائد والأحكام بقوله: وفيه، أو قوله: ومنها، ثم يسوق الفوائد والأحكام المستنبطة، وهذه طريقة مسلوكة لعلماء سابقين كابن الملقن والحافظ وغيرهما وذلك لضبط المسائل وحصرها.

وربما صدر الفائدة بسؤال ثم يجيب عليه؛ كقوله في الغسل: وهل يستحب تكميله أو تأخير غسل الرجلين إلى الفراغ من الغسل؟[2].

وربما ألحق بشرح الحديث فوائد غير مستنبطة منه؛ لعلاقتها بموضوع الحديث، ويصدر تلك الفائدة بقوله: تنبيه، أو بقوله: تتمة، مثال ذلك ما ذكره من تتمة وتنبيه معاً في أثناء شرح حديث عائشة رضي الله عنها في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الليل[3]، فذكر تتمة في حكم الوتر ورجح أن الوتر سنة مؤكدة، ثم ذكر تنبيه حول حديث «إن الله وتر يحب الوتر»[4] في استحباب الوتر في أغلب

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٢٣).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٣٦)، وينظر (٤/ ٧٨).

(٣) ولفظ حديث عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر، وركعتا الفجر. الحديث أخرجه البخاري (ح١١٤٠) ومسلم (ح٧٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٤١٠)، ومسلم (ح٢٦٧٧).

الشرائع كالطواف والرمي[1].

ويشير رحمه الله تعالى إلى الخلاف بطريقة مختصرة دون ذكر اسم القائل؛ كقوله: واستدل بعضهم، وغالباً يرد على مثل هذا الاستدلال، كقوله: واستدل بعضهم بهذا على أن الماء إذا غمست فيه يد القائم من نوم ليل الناقض للوضوء يكون طاهراً غير مطهر، وليس في الحديث دلالة على هذا[2].

ومن ذلك ترجيحه في الخلاف بعدة مرجحات؛ منها ترجيحه بما دلت عليه النصوص كقوله: وهذا القول هو القول الصحيح الذي لا ينبغي القول إلا به وهو الذي دلت عليه النصوص[3]، أو بتضعيف الدليل المعارض كقوله: وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما (أمرنا بغسل الأنجاس سبعاً) فموضوع[4].

وينسب الأقوال لقائليها كالمذاهب الأربعة وغيرها، ويذكر ما عليه أهل البلد في وقته؛ كقوله في ترجيح أن صلاة الغائب تشرع للمصلحة: وهذا القول أصح الأقوال، وهو الذي عليه عمل أهل نجد اليوم[5].

وليس يخفى تأثر الشيخ رحمه الله بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، فهي التي فتقت ذهنه ووسعت مداركه[6]، فربما نسب القول إليهما بعد ترجيحه له، كما في قوله في صحة المسح على الخف المخرق ما دام اسمه باقيا:

---

(١) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٢٤-١٢٥).

(٢) شرح عمدة الأحكام(مجموع مؤلفاته٤/ ١٠)، وينظر: بهجة قلوب الأبرار(المجموع ٥/ ١٢٥).

(٣) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٤٩).

(٤) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٣)، وينظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٣٣٢).

(٥) شرح عمدة الأحكام(مجموع مؤلفاته ٤/ ١٦٩).

(٦) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٢٠).

وبه قال شيخ الإسلام[1].

وربما ذكر خلاف قولهما بما يظهر له إحتياطاً؛ كقوله في زكاة الفطر بنصف صاع من السمراء: ومذهب الإمام أحمد كمذهب أبي سعيد رضي الله عنه في صدقة الفطر خاصة(صاع)،.....ومذهب شيخ الإسلام كمذهب معاوية رضي الله عنه، وعلى كلٍّ فالاحتياط أولى[2].

وهو رحمه الله تعالى مع ذكر خلاف أهل العلم رحمهم الله تعالى في الأحكام المستنبطة من الأحاديث يسوق ادلة كل قول، ويعتذر عن من لا يرجح قوله؛ كقوله لما رجح الفطر في يوم الغيم من شعبان: وكان الشيخ عبدالله أبا بطين[3] يرى فطره، ولما كان قاضياً في عنيزة كان يعمل برأيه، فلما راح إلى بريدة وكان قاضياً تلميذه الشيخ سليمان بن مقبل[4] وكان يرى صيام ذلك اليوم، فتابعه الشيخ عبدالله أبا بطين على رأيه، فقيل له في ذلك؛ فقال: الخلاف شر والاجتماع خير[5].

---

(١) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٢٧)، وينظر:(٤/ ٤٦) و(٤/ ٦٥).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٩٩).

(٣) قاضي وفقيه حنبلي توفي سنة ١٢٨٢هـ، ينظر ترجمته في: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص١٧٨).

(٤) قاضي بريدة توفي سنة ١٣٠٤هـ، ينظر ترجمته في :علماء نجد خلال ثمانية قرون(٢/ ٣٧٣).

(٥) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٩٩).

خاتمة البحث

الحمد لله الذي وفَّق لإنجاز هذا البحث، وأسأله تعالى أنْ يتقبله بقبول حسن، وأقيِّد هنا أهم النتائج التي توصلتُ إليها، والتوصيات التي أقترحها:

النتائج:

١. رسوخ قدم العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى في شرح الأحاديث وبيان معانيها.

٢. براعته رحمه الله تعالى في طريقة عرضه لشرح الأحاديث وبيان معانيها، فليس بطويل ممل ولا بمختصر مخل.

٣. عظيم عنايته رحمه الله تعالى بالأحاديث التي تدل على كمال الدين ورفعته، وشرحها شرحاً وافياً؛ ذاكراً للأدلة الشرعية الأخرى في ثنايا شرح الحديث من القرآن الكريم وآثار الصحابة رضي الله عنهم وأقوال علماء الأمة رحمهم الله تعالى.

٤. عنايته رحمه الله تعالى بكتب الحديث قراءةً وإقراءً كالكتب الستة، وعمدة الأحكام، وبلوغ المرام.

التوصيات:

١. حاجة هذا الموضوع إلى دراسة أوسع، وتناول أشمل، فكل الذي مضى إنما هي دراسة مختصرة؛ لفتح أفق في هذا الجانب المشرق.

٢. التوصية بصرف همة الباحثين في المخطوطات إلى البحث عن مزيد مصنفات لهذا العالم رحمه الله، فكثير من كتبه رحمه الله تعالى لم تطبع إلا مؤخراً.

٣. دراسة منهج الشيخ رحمه الله تعالى في شرحه للأحاديث من خلال كتبه غير الحديثية كالتفسير والفقه ونحوها.

٤. إفراد دراسات في كلام الشيخ رحمه الله تعالى على بعض أنواع الحديث كمختلف الحديث، ومسائل أصول الفقه ونحوها التي يذكرها ضمن شروحه للأحاديث.

٥. إقامة المسابقات العلمية على كتب الشيخ رحمه الله تعالى حفظاً وفهما.

والله تعالى أسأل العون والتوفيق والسداد، وأنْ يتجاوز عن زللي، ويرحم ضعفي، ويغفر عن تقصيري، ويجبر قصوري، وأن يرزقني الإخلاص، وحسن القصد، وأن يفقهني في دينه، ويجعلني من أنصاره، والدعاة إلى سبيله على بصيرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين،

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

١- الأعلام، المؤلف خير الدين الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة(١٥) ٢٠٠٢ م.

٢- الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي،تحقيق: بشار عواد، الناشر:دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.

٤- السنن، المؤلف: محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، الرسالة.

٥- السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية،، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٦- السنن (المجتبى)، المؤلف:أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، الناشر: دار المعرفة، الطبعة:الخامسة١٤٢٠ هـ

٧- شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن سعدي، تحقيق عبدالرحمن بن سالم، الشؤون الإسلامية بقطر.

٨- الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، المؤلف: عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٩- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ.

١٠- العلل الواردة، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي، دار طيبة - الرياض.الطبعة(١)١٤٠٥هـ.

١١- علماء نجد خلال ثمانية قرون، المؤلف سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٢- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبعة مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٣- مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٤- المسند الصحيح المختصر = صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٥- مشارق الأنوار،المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي،دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٦- مشاهير علماء نجد وغيرهم، المؤلف عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

١٧- المصنف، المؤلف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، الطبعة(٢) ١٤٠٣هـ.

١٨- معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا كحالة الدمشقي، الناشر:دار إجياء التراث العربي بيروت.

١٩- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد: وليد الزبيري وآخرون، الناشر: مجلة الحكمة،ط(١) ١٤٢٤هـ.

٢٠- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق د. عبد الله الرحيلي، الناشر: (بدون)، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ.

منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي

في الاستشهاد بالروايات

أ.د. محمد سيد أحمد شحاته

أستاذ الحديث وعلومه كلية أصول الدين

جامعة الأزهر أسيوط

وكلية التربية بالزلفي جامعة المجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله..... أما بعد.

فمن المعلوم أن القرآن الكريم ميسر للذاكرين، وبين للمتدبرين، وهو مع ذلك فيه من المعاني البليغة والألفاظ الوجيزة، ما يصعب فهمه على بعض من لم يتقن العربية، فعمد أئمة عظام ففسروه وقاموا بإظهار معانيه، وجمعوا أحكامه، وقد شاء الله ﷻ أن يهيأ لكتابه العزيز في كل عصر وفي كل مصر من يفسره، ومن يعمل به ويرشد إليه، عاش الجهابذة في كل عصر وفي كل مصر لكتاب الله العزيز، يظهرون ما له من أضواء، ويزيحون ما عساه أن يعترض طريقه من غثاء، وكما عاش للتفسير في القديم الأئمة الطبري، وابن أبي حاتم، وابن كثير، والقرطبي، وغيرهم كثير، عاش له في هذه العصور أناس علت همتهم وسمت هامتهم كالعلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-، وغيره.

وقد كان من منهج هؤلاء جميعاً تفسير كتاب الله بالقرآن، ثم الحديث، ثم أقوال الصحابة والتابعين، وهذا ما فعله الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-؛ فقد صوب وجهه نحو السنة النبوية مقتطفاً من ثمارها ما يفسر به الآيات، لكن هل كان للشيخ منهج في الاستشهاد بالروايات؟، بمعنى أنه يقبل الروايات على الإطلاق الصحيح منها والضعيف، بناءً على المذهب القائل بالتساهل في روايات التفسير، أم كان يقبل الصحيح ويغض الطرف عن الضعيف، أم يقبل الضعيف بضوابط، وهل هذا المنهج كان مضطرداً في الكتاب؟، وهل التزم الشيخ نفس المنهج عند روايات الإسرائيليات؟، وعند تناول آثار الصحابة والتابعين؟، كل هذا سيجيب عنه البحث

إن شاء الله تعالى.

أهمية البحث.

من المعلوم أن المشتغل بتفسير القرآن لا يكاد يستغني عن كتاب الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- الموسوم بـ(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، فهو كتاب متميز في بابه، سهل في تناوله، وكان للشيخ منهج في الاستشهاد بالروايات يحتاج إلى أن يعرفه من يتعامل مع الكتاب، ولم أقف حسب علمي على من تعرض لإظهار هذه المنهج، فكان من الأهمية بمكان الوقوف على منهج الشيخ في سياق الروايات.

مشكلة البحث.

تظهر من خلال التساؤلات الآتية.

* ما منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بالأحاديث؟
* ما منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بروايات الصحابة والتابعين؟
* هل للشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- منهج خاص في التصحيح والتضعيف؟
* ما منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في ذكر الإسرائيليات؟
* ما أهم خصائص تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في ذكر الروايات؟

أهداف البحث.

* بيان منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بالأحاديث.
* التعرف على منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد

بروايات الصحابة والتابعين.

* معرفة منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في التصحيح والتضعيف.
* إظهار منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بالإسرائيليات.
* إبراز خصائص تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في ذكر الروايات.

حدود البحث.

* الأحاديث والآثار الواردة في كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

منهج البحث.

استقرائي، استنباطي، فإنني سأسوق كلام الشيخ السعدي -رحمه الله-، ثم أستنبط منه ما يدل على منهجه.

خطة البحث:

سينتظم البحث إن شاء الله تعالى في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على:

أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بالأحاديث.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث بلفظه.

المطلب الثاني: ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث بمعناه.

المطلب الثالث: اختصار الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث والاكتفاء بالشاهد منه.

المطلب الرابع: الإشارة إلى الحديث دون ذكره.

المبحث الثاني: صور التفسير النبوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: ذكر سبب النزول.

المطلب الثاني: بيان المعنى.

المطلب الثالث: تقرير الحكم الشرعي.

المطلب الرابع: تخصيص العام.

المبحث الثالث: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بروايات الصحابة والتابعين.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بروايات الصحابة.

المطلب الثاني: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بروايات التابعين.

المبحث الرابع: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في عزو الحديث وبيان درجته.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: منهجه في عزو الحديث.

المطلب الثاني: المصطلحات التي استعملها عند نقله للحديث.

المبحث الخامس: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بالإسرائيليات.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: موقف الشيخ -رحمه الله- من رواية الإسرائيليات.

المطلب الثاني: استشهاد الشيخ ببعض الإسرائيليات.

الخاتمة: وتشتمل على:

أهم النتائج.

وأهم التوصيات.

المبحث الأول

منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بالأحاديث:

من المعلوم أن علماء التفسير اعتمدوا على الروايات الحديثية، فكانت لهم خير زاد، وأكبر معين، فقاموا بتفسير الآيات القرآنية من خلال ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات، ويمكن أن يقال إن ذلك النوع من التفسير يعتبر أصدق تفسير لكتاب الله، وقد اعتمد الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- على هذه الأحاديث، وجعلها أصلاً من أصول تفسيره، ومعيناً ينهل منه، وقد تنوع منهج للشيخ -رحمه الله- عند تناوله للأحاديث على النحو التالي:

الأول: نقل الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث بلفظه.

الثاني: نقل الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث بمعناه.

الثالث: اختصر الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث واكتفى بالشاهد منه.

الرابع: أشار الشيخ السعدي -رحمه الله- إلى الحديث دون ذكره.

لذا سينتظم هذا المبحث في مطالب على هذا النحو.

المطلب الأول

ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث بلفظه:

ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث تاماً بلفظه في مواطن كثيرة عند تفسيره، عند احتياجه إلى الرواية بتمامها لتبيين المقصود من الآية، وأذكر هنا نماذج منها:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٣٠] قال: «دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل»، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، فعَلَيْه وِزْرُها وَوِزْر مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى يوم القيامة»[1]، ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه[2]، « مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأول شطر من دمها، لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»[3].

وهنا ترى أن الشيخ -رحمه الله- استدل بروايتين في موضع واحد، مما يدل على عناية الشيخ بالتفسير النبوي، والرواية الأولى لم يشر إلى أنها حديث، وفي

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم، وفيه: «مَنْ سَنَّ ﷺ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»، أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب من سن في الإسلام سنة حسنة، (٣/ ٨٦) رقم(٢٣١٤)، من حديث جرير ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) [البقرة: ٣٠] (٣/ ١٢١٣) رقم(٣١٥٧)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة، (٦/ ٢٦٦٩) رقم(٦٨٩٠)، ومسلم، كتاب الحدود والديات، بَابُ بَيَانِ إِثْمِ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، (٥/ ١٠٦) رقم(٤٣٩٥)، أحمد في المسند، (٧/ ١٩٣) رقم(٤١٢٣)، والترمذي، كتاب العلم، باب الدال على الخير كفاعله، (٥/ ٤٢) رقم(٢٦٧٣)، وقال: «حسن صحيح»، من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٢٩).

الثانية نص على أنها حديث، وذكر الحديث بتمامه.

وأنتقل إلى مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال: «من لازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل»، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الله [1]: « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»[2].

وهنا أشار الشيخ -رحمه الله- إلى درجة الحديث بداية، وهو كما قال إذ هو في صحيح البخاري، ثم ساق الرواية قريبة من لفظ البخاري، وجل اعتماد الشيخ في تفسيره على الأحاديث الصحيحة.

وأعرج الآن على مثال ثالث عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المائدة: ١٠١].

قال: وهذه المسائل التي نهيتم عنها ﴿ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٢] أي: جنسها وشبهها، سؤال تعنت لا استرشاد. فلما بينت لهم وجاءتهم ﴿ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأتوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، (٨/ ١٠٥) ح(٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٣٥).

فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»[1]، وهنا أيضاً ذكر درجة الحديث ولفظه.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة: ٧٥] قال: "قد قال النبي ﷺ في الحديث الثابت في الصحيحين: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[2]، وفي رواية: «وإذا خاصم فجر»[3].

قد أحسن الشيخ -رحمه الله- حين عبر عن حديث الصحيحين بقوله الثابت، ثم ذكر الحديث بتمامه.

ومع أنموذج رابع من كتاب الشيخ -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٤٦).
والحديث أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٦/ ٢٦٥٨) برقم(٦٨٥٨)، مسلم، كتاب فضال النبي ﷺ، باب هلال من خالفة ﷺ والنهي عن كثرة المسائل، (٧/ ٩١) رقم(٦١٨٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٣٤٥).
والحديث أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١/ ٢١) رقم(٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، (١/ ٥٦) رقم(١٢٣)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) يشير الشيخ إلى رواية ابن عمر أخرجها البخاري كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١/ ٢١) رقم(٣٤)، وابن عمرو أخرجها البخاري، كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر،(٢/ ٨٦٨) رقم(٢٣٢٧)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (١/ ٥٦) رقم(١٢٢).

مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًاۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور: ٦١] قال: "هذا موافق للحديث الثابت: " أنت ومالك لأبيك "[(١)] والحديث الآخر: « إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم »[(٢)]، وهنا جاء الشيخ بحديثين اختصر الأول، والثاني جاء تاماً، وقد جاء في بعض الروايات اللفظان في نص واحد، وهناك مواضع أخرى أشير إليها في الهامش[(٣)]، فالشيخ في هذه المواضع عند تعرضه لتفسير آية يستشهد بالحديث،

---

(١)) نص الحديث: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي مَالاً وَوَلَدًا وَإِنَّ وَالِدِي يَجْتَاحُ مَالِي. قَالَ "أَنْتَ وَمَالُكَ لِوَالِدِكَ إِنَّ أَوْلاَدَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ فَكُلُوا مِنْ كَسْبِ أَوْلاَدِكُمْ "، أخرجه أبو داود، كتاب الإجارة، باب فِي الرَّجُلِ يَأْكُلُ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ، (٣/ ٣١٢) رقم(٣٥٣٢)، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، (٢/ ٧٦٩) رقم(٢٢٩٢)، وأحمد في المسند، (١١/ ٢٦١) رقم(٦٦٧٨)، وقال الشيخ شعيب: إسناد صحيح لغيره.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٧٥).

ونص الحديث: عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ".

أخرجه الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده، (٣/ ٦٣٩) رقم(١٣٥٨)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، (٢/ ٧٦٨) رقم(٢٢٩٠)، وأحمد في المسند، (٤٢/ ١٧٦) رقم(٢٥٢٩٦).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٨٨)، قال: «كما ذكر النبي ﷺ في الحديث الثابت عنه-"أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها"، أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (٣/ ١١٨٧) رقم(٣٠٧٨)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٠١)، قال: ولهذا ورد في الحديث الصحيح: " إن الله إذا أحب عبدا، نادى جبريل: ... الحديث، أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (٣/ ١١٧٥) رقم(٣٠٣٧)، ومسلم، كتاب الآداب، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا، =

ويذكر اللفظ بتمامه، وهذا أحد مناهج الشيخ -رحمه الله- عند استدلاله بالحديث.

= (٨/ ٤٠) رقم(٦٧٩٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٨٠٠)، قال: وفي الحديث الصحيح: "المقسطون عند الله، ...الحديث"، أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب الإمام العادل، (٦/ ٧) رقم(٤٧٤٨)، وأحمد في المسند، (١١/ ٣٢) رقم(٦٤٩٢)، من حديث ابن عمرو -رضي الله عنه-ما.

وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٨٤٠)، قال: كما ورد في الحديث الصحيح: "إن في الجنة مائة درجة، ما بين الدرجتين ...الحديث"، أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، (٣/ ١٠٢٨) رقم(٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٩٥٨)، قال: كما في الحديث الصحيح: (إن العبد ليتصدق بالتمرة ... الحديث)، أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب، (٢/ ٥١١) رقم(١٣٤٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، (٣/ ٨٥) رقم(٢٣٠٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٩٧)، قال: فقال رسول الله ﷺ: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته" أو كما قال، أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة في السفر، (٢/ ١٤٣) رقم(١٥١٩)، من حديث عمر ﷺ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٣١٠)، قال: وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ (أن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة)، أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال مائة إلا واحدة أو ثنتين، (٢/ ٩٨١) رقم(٢٥٨٥)، ومسلم، كتاب الدعوات، بَابٌ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، (٨/ ٦٣) رقم(٦٩٠٨)،، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٣٩١)، {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} قال: والمراد بذلك: الصغائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، مثل قوله: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر"، أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، (١/ ١٤٣) رقم(٤٧٠).

المطلب الثاني

نقل الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث بمعناه

كان الشيخ -رحمه الله- على عادة بعض المفسرين- ينقل الحديث في بعض المواضع بمعناه، والسبب في ذلك فيما أظن اعتماده على ذاكرته.

فعند تفسير قوله تعالى﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال: «أي: يجعل ما بخلوا به طوقا في أعناقهم، يعذبون به»، كما ورد في الحديث الصحيح، «إن البخيل يمثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع، له زبيبتان، يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك، أنا كنزك» وتلا رسول الله ﷺ مصداق ذلك، هذه الآية[1].

استدل الشيخ في هذا الموضع بالحديث المشهور، ولكنه رواه بالمعنى رغم ذكره له بتمامه.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: ١١]، قال: «لما ذكر فيما تقدم، تعظيم الرمي بالزنا عموما، صار ذلك

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٥٨)، ونص الرواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، (٢/ ٥٠٨) رقم(١٣٣٨).

كأنه مقدمة لهذه القصة، التي وقعت على أشرف النساء، أم المؤمنين -رضي الله عنه-ا، وهذه الآيات، نزلت في قصة الإفك المشهورة، الثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد، وحاصلها أن النبي ﷺ، في بعض غزواته، ومعه زوجته عائشة الصديقة بنت الصديق، فانقطع عقدها فانحبست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها، فلم يفقدوها، ثم استقل الجيش راحلا وجاءت مكانهم، وعلمت أنهم إذا فقدوها، رجعوا إليها فاستمروا في مسيرهم، وكان صفوان بن المعطل السلمي، من أفاضل الصحابة ﷺ، قد عرس في أخريات القوم ونام، فرأى عائشة -رضي الله عنه-ا فعرفها، فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعد ما نزل الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي ﷺ، في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول ﷺ. وبلغ الخبر عائشة بعد ذلك بمدة، فحزنت حزنا شديدا، فأنزل الله تعالى براءتها في هذه الآيات، ووعظ الله المؤمنين، وأعظم ذلك، ووصاهم بالوصايا النافعة[1].

فهنا ذكر الشيخ -رحمه الله- قصة الإفك المشهورة بمعناها، ولكنه أشار إلى وجودها في الصحاح والمسانيد والسنن، فكأنه ذكر معناها واختصرها؛ لشهرتها.

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٦٣)، والحديث مطولًا أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، (٢/ ٩٤٢) رقم(٢٥١٨)، وفي كتاب المغازي، باب حديث الإفك، (٤/ ١٥١٧) رقم(٣٩١٠)، ومسلم، كتاب التوبة، بَابٌ فِي حَدِيثِ الإِفْكِ، (٨/ ١١٢) رقم(٧١٢٠)، من حديث عائشة -رضي الله عنه-ا.

وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٨]، «وهذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين يقال له «ثعلبة» جاء إلى النبي ﷺ، وسأله أن يدعو الله له، أن يعطيه الله من فضله، وأنه إن أعطاه، ليتصدقن، ويصل الرحم، ويعين على النوائب، فدعا له النبي ﷺ، فكان له غنم، فلم تزل تتنامى، حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر إلا بعض الصلوات الخمس، ثم أبعد، فكان لا يحضر إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت فأبعد بها، فكان لا يحضر جمعة ولا جماعة، ففقده النبي ﷺ، فأخبر بحاله، فبعث من يأخذ الصدقات من أهلها، فمروا على ثعلبة، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فلما لم يعطهم جاءوا فأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة» ثلاثا، فلما نزلت هذه الآية فيه، وفي أمثاله، ذهب بها بعض أهله فبلغه إياها، فجاء بزكاته، فلم يقبلها النبي ﷺ، ثم جاء بها لأبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ فلم يقبلها، ثم جاء بها بعد أبي بكر لعمر فلم يقبلها، فيقال: إنه هلك في زمن عثمان[1]، ذكر الشيخ -رحمه الله-

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٣٤٥)، وقصة ثعلبة أخرجها الطبراني = = في المعجم الكبير، (٨/ ٢١٨) رقم(٧٨٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٦/ ١٩٨) رقم(٤٠٤٨)، وقال: «وَفِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ نَظَرٌ، وَهُوَ مَشْهُورٌ فِيمَا بَيْنَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ»، وقال الشيخ الألباني: «قلت: وهذا حديث منكر على شهرته، وآفته علي بن يزيد هذا، وهو الألهاني متروك، ومعان لين الحديث». (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، (٤/ ١١٢).

هذا وقد أشار إلى ضعف القصة كثير من الأئمة، بل ومن المفسرين.

قال القرطبي: «وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان؛ حسب ما يأتي بيانه في أول الممتحنة فما روي عنه غير صحيح. قال أبو عمر: ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح، والله أعلم. وقال الضحاك: إن الآية نزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير». (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٨/ ٢١٠). =

قصة ثعلبة الضعيفة متابعاً في ذلك جمهور المفسرين، وقد تبين أن القصة ضعيفة، وعلى فرض ثبوتها فإن المراد بها ثعلبة آخر غير المشهور، فالمشهور مات بأحد.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠] قال: "وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه فعددها عليه، ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: "يا رب إن لي سيئات لا أراها هاهنا" والله أعلم"[1].

وفي هذا الموضع أيضاً ذكر الرواية الصحيحة بالمعنى، ولا غضاضة على الشيخ -رحمه الله- في روايته لبعض الأحاديث بالمعنى؛ لأنه أوتي من ينابيع اللغة ما يعرف ما يحيل المعنى أو يغيره.

= وقال الحافظ ابن حجر: «وفي كون صاحب هذه القصة- إن صحّ الخبر ولا أظنه يصحّ- هو البدري المذكور قبله- نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما يقول ابن الكلبيّ: إن البدريّ استشهد بأحد، ويقوّي ذلك أيضا أن ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عبّاس في الآية المذكورة. (الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (١/ ٥١٦).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٨٧)، ونص الحديث: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا= =مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَا هُنَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ"، أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان من يخرج من النار، (١/ ١٢١) رقم(٣٨٦).

المطلب الثالث اختصار الشيخ السعدي -رحمه الله- الحديث، والاكتفاء بالشاهد منه

في بعض الأحيان كان الشيخ -رحمه الله- يكتفي عند استدلاله بحديث في تفسيره للآيات بالإشارة إلى الحديث مكتفياً بموضع الشاهد.

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤] قال: "من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال النبي ﷺ: "إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة» الحديث»[1].

فهنا ذكر اكتفى بموضع الشاهد الذي يفي بمطلوب التفسير، وهذا نمط ونهج انتهجه حتى كبار المحدثين مثل الإمام البخاري الذي كان يقطع الحديث في أكثر من موضع.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٠٢)، والحديث أخرجه مسلم، كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (٢/ ٦٩٧) رقم(١٠٠٦)، وهذا نصه عن أبي ذر ﷺ أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: "أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ مِنْهُ؟ إِنَّ كُلَّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلَّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلَّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلَّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ - أَوْ قَالَ: فِي مُبَاضَعَةِ أَحَدِكُمْ أَهْلَهُ صَدَقَةٌ - " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ يَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ، أَكَانَ عَلَيْهَا فِيهَا وِزْرٌ؟ "فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ".

حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النور: ٢٧]، قال: وصفة ذلك، ما جاء في الحديث: « السلام عليكم، أأدخل »؟[1]، وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩] في الحديث الصحيح: "لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات"[2].

وفي هذا الموضع أشار إلى حديث طويل في الصحيحين مكتفياً بموضع الشاهد من الحديث.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩] قال: وفي الصحيحين عن أنس، أن النبي ﷺ اعتمر أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، فذكر منهن عمرة الحديبية، وكان معه ألف وخمسمائة،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٦٥)، ونص الحديث: عَنْ رِبْعِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِى عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ وَهُوَ فِى بَيْتٍ فَقَالَ أَلِجُ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ لِخَادِمِهِ " اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ فَقُلْ لَهُ قُلِ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ ". فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ فَدَخَلَ، أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان؟، (٤/ ٥١٠) رقم(٥١٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم الليلة، باب كيف يستأذن؟، (٩/ ١٢٦) رقم(١٠٠٧٥)، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، (٢/ ٤٦١) رقم(٨١٨).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٧٠٥)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥]، (٣/ ١٢٢٥) رقم(٣١٧٩)، ومسلم، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ، (٧/ ٩٨) رقم(٦٢٢١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هكذا في الصحيحين عن جابر، وعنه فيهما: «كانوا ألفا وأربعمائة»[1].

وفي هذا الموضع ذكر عدد الصحابة الذين كانوا في صلح الحديبية أو بيعة الرضوان، مكتفياً بجزء من الحديث الطويل.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ﴾ [النساء: ١١] قال: "لكنه قد ثبت في السنن عن المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة أن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس، مع إجماع العلماء على ذلك»[2].

في هذا الموضع وفي غيره من المواضع كان الشيخ -رحمه الله- يأخذ من الرواية ما يفسر به الآية، أو ما يشير إلى المعنى المراد من الآية، وكما أسلفت هذا منهج درج عليه كثير من المحدثين.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٧٩٦)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب كم اعتمر النبي ﷺ، (٢/ ٦٣١) رقم(١٦٨٨)، ومسلم، كتاب الحج، بَابُ بَيَانِ عَدَدِ عُمَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَزَمَانِهِنَّ، (٤/ ٦٠) رقم(٣٠٠٨)، من حديث أنس ﷺ.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٦٦)، أخرجه أبو داود، كتاب الفرائض، باب في الجدة، (٣/ ٨١) رقم(٢٨٩٦)، والترمذي، كتاب الفراض، باب ميراث الجدة، (٤/ ٤١٩) رقم(٢١٠٠)، وابن ماجه، كتاب الفراض، باب ميراث الجدة، (٢/ ٩٠٩) رقم(٢٧٢٤)، وأحمد في المسند، (٢٩/ ٤٩٣) رقم(١٧٩٧٨)، من حديث محمد بن مسلمة، ﷺ.

المطلب الرابع: الإشارة إلى الحديث دون ذكره

كان الشيخ في بعض الأحيان ينهج نهج الاختصار، فيلمح إلماحاً، ويشير إشارة إلى الحديث؛ لاشتهاره وانتشاره، فيكتفي بالإشارة إلى الحديث دون ذكر اللفظ أو المعنى.

فعند تفسير آية الكرسي قال: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحاً ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات[1]، وقال: «أخبر ﷺ أن هذه الآية أعظم آيات القرآن، لما احتوت عليه من معاني التوحيد والعظمة، وسعة الصفات

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١١٠)،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزَكَاةِ رَمَضَانَ، فَكُنْتُ أَحْفَظُهَا فَأَتَانِي آتٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ « فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي إِطْلَاقِهِ وَعَوْدِهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ إِلَى أَنْ قَالَ: قُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: « دَعْنِي، فَإِنِّي لَا أَعُودُ، وَأُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ فِرَاشَكَ فَاقْرَأْ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَهَا [ص:٥٤] فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، أَتَدْرِي مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " ذَاكَ شَيْطَانٌ "

أخرجه البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، (٢/ ٨١٢) رقم(٢١٨٧)، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وأعوانه، (٣/ ١١٩٤) رقم(٣١٠١)، وفي كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، (٤/ ١٩١٤) رقم(٤٧٢٣).

للباري تعالى»[1].

فهنا أشار إلى الحديث دون ذكرها، وهذا في الغالب يكون نظراً لاشتهار الحديث عند الخاصة والعامة.

وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النساء: ٢٥]، قال: ولعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنوب عباده كما ورد بذلك الحديث[2]، وحكم العبد الذكر في الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بينهما[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٩٥٣).

(٢) نص الحديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ.

أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، (١/ ١٥) رقم(١٨)، ومسلم، كتاب الحدود والديات، بَابُ الْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لأَهْلِهَا، (٥/ ١٢٦) رقم(٤٤٨١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٧٥).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، فَمَنْ = = وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ

وكذا هنا أشار إلى رواية «الحدود كفارات»؛ لأن الحديث مشهور معروف، والمقصود من ذكره هكذا قد حصل.

وعند تفسيره لقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: ٤٣] قال: «بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبثين والتوق؛ لطعام ونحوه كما ورد في ذلك الحديث الصحيح»[1]، وهنا لبيان المعنى الفقهي أعطى إشارة للحديث.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩] ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة[2].

ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، (١/ ١٥) رقم(١٨)، ومسلم، كتاب الحدود والديات، بَابُ الْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لأَهْلِهَا، (٥/ ١٢٦) رقم(٤٤٨١).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٧٩)، نص الحديث عن عَائِشَةَ -رضي الله عنه-ا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلاَ هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ"، أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان، (٢/ ٧٨) رقم(١١٨٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٤١٨)، أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الواقعة، (٤/ ١٨٥١) رقم (٤٥٩٩)، ومسلم، كتاب الجنة، بَابُ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً، (٨/ ١٤٤) رقم(٧٢٣٨)، من حديث أبي هريرة.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٤] بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث[1]، أشار الشيخ هنا إلى أكثر من رواية توضح معنى الآية.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل: ٨]،

«ولم يذكر الأكل لأن البغال والحمر محرم أكلها، والخيل لا تستعمل -في الغالب- للأكل، بل ينهى عن ذبحها لأجل الأكل خوفا من انقطاعها وإلا فقد ثبت

والبخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم، كتاب الجنة، بَابُ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً، (٨/ ١٤٤) رقم(٧٢٤٠)، (٥/ ٢٣٩٨) رقم(٦١٨٦)، من حديث سهل بن سعد، والبخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (٣/ ١١٨٧) رقم (٣٠٧٩)، من حديث أنس.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٤٦٢)، من هذه الأحاديث: حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: "بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا"، أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، (١/ ٦٥) رقم(١٤١)، ومسلم، كتاب النكاح، باب ما يقوله الرجل إذا أتى أهله، (٤/ ١٥٥) رقم(٣٥٢٣)، ومنها حديث ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ"، أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب النهي عن الأكل والشرب بالشمال، (٦/ ١٠٩) رقم(٥٣١٣).

في الصحيحين، أن النبي ﷺ أذن في لحوم الخيل»[1]. وهنا أشار الشيخ -رحمه الله- إلى حديث صحيح.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤]، قال: «جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه»[2].

وهناك نماذج أخرى أشير إليها في الهامش[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٤٣٦)، ومن هذه الروايات ما ثبت عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ، وَأَذِنَ فِي لُحُومِ الْخَيْلِ، أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الخيل، (٥/ ٢١٠١) رقم(٥٢٠١)، ومسلم، كتاب الذبائح، بَابٌ فِي أَكْلِ لُحُومِ الْخَيْلِ، (٦/ ٦٥) رقم(٥٠٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٢١)، والحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ: "مَن أمْسَكَ كلباً فإنَّهُ يَنْقُصُ كلَّ يومٍ من عملهِ قيراطٌ؛ إلا كَلْبَ حرْثٍ، أو ماشيةٍ".، أخرجه البخاري، كتاب المزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث، (٢/ ٨١٧) رقم(٢١٩٧)، ومسلم، كتاب البيوع، باب من اقتنى كلباً، (٥/ ٣٧) رقم(٤٠٣٥)، واللفظ للبخاري. وروي من حديث ابن عمر أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية، (٥/ ٢٠٨٨) رقم(٥١٦٣)، ومسلم، كتاب البيوع، باب من اقتنى كلباً، (٥/ ٣٦) رقم(٤٠٢٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٣٥٤)، قال: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ [التوبة: ١١٨].. وهم: «كعب بن مالك» وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصحاح والسنن. أخرج القصة البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز و جل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ [التوبة: ١١٨]، (٤/ ١٦٠٣) رقم(٤١٥٦)، ومسلم، كتاب التوبة، بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ، (٨/ ١٠٥) رقم(٧١١٦).

فالشيخ -رحمه الله- في كل هذه المواضع يشير إلى الحديث ولا يذكر نصه

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٧١)، قال: «ولا بد من التصريح بالشهادة، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وتومئ إليه هذه الآية لما قال: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النساء: ١٥]. انظر صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما جاء في البينة على المدعي، (٢/ ٩٢٩).

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢١٤)، وقوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩].... راجع إلى عيسى عليه السلام، ...فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة لشرع الله أم لا؟، انظر صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، (٦/ ٢٦٠٥)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، (٨/ ١٩٦) رقم(٧٤٨٣).

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٤٥٣)، قال: «وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في الإسراء، وذكر تفاصيل ما رأى وأنه أسري به إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك إلى السماوات حتى وصل إلى ما فوق السماوات العلي ورأى الجنة والنار، والأنبياء على مراتبهم وفرض عليه الصلوات خمسين، ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم حتى صارت خمسا بالفعل، وخمسين بالأجر والثواب، وحاز من المفاخر تلك الليلة هو وأمته ما لا يعلم مقداره إلا الله ﷻ، أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] (٦/ ٢٧٣٠) رقم(٧٠٧٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى = =السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، (١/ ١٠٢) رقم(٤٣٢).

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٤٧٦)، قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ [فاطر: ٣٣] ودلت الآية الكريمة وما أشبهها، على أن الحلية، عامة للذكور والإناث، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لأنه أطلقها في قوله: (يُحَلَّوْنَ) وكذلك الحرير ونحوه»، قلت: من هذه الأحاديث ما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ: تلا قول الله ﷻ: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ [فاطر: ٣٣] فقال: «إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب" أخرجه الحاكم في

ولا معناه، وإنما يكتفي بالإشارة إلى الرواية، وهذا في الغالب مرده إلى اشتهار الرواية، وحصول المقصود من هذا الذكر المجمل للرواية.

المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، (٢/ ٤٦٢) رقم(٣٥٩٤)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

المبحث الثاني

صور التفسير النبوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-

تنوعت صور التفسير النبوي عند الشيخ السعدي -رحمه الله-، فاستدل بالأحاديث على أسباب نزول بعض الآيات، كما استعان بالأحاديث لتفسير بعض الكلمات، وبيان المجمل... الخ، وسأورد في هذا المبحث بعض الصور.

المطلب الأول: ذكر سبب نزول

كان الشيخ السعدي -رحمه الله- على دراية بأهمية أسباب النزول في فهم معاني كثير من الآيات؛ لذلك ذكر جملة من الآثار الواردة في أسباب نزول بعض الآيات، واعتمد عليها في تفسير تلك الآيات وتقرير معانيها.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة: ٨٤]، قال: «وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج - وهم الأنصار - كانوا قبل مبعث النبي ﷺ مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة، فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا»[1]، فذكر الشيخ -رحمه الله- سبب نزول الآية معتمداً على كتب التفسير

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٨)، وانظر سبب النزول: جامع البيان،

والحديث.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. قال: «هذا جواب سؤال، سأل النبي ﷺ بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل[1]، وهنا استدل بالحديث الذي بين سبب نزول الآية.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء: ١١٣].

قال: «ذكر المفسرون أن سبب نزولها: أن أهل بيت سرقوا في المدينة، فلما اطلع على سرقتهم خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقتهم فرموها ببيت من هو بريء من ذلك، واستعان السارق بقومه أن يأتوا رسول الله ﷺ ويطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم على رءوس الناس، وقالوا: إنه لم يسرق وإنما الذي سرق من وجدت السرقة ببيته وهو البريء. فهَمَّ رسول الله ﷺ أن يبرئ صاحبهم، فأنزل الله هذه الآيات تذكيراً

الطبري، (٢/ ٣٠٥) رقم(١٤٧١)، عن ابن عباس، وله شاهد عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَظُنُّهُ عَنْ أَبِيهِ، أخرجه الطبراني المعجم الكبير، (١٩/ ٧٦) رقم(١٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجزية، باب مَنْ لاَ تُؤْخَذُ مِنْهُ الْجِزْيَةُ مِنْ أَهْلِ الأَوْثَانِ، (٩/ ١٨٣) رقم(١٩٠٩٩)، وإسناده حسن. (الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت ياسين، (١/ ١٩٠).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٨٧)، والحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة، (٢/ ٥٣٥)، وابن أبي حاتم في التفسير، (١/ ٣١٤) رقم(١٦٦٧)، وابن حبان في الثقات، (٨/ ٤٣٦)رقم(١٤٢٨٩)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف، (٣/ ١٤٣٦)، من حديث الصلت بن الحكيم عن أبيه عن جده، وقال ابن القيسراني: «غَرِيب تفرد بِهِ جرير بن عبد الحميد عَن عَبدة بن أبي بَرزَة السجسْتانِي عَن الصَّلْت». أطراف الغرائب والأفراد، ابن القيسراني، (٤/ ٣٥٤).

وتبيينـاً لتلك الواقعة وتحذيراً للرسول ﷺ من المخاصمة عن الخائنين، فإن المخاصمة عن المبطل من الضلال»[1]، وهناك نماذج أشير إليها في الهامش[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٠١)، والحديث أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء، (٥/ ٢٤٤) رقم(٣٠٣٦)، وقال: «غريب لا نعلم أحدا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني» والطبراني في المعجم الكبير، (١٩/ ٩) رقم(١٥)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الحدود، (٤/ ٤٢٦) رقم(٨١٦٤)، وقال صحيح على شرط مسلم.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٥٨)، قال: «وفي قوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٢] قال: «وكان سبب نزول هذه الآيات، أن أناسا [من قريش، أو] من أجلاف العرب قالوا للنبي ﷺ: إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلانا وفلانا، أناسا من فقراء الصحابة، فإنا نستحيي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء، فحمله حبه لإسلامهم، واتباعهم له، فحدثته نفسه بذلك. فعاتبه الله بهذه الآية ونحوها، أخرجه مختصراً مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، (٧/ ١٢٧) رقم(٦٣١٩)، وفي (٧/ ١٢٧) رقم(٦٣٢٠)، من حديث سعد -رضي الله عنه-.

وانظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٧١)، قال: "سبب نزول الآية ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢١].. فإن المشركين -حين سمعوا تحريم الله =
=ورسوله الميتة، وتحليله للمذكاة، وكانوا يستحلون أكل الميتة- قالوا -معاندة لله ورسوله، ومجادلة بغير حجة ولا برهان- أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون بذلك: الميتة.

أخرجه أبو داود، كتاب الضحايا، باب فِي ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ، (١٣) (٣/ ٥٩) رقم(٢٨٢١) والترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنعام، (٥/ ٢٦٣) رقم(٣٠٦٩)، وقال: «حسن غريب».

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٦٦٥)، قال: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]"، وكان سبب نزول هذه الآيات، =

من خلال عرض ما سبق تظهر أهمية ربط الأحاديث بأسباب النزول، فمن

= أن الله تعالى أراد أن يشرع شرعًا عامًا للمؤمنين، أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، من جميع الوجوه وأن أزواجهم، لا جناح على من تبناهم، في نكاحهن، وكان هذا من الأمور المعتادة، التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولا من رسوله، وفعلا وإذا أراد الله أمرًا، جعل له سببًا، وكان زيد بن حارثة يدعى "زيد بن محمد" قد تبناه النبي ﷺ، فصار يدعى إليه حتى نزل {ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ} فقيل له: "زيد بن حارثة"، وكانت تحته، زينب بنت جحش، ابنة عمة رسول الله ﷺ، وكان قد وقع في قلب الرسول، لو طلقها زيد، لتزوَّجها، فقدر الله أن يكون بينها وبين زيد، ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي ﷺ في فراقها، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء [هود:٧]، وهو رب العرش العظيم [التوبة: ١٢٩]، (٦/ ٢٦٩٩) رقم(٦٩٨٤)، عن أنس ﷺ، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، (١/ ١١٠) رقم(٣٥٩)، عن عائشة -رضي الله عنه-.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٨٥٤)، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١]، ذكر كثير من المفسرين، [رحمهم الله]، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح، فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ليتخذ بذلك يدا عندهم لا شكا ونفاقا، وأرسله مع امرأة، فأخبر النبي ﷺ بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب، وعاتب حاطبا، فاعتذر ﷺ بعذر قبله النبي ﷺ.

قصة حاطب في صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، (٣/ ١٠٩٥) رقم(٢٨٤٥)، وفي كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، (٤/ ١٤٦٣) رقم(٣٧٦٢)، وفي باب غزوة الفتح، (٤/ ١٥٥٧) رقم(٤٠٢٥)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، بَابُ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ y، (٧/ ١٦٧) رقم(٦٤٨٥)، من حديث علي -رضي الله عنه-.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٩١٠)، قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس: ١ - ١٠] قال: "وسبب

خلالـه يعـرف الزمان والمكان لذلـك الحدث، ويمكن أن يفهـم موضوع الآية من خلاله، لذا أكثر الشيخ -رحمه الله- من النقل في مثل هذه الصورة.

المطلب الثاني: بيان المعنى

الأصل في ذكره الأحاديث بيان المعاني المراده من كلام الله كما فسرها رسوله ﷺ، ومـن الملاحـظ أن من الأحاديـث ما يكون تفسـيراً لآية، مع أنه لـم يرد على أنه تفسـير للآية صراحة، ولكنه يصلح لتفسـيرها، وهذا من باب الاجتهاد في الربط والتوفيق بين معنى الآية ومعنى الحديث، وهذا ما فعله الشيخ السعدي -رحمه الله-.

ومـن ذلك قوله في تفسـير قوله تعالـى﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قال: «وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن المراد ببعض آيات الله طلوع الشـمس من مغربها وأن الناس إذا رأوها آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم ويُغلق حينئذ بابُ التوبة»[1]، فقد استدل الشيخ هنا بالأحاديث لبيان المراد من الآية.

نزول هذه الآيات الكريمات، أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسـأل النبي ﷺ ويتعلم منه، وجاءه رجـل من الأغنيـاء، وكان ﷺ حريصا على هداية الخلق، فمال ﷺ [وأصغى] إلى الغني، وصد عن الأعمـى الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعـا في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف، أخرجه الترمذي، كتاب التفسـير، باب ومن سورة عبس، (٥/ ٤٣٢) رقم(٣٣٣١)، وقال: "حسن غريب"، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، (٢/ ٥٥٨) رقم(٣٨٩٦)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي، من حديث عائشة -رضي الله عنه-ا.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٨٢)، انظر: صحيح البخاري، كتاب

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٦]. قال: "ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة، ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال عن الله تعالى أنه قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من أشرك معي شيئا تركته وشركه»[1]، ففيها نصّ على معنى الآية أو معنى متّصل بالآية، وهذه الروايات بينت معاني بعض الآيات لذا فسر الشيخ -رحمه الله- الآيات بالمعاني الواردة في الروايات.

المطلب الثالث: تقرير الحكم الشرعي

ترد في الآيات أحكاماً، فتأتي السنة النبوية بمزيد بيان، أو عام أو غير ذلك، وهذا ما انتهجه الشيخ -رحمه الله-، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال: ١٦]، وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد[2]، فالحديث هنا قرر الحكم الشرعي الموجود في الآية.

التفسير، باب سورة الأنعام، (٤/ ١٦٩٧) رقم(٤٣٦٠)، والترمذي، كتاب التفسير، باب سورة الأنعام، (٥/ ٢٦٤) رقم(٣٠٧١).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٧٥)، أخرجه مسلم، كتاب الرقاق، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ، (٨/ ٢٢٣) رقم(٧٥٨٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٣١٧)، أخرجه: البخاري، كتاب

المطلب الرابع: تخصيص العام

من صور تفسير الشيخ -رحمه الله- تخصيص المعنى العام، قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾ [النور: ٢]: «هذا الحكم في الزاني والزانية البكرين، أنهما يجلد كل منهما مائة جلدة، وأما الثيب، فقد دلت السنة الصحيحة المشهورة، أن حده الرجم»[1].

هذه نماذج من الصور التي جاءت في تفسير الشيخ السعدي -رحمه الله-، والتي تبرز أن الشيخ -رحمه الله- اهتم بالسنة النبوية في تفسيره.

الوصايا، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾ [النساء: ١٠] رقم(٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، (١/ ٨٧) رقم(٩٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٦١)، صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥ ﴾ [المائدة: ٤٥]، (٦/ ٢٥٢١) رقم(٦٤٨٤)، ومسلم، كتاب الحدود والديات، بَابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ، (٥/ ١٠٦) رقم(٤٣٩٠)، عن ابن مسعود ﷺ.

المبحث الثالث: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد برويات الصحابة والتابعين

١. لم يكثر الشيخ السعدي -رحمه الله- من الآثار أعني روايات الصحابة والتابعين في كتابه، ورغم قلة المنقول إلا انتهج منهجاً في هذا النقل وهو أنه لا يستدل بها إلا نادراً، وذلك أنه رحمه إذا لم يجد في الأحاديث المرفوعة ما يربطه بالآية ويفسره بها فإنه يذهب إلى والآثار، وسأعرج على ذلك من خلال الآتي:

المطلب الأول: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد برويات الصحابة

قال عند تفسير قوله تعالي: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[النساء: ١٢].

أي: من أم، كما هي في بعض القراءات. وأجمع العلماء على أن المراد بالإخوة هنا الإخوة للأم، فإذا كان يورث كلالة أي: ليس للميت والد ولا ولد أي: لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابن ابن ولا بنت ولا بنت ابن وإن نزلوا. وهذه هي الكلالة كما فسرها بذلك أبو بكر الصديق ﷺ[1]،

---

(١) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَنِ الْكَلَالَةِ فَقَالَ: إِنِّي سَأَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي فَإِنْ يَكُ صَوَابًا فَمِنَ اللهِ وَإِنْ يَكُ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ أُرَاهُ مَا خَلاَ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ ﷺ قَالَ: إِنِّي لأَسْتَحْيِي اللهَ أَنْ أَرُدَّ شَيْئًا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ". الدارمي، كتاب الفراض، باب الكلالة، (١/ ٢٢١) رقم(٣٠١٥)، وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب الفرائض، باب الكلالة، (١٠/ ٣٠٤) رقم(١٩١٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفرائض، باب في الكلالة من هم؟، (٦/ ٢٩٨) رقم(٣١٦٠٠)، والبغوي في شرح السنة، كتاب الفرائض، باب ميراث الأخوة، (٨/ ٣٣٨)، وهو سنده رجاله ثقات، إلا أنه ضعيف =

وقد حصل على ذلك الاتفاق ولله الحمد[1].

فالشيخ استعان بتفسير أبي بكر -رضي الله عنه-، ذلك أنه -رحمه الله- لم يجد في لأحاديث المرفوعة ما يستدل به، كما استدل بقول عمر -رضي الله عنه- في الموضع الآتي:

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٩]. قال: «لما نزلت، قال عمر ﷺ: انتهينا انتهينا»[2].

= للانقطاع بين الشعبي وبين أبي بكر وعمر، فالشعبي تقدم في الحديث أنه ولد سنة تسع عشرة وقيل بعد ذلك، وأنه لم يدرك أبا بكر، وهذا يقتضي أن يكون صغيرًا أيام عمر وأنه لم يسمع منه. (التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد (٣/ ١١٨٦).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٩٨).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ عُمَرُ اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِى الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِى فِى الْبَقَرَةِ ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ ﴾ [البقرة: ٢١٩] الآيَةَ قَالَ: فَدُعِىَ عُمَرُ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِى الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِى فِى النِّسَاءِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء: ٤٣] فَكَانَ مُنَادِى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ يُنَادِى أَلاَ لاَ يَقْرَبَنَّ الصَّلاَةَ سَكْرَانُ فَدُعِىَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِى الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) قَالَ عُمَرُ انْتَهَيْنَا، أخرجه أبو داود، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر، (٣/ ٣٦٤) رقم(٣٦٧٢)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة، (٥/ ٢٥٣) رقم(٣٠٤٩)، والنسائي، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، (٨/ ٦٨١)، وأحمد في المسند، (١/ ٤٤٢) رقم(٣٧٨)، وقال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح".

ما ذكره الشيخ -رحمه الله- يعد من النماذج القليلة التي وضعها صراحة في كتابه، وإلا فقد افاد الشيخ في مواضع كثيرة من تفاسير الصحابة والتابعين دون تصريح باسم الصحابي أو التابعي.

ثانيًا: التابعون

لم يكثر الشيخ -رحمه الله- أيضًا من النقل عن التابعين، والسبب أن أكثر ما ينقل عن الصحابة التابعين لم يلق العناية التي وجهت إلى الأحاديث النبوية، ومن هذه المواضع التي نقلها:

قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة[1]، قال: ي-رحمه الله- وهم، وهو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة[2]، قلت: وقد صح عن جابر القولان، وصح عنه أنهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، فقيل له: كم كنتم؟ قال: ألفا وأربعمائة، بخيلنا ورجلنا، يعني: فارسهم وراجلهم[3].

والقلب إلى هذا أميل، وهو قول البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن

---

(١) صحيح البخاري كتاب المعازي، باب غزة الحديبية، (٤/ ١٥٢٦) رقم(٣٩٢٢)، دلائل النبوة، البيهقي، (٤/ ٩٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣/ ١٣١٠) رقم(٣٣٨٣)، وكتاب المعازي، باب غزة الحديبية، (٤/ ١٥٢٦) رقم(٣٩٢١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٧٩٦).

انظر: مسند أبي داود الطيالسي (٢/ ١٦٢) رقم(٨٥٨) والسنن الكبرى للبيهقي، كتاب الحج، باب الاشتراك في الهدي، (٥/ ٢٣٥) رقم(١٠٥٠٠)، مستخرج أبي عوانة (٤/ ٤٢٩) رقم(٧٢٠٢).

الأكوع[1]، في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حزن، قال شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ألفا وأربعمائة، وغلط غلطا بينا من قال: كانوا سبعمائة[2]، وعذره أنهم نحروا يومئذ سبعين بدنة، والبدنة قد جاء إجزاؤها عن سبعة أو عشرة، وهذا لا يدل على ما قاله هذا القائل، فإنه قد صرح بأن البدنة كانت في هذه الغزوة عن سبعة، فلو كانت السبعون عن جميعهم، لكانوا أربعمائة وتسعين رجلا وقد قال بتمام الحديث بعينه، أنهم كانوا ألفا وأربعمائة[3].

وقال نافع: كانت سنة ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم[4].

افاد الشيخ -رحمه الله- من أقوال التابعين رغم قلة وجود ذلك في كتابه لكن يمكن القول بأنه موجود بندرة، ولم يصرح بما نقله عنهم في مواضع كثيرة، واكتفى بالنقل.

---

(١) صحيح مسلم، أبواب الهجرة، (٦/ ٢٦) رقم(٤٨٤٨).

(٢) مسند أحمد (٣١/ ٢١٢) رقم(١٨٩١٠)، صحيح ابن خزيمة (٤/ ٢٩٠) رقم(٢٩٠٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٧٩٦).انظر في تحديد العدد: «مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة»، حافظ الحكمي، عدد جيش السلمين في غزوة الحديبية، (ص: ٣٩)، قلت: وقد جاء في الصحيحين عن عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ الشَّجَرَةِ أَلْفًا وَثَلاَثَ مِئَةٍ، وَكَانَتْ أَسْلَمُ ثُمْنَ الْمُهَاجِرِينَ»، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (٤/ ١٥٢٦) رقم(٣٩٢٤)، صحيح مسلم، كتاب الهجرة، (٦/ ٢٦) رقم(٤٨٤٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٧٩٦).

انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٨)، ومغازي الواقدي (١/ ٣٨٣)، والطبقات الكبرى، ابن سعد، (٢/ ٩٥)، والبداية والنهاية، ابن كثير، (٤/ ١٦٤)، وقال البيهقي بعد ذكره لتاريخ الغزوة بأنها كانت سنة ست في ذي القعدة: قلت: «هذا هو الصحيح، وإليه ذهب الزهري وقتادة، وموسى ابن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم، واختلف فيه على عروة بن الزبير. دلائل النبوة، البيهقي (٤/ ٩١).

المبحث الرابع: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في عزو الحديث وذكر درجته

على منهج أهل العصر سار الشيخ عند عزوه للأحاديث وذكر درجتها، وسيظهر ذلك من خلال الآتي:

المطلب الأول: منهجه في عزو الحديث

منهج الشيخ -رحمه الله- في العزو أنه لا يهتم بالعزو بقدر اهتمامه بصحة الحديث، وفي الأمثلة السالفة الذكر في البحث، والأمثلة في هذا المبحث ما يدل على عدم عزوه، ثم إنه -رحمه الله- إن عزا فإنه يعزو إلى:

أولاً: العزو إلى الصحيحين.

فيقول: في «الصحيحين»[1].

ثانياً: العزو إلى صحيح البخاري.

فقال: «في صحيح البخاري»[2].

ثالثاً: العزو إلى السنن.

فيقول: «في السنن»[3]، قلت: «ويقصد بهم أصحاب السنن الأربعة».

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٩٥)، (ص: ٣٤٥)، (ص: ٤٣٦)، (ص: ٧٩٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٦٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٦٦).

رابعاً: العزو إلى الصحاح والسنن.

فيقول: «في الصحاح والسنن»[1].

خامساً: العزو إلى الصحاح والسنن والمسانيد.

فيقول: «في الصحاح والسنن والمسانيد»[2].

من الملاحظ أن الشيخ -رحمه الله- اعتمد العزو الإجمالي، ولم يذكر العزو التفصيلي قط اللهم إلا ما عزاه إلى صحيح البخاري، وقد كان هذا منهجاً متبعاً في ذلك الوقت سار عليه معظم العلماء.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٣٥٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٦٣).

المطلب الثاني

المصطلحات التي استعملها عند نقله للحديث

استخدم الشيخ -رحمه الله- بعض المصطلحات التي تفيد صحة الحديث، وذلك لأن من منهجه الاعتماد على الصحيح، وترك ما عداه، ومن هذه العبارات.

(١) استخدامه لمصطلح (ثبت في الصحيحين)[١].

(٢) استخدامه لمصطلح (ما ثبت في الصحيح)[٢].

(٣) استخدامه لمصطلح (كما ورد في الحديث الصحيح)[٣].

(٤) استخدامه لمصطلح (ثبت في السنن)[٤].

(٥) استخدامه لمصطلح (الحديث الثابت)[٥].

(٦) استخدامه لمصطلح (ذكر)[٦].

(٧) استخدامه لمصطلح (صح عنه)[٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٤٣٦).

(٢)) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٧٥)، (ص: ٣١٠)، (ص: ٤٥٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٥٨)، (ص: ٢٢١)، (ص: ٢٢٩)، (ص: ٥٠١)، (ص: ٨٤٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٦٦).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٦٦)، (ص: ١٨٨)، (ص: ١٩٥)، (ص: ٣٤٥)، (ص: ٥٧٥).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٤٢)، (ص: ٩٠)، (ص: ١٨٨).

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٩٨)، (ص: ٧٩٦).

مـن الملاحظ أن عبارات الشـيخ جاءت في مجملها تـدل على صحة الحديث وثبوته، وهذا يدل دلالة واضحة أن الشـيخ لا يكاد يعتمـد الروايات الضعيفة، فلله دره من مفسر عظم خيره وعم نفعه، ترك الروايات التي رأى ضعفها.

المبحث الخامس: منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في الاستشهاد بالإسرائيليات

معنى الإسرائيليات ما أخذ من ثقافة بني إسرائيل، أو ما هو موجود في كتبهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم، وقد أصابت هذه الآفة - للأسف - كثير من كتب التفسير، وامتلأت بها بطون الكتب، ولكن ما موقف الشيخ السعدي -رحمه الله- من هذه الإسرائيليات؟ هذا ما سنراه في هذا المبحث إن شاء الله.

المطلب الأول

موقف الشيخ -رحمه الله- من رواية الإسرائيليات[1]

كان موقف الشيخ السعدي واضحًا في رفضه الروايات الإسرائيلية التي ذكرها المفسرون في كتبهم دون التنبيه على بطلانها، وبخاصة تلك الروايات التي فيها من الغرائب والعجائب والخرافات ما لا يصدّقه عقل، أو يقر به نظر صحيح، أو تخالف ما هو ثابت في شريعتنا، ومن ثم أنكر على أولئك المفسرين الذين أفسحوا المجال لتلك الروايات دون نقد أو تمحيص.

وقد أبان الشيخ -رحمه الله- عن منهجه في التعامل مع الإسرائليات في تفسيره،

(١) لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودى للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أنّا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فنريد به ما يعم اللون اليهودى واللون النصرانى للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية.

وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ «الإسرائيليات»، من باب التغليب للجانب اليهودى على الجانب النصرانى، فإن الجانب اليهودى هو الذى اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالَم ودخل الناس فى دين الله أفواجاً. (التفسير والمفسرون، الذهبي، (١/ ١٢١).

عند تعرضه للكلام على قصة ذبح البقرة.

قال -رحمه الله-: «واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله ﷺ: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »[1].

والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله ﷺ، وذلك أن مرتبتها كما قال ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»[2] فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق»[3].

والشيخ -رحمه الله- وإن أجاز النقل فلم يجز وضعها في التفسير، ذلك أن هذه الإسرائيليات مشكوك فيه.

وقال في بداية تفسيره لسورة يوسف: «واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ذكر بني إسرائيل، (٣/ ١٢٧٥) رقم(٣٢٧٤)، عن ابن عمرو -رضي الله عنه-ما.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، (٤/ ١٦٣٠) رقم(٤٢١٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٥٥).

فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحا، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير، فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي ﷺ ينقل»[1]، وفي هذا الموضع جعل الزيادة التي ترد عن طريق الإسرئيليات من الاستدراك على كلام الله الذي جاء تاماً مفصلاً لا يحتاج إلى مزيد بيان.

وعندما تعرض لقصة ذي القرنين قال: «وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية»[2]، وفي هذا الموضع دعا إلى ترك الإسرئيليات.

وعند تفسيره لقصة إبراهيم في قوله تعالى إني مهاجر إلى ربي سيهدين قال: «فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم [وأحلمهم] وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٣٩٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٤٨٥).

الله ليجري بسببه عذابا عاما»[1]، فأنت ترى أن موقف الشيخ -رحمه الله- من الإسرائيليات أنها لا تنقل مفردة غير مقرونة بدليل ثابت عندنا، ويردها بالمرة إذا لم تصح، لذا قلل الشيخ -رحمه الله- من ذكر الإسرائيليات بل لا تكاد توجد فيه إلا نادراً .

فالشيخ -رحمه الله- كان من الذين تشددوا في النقل من الإسرائيليات، ولكن ترى هل وقع في التفسير بعض من هذه الإسرائيليات أم تجرد من النقل مطلقاً؟.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٦٣٠).

المطلب الثاني: استشهاد الشيخ ببعض الإسرائيليات

استشهد الشيخ -رحمه الله- ببعض الروايات الإسرائيلية على عادة المفسرين لكنه لم يغرق في الاستدلال بها، ولم يذكر الأشياء التي لا تصدقها العقول، وما ورد في كتب الحديث والتفسير.

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]. قال: «أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها[١]».

«هذا التفسير من الإسرائيليات و الصحيح ما جاء في البخاري معلقاً: «يمسح أعراف الخيل وعراقيبها»[٢].

قال الشيخ الألباني: «وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله ﷺ لم يكن - إن شاء الله - ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها»[٣].

وعلى الرغم من عدم تصريح الشيخ بأن النقل عن ابن عباس -رضي الله عنه- ما إلا أنه ثابت عنه.

(٢) قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: ٣٤]. أي: شيطانا قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٧١٣)، وهذا تفسير ابن عباس كما أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ١٠٨) رقم(٦٩٩٧)، وقال الشيخ الألباني: « منكر»، (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، (١٤/ ٩٠٣).

(٢) صحيح البخاري، (٣/ ١٢٥٨).

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، (١٤/ ٩٠٥).

في مدة فتنة سليمان، (ثُمَّ أَنَابَ) سليمان إلى الله تعالى وتاب.[1].

«وهـذه من الإسـرائيليات بل ثبـت في الصحيحين من حديث أَبِـي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ سُـلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِـيُّ اللهِ: لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَـبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلاَمٍ يُقَاتِلُ فِي سَـبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ، أَوِ الْمَلَكُ،: قُلْ: إِنْ شَـاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلاَّ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلاَمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ»[2].

وهـو واضـح أن الله - جل وعلا - ابتلاه بشـق الولد وهو الجسـد المذكور في الآية الكريمة وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين أخذاً بالحديث وطرحاً للروايات المكذوبة.

قـال الإمام ابن كثير: «إِسْـنَادُهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَوِيٌّ وَلَكِنَّ الظَّاهِـرَ أَنَّهُ إِنَّمَا تَلَقَّاهُ ابْـنُ عَبَّاسٍ -إِنْ صَحَّ عَنْهُ- مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفِيهِمْ طَائِفَةٌ لاَ يَعْتَقِدُونَ نُبُوَّةَ سُـلَيْمَانَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٧١٣).

وهذا التفسـير موجود في المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٤٧١) رقم (٣٦٢٣)، عن ابن عباس -رضي الله عنه- ما، في قوله ﷻ: {وألقينا على كرسـيه جسدا} [ص: ٣٤] قال: " هو الشيطان الذي كان علـى كرسـيه يقضي بيـن الناس أربعين يوما، وكان لسـليمان جارية يقال لها: جـرادة وكان بين بعـض أهلها وبين قومـه خصومة، فقضى بينهم بالحق إلا أنه ود أن الحق لأهلها، فأوحى الله إليه أنه سيصيبك بلاء، وكان لا يدري يأتيه من السماء أو من الأرض.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسـير، باب من طلب الولد للجهاد، (٣/ ١٠٣٨) رقم(٢٦٦٤)، وفي كتـاب الأنبيـاء، ٤١ - بـاب قول اله تعالى { ووهبنا لداود سـليمان نعم العبـد إنه أواب } / ص ٣٠/ . الراجـع المنيـب، (٣/ ١٢٦٠) رقم(٣٢٤٢)، وفي كتاب النـكاح، باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسـائي، (٥/ ٢٠٠٧) رقم(٤٩٤٤)، ومسـلم، كتـاب الأيمان والنذور، بَابُ الاِسْـتِثْنَاءِ، (٥/ ٨٧) رقم(٤٢٩٧).

عَلَيْهِ السَّـ ـلَامُ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ وَلِهَذَا كَانَ فِي السِّـيَاقِ مُنْكَرَاتٌ مِنْ أَشَدِّهَا ذِكْرُ النِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ ذَلِكَ الْجِنِّيَّ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَى نِسَاءِ سُلَيْمَانَ بَلْ عَصَمَهُنَّ اللهُ مِنْهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مُطَوَّلَةً عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ، كَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَجَمَاعَةٍ آخَرِينَ وَكُلُّهَا مُتَلَقَّاة مِنْ قَصَصِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ»(١).

وقال أبو حيان وغيره: «إن هذه المقالة من أوضاع اليهود والزنادقة، ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحة ما فيها، وكيف يجوز تمثل الشيطان بصورة نبي حتى يلتبس أمره على الناس، ويعتقدوا أن ذلك المتصور هو النبي؟ ! ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبي، نسأل الله سلامة ديننا وعقولنا، ومن أقبح ما فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حيض! الله أكبر، هذا بهتان عظيم، وخطب جسيم !! وجاء عن ابن عباس برواية عبد الرزاق وابن المنذر ما هو ظاهر في أن ذلك من أخبار كعب، ومعلوم أن كَعْبًا يرويه عن كتب اليهود، وهي لا يوثق بها، على أن إشعار ما يأتي بأن تسخير الشياطين بعد الفتنة يأبى صحة هذه المقالة كما لا يخفى»(٢).

وساكتفي بذكر هذين المثالين اللذين يظهران أن الشيخ حتى في ذكره للإسرائيليات لم يسوقها كحاطب ليل، وإنما ذكرها بناء على وجودها في بعض كتب السنة، بل وإن بعضها حكم عليه بالصحة من بعض المحدثين أمثال الإمام الحاكم وغيره، وهو من تساهلهم رحمهم الله، حتي وإن خولف صاحب الحكم إلا أنه موجود مسطور.

(١) تفسير، ابن كثير، (٧/ ٦٩).

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (٩/ ١٥٥)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، (١٢/ ٩٨٥)، وقال عن الحديث: «منكر جِدًّا».

وللإجابة على السؤال الملح ما الذي جعل الشيخ يلجأ إلى الإسرائيليات أحياناً مع عدم قناعته فيها؟.

أقول: كما هو واضح من خلال تخريج هذه الإسرائيليات أنه ورد بعضها في كتب السنة بل التي ذكر أصحابها أنها على شرط الشيخين، وبعضها ورد في كتب تفسير الأئمة الكبار، مما جعل الشيخ -رحمه الله- يظن أنها صحيحة، والله أعلم.

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً، أما بعد، فقد ظهر من خلال هذا البحث نتائج أذكر أهمها.

(١) أن الشيخ السعدي -رحمه الله- أحياناً كان ينقل الحديث بلفظه، وأحياناً كان يروي الحديث بمعناه، وأحياناً كان يختصر الحديث ويكتفي بموضع الشاهد منه، وأحياناً كان أشار في بعض الأحيان إلى الحديث دون ذكره.

(٢) أن صور التفسير النبوي عن الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- كان منها: ذكر سبب نزول، وبيان المعنى، وتقرير الحكم الشرعي، وتخصيص العام.

(٣) أن الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- كان قليل الاستشهاد بروايات الصحابة والتابعين.

(٤) أن الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- لم يذكر العزو التفصيلي للحديث بل اكتفى بالعزو الإجمالي.

(٥) أن الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- لم يستعمل إلا المصطلحات التي تدل على صحة الحديث.

(٦) أن منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- كان لا يرى جواز الاستشهاد بالإسرائيليات التي ليس لها أصل في شريعتنا.

(٧) أن الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- استشهد ببعض الإسرائيليات التي اختلف في تصحيحها وتضعيفها.

(٨) أن أهم ما يميز تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في ذكر الروايات ندرة الروايات الضعيفة.

أهم التوصيات.

(١) أن يشرع أحد طلاب رسائل التخصص «الماجستير»، أو العالمية «الدكتوراه» في بيان منهج الشيخ في السنة النبوية من خلال جميع مؤلفاته، ففيها ما يكفي لرسالة جامعية، وهذا البحث إن شاء الله أحد لبناتها.

(٢) الاهتمام بعلماء الأمة عن طريق عقد المؤتمرات والندوات التي تبرز جهودهم العلمية، ومسيرتهم الدعوية.

ثبت المصادر مرتبة على حروف المعجم.

(١) القرآن الكريم.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٥ هـ.

(٣) أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني، لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (المتوفى: ٥٠٧هـ)، المحقق: محمود محمد محمود حسن نصار / السيد يوسف، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.

(٥) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٧) تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، الثالثة - ١٤١٩ ه.

(٨) التفسير من سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني

الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، تحقيق: د.سعد بن عبد الله آل حميد، ط: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

(٩) التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

(١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

(١١) الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، ط: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.

(١٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(١٣) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ط: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١٥) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، ط: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

(١٦) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤٠٥ هـ.

(١٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الأولى.

(١٨) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

(١٩) سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٢٠) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ط: دار الكتاب العربي - بيروت.

(٢١) سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٢٢) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ط: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الأولى - ١٣٤٤ هـ.

(٢٣) السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة

- بيروت، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢٤) سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المحقق: مكتب تحقيق التراث، ط: دار المعرفة ببيروت، الخامسة ١٤٢٠هـ.

(٢٥) سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، (المتوفي: ٢١٣هـ)، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، ط: دار الجيل ١٤١١هـ، بيروت.

(٢٦) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢٧) صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ط: المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط: المكتب الإسلامي.

(٢٩) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، ط: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(٣٠) صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، ط: دار الجيل - بيروت، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.

(٣١) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، ط: دار صادر - بيروت، الأولى، ١٩٦٨م.

(٣٢) العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف

بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط: دار العاصمة - الرياض، الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٣٣) مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، حافظ بن محمد عبد الله الحكمي، ط: مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٦هـ.

(٣٤) مستخرج أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، ط: دار المعرفة - بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٣٥) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٣٦) مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر - مصر، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

(٣٧) مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٣٨) مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: المجلس العلمي- الهند، والمكتب الإسلامي - بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٣٩) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف

الحوت، ط: مكتبة الرشد - الرياض،الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٤٠) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: دار الحرمين - القاهرة.

(٤١) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣

(٤٢) مغازي الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق :مارسدن جونس، ط :دار الأعلمي - بيروت الثالثة - ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٤٣) المؤتلف والمختلف، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الدرس العقدي عند ابن سعدي

شرح الواسطية نموذجاً دراسة مقارنة

د. عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح الرشيد

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية جامعة القصيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فكرة البحث:

فحيث إن انتقال المذهب الحنبلي إلى بلاد نجد هيأ منها بيئة لاحتضان تراث شيخ الإسلام ابن تيمية، وتداوله بين طلاب العلم فيها؛ فإن دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله الجميع- في القرن الثاني عشر الهجري فسحت المجال له أكثر، وخاصة تراثه العقدي، بل إنه في القرن الرابع عشر تبنت نجد تراث ابن تيمية كمادة للتدريس في المساجد، ثم في المعاهد، ومن ذلك تدريس رسائله: الواسطية، والحموية، والتدمرية، واللامية، فجاءت فكرة دراسة لكتاب عقدي جرى تدريسه ومدارسته، وتعلقت به عناية العلماء، وذلك تحت مصطلح: (الدرس العقدي)، ليكشف لنا المنهج العلمي لتلك الجهود المبذولة في تلك الفترة، التي كان امتدادها اليوم في الجامعات، حيث أصبحت الدراسات الجامعية ميدانًا لخدمة ذلك التراث، ومادة للتفريع عليه.

من أبرز من خدم تراث شيخ الإسلام ابن تيمية هو الشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي -رحمه الله-، وهو من علماء القرن الرابع عشر، والشيخ ابن سعدي فوق تفرغه للعلم والتصنيف، فقد عني عناية بالغة بتلخيص تراث ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، تلخيصًا تميز بالسهولة والمتانة، بعيداً عن التقعر والتعقيد، وتبني كثيرًا من أقوالهما واختياراتهما، وقام بتقعيد ذلك التراث، والإضافة عليه، وتقريبه -أيضًا- بلغة سهلة لطيفة، وكان ذلك على حد سواء في مجال التأصيل والتقعيد، وفي مجال الردود والحوار، والتعامل مع النوازل ... إلخ؛ حتى أصبح ابن سعدي مدرسة ذات

صيت بارز، في التفسير وعلوم القرآن، وفي العقيدة والرد على الإلحاد، وفي الفقه وأصوله ونوازله، وفي الأخلاق وبيان محاسن الإسلام، وقد صنف -رحمه الله- ما يربو على أربعين مصنفاً، فضلاً عمن تخرج من مدرسته من جهابذة العلماء، وفي طليعتهم الفقيه المحقق العلامة محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله.

مشكلة البحث:

من خلال تتبع الباحث لأحد كتب الشيخ العقدية، وهو شرحه للعقيدة الواسطية، المسمى (التنبيهات اللطيفة)، لاحظ عدم بروزه في مادة الشروحات التالية للواسطية، من جهة الاستشهاد، مع شهرة الشارح والمتن المشروح، مع أن أكثر من شرح العقيدة الواسطية إما من طلابه، أو من مدرسته، أو ممن يستشهد بكتبه الأخرى، وخاصة في التقعيد والاستنباط والتدبر! كما لاحظ الباحث أن الدراسات الجامعية لم تركز على تحليل مادة شرح (التنبيهات اللطيفة)؛ فلذلك رغب الباحث في دراسة تكشف عن هذا الشرح، من خلال وصف لمادته، ثم مقارنة له بنظرائه، رغبة في أن يكشف ذلك عن مكانة الكتاب، ومدى أثره في الواقع العلمي القريب.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

١- الكشف عن شرح (التنبيهات اللطيفة)، من خلال إعداد مدخل وملخص له، يصلح أن يكون مدخلاً لبقية شروح العقيدة الواسطية.

٢- البحث عن معالم شخصية الشيخ ابن سعدي من خلال خدمته لتراث شيخ الإسلام ابن تيمية وعلومه، وذلك من خلال تتبع المواضع المتشابهة.

٣- التعرف على ظروف تأليف وطباعة كتاب (التنبيهات اللطيفة).

٤- الكشف عن مكانة الكتاب، ومدى أثره في الواقع العلمي القريب.

حدود البحث:

ستكون الدراسة ضمن المصادر الرئيسة لمجال البحث، وخاصة ما يغلب على الظن أنه من مظان الدراسة، من كتب وشروح متون العقيدة، للشيخ ابن سعدي، وشروح العقيدة الواسطية، لغيره من العلماء.

محاور البحث:

جاءت الدراسة من خلال تمهيد يعرف بالشيخ ابن سعدي والواسطية، ومبحثين: منهج شرح (التنبهات اللطيفة)، ومزاياه، والثاني: مقارنة شرح (التنبيهات اللطيفة) بالشروح الأخرى؛ ثم خاتمة لنتائج البحث.

منهج البحث:

سيكون منهج البحث: استقرائياً تحليلياً، وتطبيقياً مقارناً، وسيكون البحث متجهاً في نصفه الأول إلى الشرح بوصف منهج ابن سعدي، وإبراز معالمه، وفي القسم الثاني بمقارنته بالتراث العقدي المشابه له، بتناول القدر الممكن من المقارنة، بحسب طبيعة الدراسة والوقت المتاح لها.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

جاء البحث حول جهود العلماء وعنايتهم بمتن في الاعتقاد، شرحاً، وتعليقاً، وتدريساً، ونظماً، كل ذلك لأهميته، والتي برزت باتخاذه مرحلة في تحصيل العلم، وهذا ما تلخص تحت عنوان: (الدرس العقدي)، وكان يحسن بنا قبل الدخول في موضوع الدراسة أن نتعرف ونعرف بطرفيها، وهما الشيخ ابن سعدي وتراثه العقدي، والمتن المقصود، وهو متن الواسطية، وشروحها.

أولاً: تعريف بالشيخ ابن سعدي وتراثه العقدي.

ترجمة ابن سعدي.

هو الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، الناصري التميمي، من مواليد مدينة عنيزة، من إقليم القصيم بنجد، عام ١٣٠٧هـ، وتوفي عام ١٣٧٦هـ، فهو من أعيان القرن الرابع عشر الهجري، وله عناية بعلم العقيدة والتفسير والفقه والأصول، تتلمذ على علماء بلده وما جاورها، ولم يكن له رحلة خارجها، لكن استعاض عنها بلقاء علماء الأقطار الذين وردوا بلده، أو بمراسلة آخرين حول بعض المسائل والمصنفات، وبالانكفاء حيناً على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وانتفع من ذلك نفعاً عجيباً، ومن أشهر كتب الشيخ ابن سعدي تفسيره: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، وكتاب: منهج السالكين، ومنظومة في القواعد الفقهية، ومن أبرز كتبِه التي ظهرَ فيها تعلقُه بتراث الشيخين كتابُ: طريق الوصول إلى العلم المأمول، وضمَّنه أكثر من ألف خلاصة ولطيفة من كتبهما، وأصله عن كتاب لابن تيمية فقده، وهو كتاب: (قواعد الاستقامة)، ثم زاد عليه؛ وتعددت كتبه حتى بلغت

ما يقارب أربعين مصنفاً، ومع الرسائل تزيد على تسعين مصنفاً ورسالة[1].

تراثه العقدي:

الشيخ ابن سعدي هو مِن أبرز مَن تأثر بمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، فهو على معتقد أهل السنة والجماعة، وسعى في نشر عقيدتهم، والدفاع عنها، وقد ظهر ذلك جليا في كتبه، ومما يعنينا منها كتبه في العقيدة، التي تدور بين التأصيل، والشرح، والردود، ومن أشهرها ما يلي:

١- التنبيهات اللطيفة، شرح العقيدة الواسطية، وهو موضع الدراسة.[2].
٢- توضيح الكافية الشافية -شرح القصيدة النونية، لابن القيم.
٣- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.
٤- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، لابن تيمية.
٥- القول السديد في مقاصد التوحيد، تعليق على كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
٦- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.
٧- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.
٨- الأدلة القواطع و البراهين في إبطال أصول الملحدين، ألفه عام ١٣٧٢هـ.
٩- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.
١٠- سؤال وجواب في أهم المهمات.

---

(١) انظر: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، وجهوده في توضيح العقيدة، ص٣٥- ٣٨، ٢٦؛ ومجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار الميمان، ١/ ١٧٧.

(٢) وربما حملت بعض المخطوطات اسماً آخر: (رسائل متفرقة في الإيمان)، انظر: مجموع مؤلفات السعدي، دار الميمان، ١/ ٢٥٨.

ثانياً: العقيدة الواسطية وشروحها:

الواسطية إحدى رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٨هـ)، وهي رسالة صغيرة كتبها عام ٦٩٨هـ جواباً على سؤال ورد إليه من أحد قضاة واسط، وهو (رضي الدين الواسطي)، وواسط أحد بلدان العراق، قرب الكوفة، طلب فيها من الشيخ أن يكتب له عقيدة أهل السنة والجماعة، فأجابه، وذكر عقيدتهم باختصار، من خلال (١٢) فصلاً، قرر فيها منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال والتلقي، وتطبيقهم له من خلال مسائل الاعتقاد، وأطال في أولها حول أسماء الله وصفاته، ثم تطرق لأركان الإيمان، وخاصة اليوم الآخر والقدر، ثم تطرق لمسائل أخرى: كالإيمان، والصحابة، والإمامة[١].

انتشرت هذه الرسالة، وجرى لابن تيمية بسببها أذىً من مخالفيه، ممن تأثروا بعلم الكلام، وحاكموه لذلك، وجرى من ذلك بينه وبينهم، تحدث عنها شيخ الإسلام في رسالةٍ موجودة في مجموع فتاويه ورسائله[٢].

شروح الواسطية:

شرحت الواسطية عدة شروح وحواشٍ[٣]، يمكن تصنيفها ما بين: شرح

(١) نص السعدي على هذا، انظر: التنبيهات اللطيفة، ص١٧- ١٨، والإيمان بالملائكة لم يرد ذكر لأي مسألة حوله.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٣/ ١٢٩-١٦٠، ومناظرة الواسطية من ص١٦٠- ١٩٤، من نفس المرجع، وحول متن الواسطية وسببها واسمها وموضوعاتها ونسخها وشروحاتها انظر مقدمة: العقيدة الواسطية، ت. أشرف عبدالمقصود، ص٧- ٤٢.

(٣) خُدمت الواسطية نظماً، ومن ذلك منظومة الشيخ عبدالعزيز بن عدوان، من أهل الوشم، نقل منها الشيخ ابن مانع، انظر: حاشية العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع على العقيدة الواسطية، ت. أشرف عبدالمقصود، ص١٦، وحققها د. علي الشبل، في بحث منشور بمجلة الحكمة، عدد

مختصر، ومنه ما يسمى تقريرات وتعليقات؛ وشرح متوسط؛ ومطول، وأقتصر هنا على الشراح ممن هم في طبقة الشيخ، أو شيوخه، أو تلاميذه، وخاصة من شرحه مطبوع[1]، وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، والشراح هم كما يلي:

١- شيخه الشيخ محمد بن عبدالعزيزِ بن مانع، ت/ ١٣٨٥هـ، - مختصر.

٢- الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ت/ ١٣٧٦هـ - مختصر، وهو الشرح المقصود بالدراسة، وله عدة طبعات، اعتمدت في الإحالة منها على طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى عام ١٤٣١ه، ومع تميزها بتأخرها عن نشرات الدور الأخرى؛ أنها حظيت بتحقيق، وتصحيح ومقابلة على نسخة المؤلف، من قبل تلميذ الشيخ: محمد بن سليمان البسام، وهذه الطبعة هي المعتمدة من أبناء الشيخ ابن سعدي.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن باز، ت/ ١٤٢٠هـ، مختصر[2].

٤٠، ص١٩- ٦٤؛ وانظر: العقيدة الواسطية، ص٣٦، ت. أشرف عبدالمقصود، ص٣٦؛ وكذلك نظمها أبو المساكين المغربي المراكشي، انظر: خزانة الكتب - كتب التوحيد والعقيدة، ص٥٣.

(١) يوجد شروح صوتية كثيرة، وربما متعددة لشارح واحد، وأخرى على شكل مسودات ومذكرات، ومما ذكر من الشروح القديمة: شرح للشيخ ابن عيسى، ولم أقف له على أثر، وانظر: التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، الخضير، ص٢٤.

(٢) اشتهر هذا التعليق للشيخ ابن باز بطباعته مع التنبيهات اللطيفة، لابن سعدي، كما في طبعة دار الشبل، وطبعة دار طيبة (الإفتاء)، وطبعة دار ابن الجوزي، بتحقيق الشيخ محمد بن سليمان البسام، وطبعة دار ابن القيم، بتحقيق علي حسن الحلبي، وربما أوحى صنيع المحققين التلازم بينهما، وأن تعليقات الشيخ ابن باز كانت على التنبيهات اللطيفة؛ لكن لا علاقة للجمع بينهما من جهة النشأة ابتداءً، فلم يكن تعليق ابن باز على التنبيهات ذاتها، وإنما على متن الواسطية، كما ظهر من مقدمة تلميذيه: عبدالرحمن بن رويشد، وسليمان بن حماد، في الطبعة الأولى للكتاب، والتي

٤- الشيخ فيصل بن مبارك، ت/ ١٣٧٦هـ (التعليقات السنية) - متوسط .

٥- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ت/ ١٣٨٩هـ - مطول.

٦- الشيخ عبدالعزيز بن ناصرِ بن رشيد، ت/ ١٤٠٨هـ (التنبيهات السنية) - مطول.

٧- الشيخ محمد بن خليل بن هرَّاس، ت/ ١٤١٥هـ (الثمار الشهية) - متوسط.

٨- الشيخ زيد بن فيَّاض، ت/ ١٤١٦هـ (الروضة الندية) - مطول.

٩- الشيخ عبدالعزيزِ بن محمد السَّلمان، (أسئلة وشرح) - مطول.

١٠- الشيخ محمد بن عثيمين، ت/ ١٤٢١هـ (شرحان) متوسط ومطول.

صدرت من دار الشبل، ثم من دار طيبة، بإشراف دار الإفتاء بالرياض، والتي كان يرأسها الشيخ ابن باز، فقد انتخبا بعض تقريرات شيخهما ابن باز حين كان يدرسهما في المعهد العلمي بالرياض، وأضافا هذه التعليقات على طبعة التنبيهات اللطيفة؛ ثم زاد الارتباط بين الشرحين في الطبعة الثانية، حيث حظيت بمراجعة وإقرار الشيخ ابن باز للطبعة الأولى، مع إضافة زيادات وتصحيحات، انظر التنبيهات اللطيفة، ص٣- ١١، طبعة دار طيبة؛ لكن لما يتضح لي بعد موضع وسبب الزيادات والتصحيحات، علماً أن تعليقات الشيخ ابن باز طبعت -أيضا- مع حاشية الشيخ ابن مانع، باجتهاد من المحقق، أشرف عبدالمقصود، انظر: حاشية العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع على العقيدة الواسطية، ص٨؛ وهذا مما يرجح عدم الارتباط بين التنبيهات اللطيفة، وتعليقات الشيخ ابن باز - رحم الله الجميع -.

المبحث الأول/ شرح (التنبهات اللطيفة): منهجه ومزاياه

* المطلب الأول: منهج الشارح في (التنبيهات اللطيفة).
* المطلب الثاني: مزايا شرح (التنبيهات اللطيفة).

المطلب الأول: منهج الشارح في (التنبيهات اللطيفة)

رسم الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله منهجاً لشرحه الذي وسمه بتنبيهات لطيفة، كما وصف المتن المشروح، بأنه يحتوي على مباحث منيفة، واستهل ابن سعدي شرحه بدعاء الله أن يكون لطيفاً نافعاً، وذكر منهجه في مقدمته، فقال عن الواسطية: (وهي وإن كانت واضحة المعاني محكمة المباني - تحتاج إلى تعليق يزيد في توضيح بعض ما فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتبين وجه دلالتها على المقصود، وبيان وجه ارتباط بعض المسائل ببعض، وجمع ما يحتاج إلى جمعه في موضع واحد، والإشارة إلى بعض آثارها، وفوائدها في القلوب والأخلاق، والتنبيه لكل ما يحتاج إلى التنبيه عليه، وأرجو الله أن يكون هذا التَعليق على هذا الوصف، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم مقربا إليه نافعا، سهلا في ألفاظه ومعانيه[1]).

إذن يمكن تلخيص عمل الشارح في النقاط التالية:

١- دلالة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أصول الاعتقاد.

٢- بيان الترابط بين المسائل، وجمع ما يحتاج إلى جمعه في موضع واحد.

٣- الإشارة إلى بعض آثار مسائل الكتاب وفوائدها في القلوب والأخلاق.

٤- التنبيه لكل ما يحتاج إلى التنبيه عليه.

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص١٣.

وسيكون من المستحسن أن أستعرض في هذا المطلب تطبيقات الشارح لهذه الجوانب الأربعة، ومدى تحققها، لتكون مدخلاً لما أبرزه هذه التطبيق، في تحقيق مقاصد المتن والشرح، وهذا يتضح في النقاط التالية:

أولاً: دلالة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أصول الاعتقاد

جاء متن العقيدة الواسطية مشحوناً بالأدلة النقلية، توافقاً مع منهج أهل السنة والجماعة في بناء مسائل الإيمان، وهذا التوافق امتداد لمكانة القرآن وعموم الكتب التي أنزلت على الرسل، فقد جاءت الرسل بكمال التنزيه لله، كما في قوله سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ الصافات ١٨٠، ١٨١]، علق الشيخ ابن سعدي مبرزاً سر التسليم للرسل بأنه يوصل لغاية يرضاها الله، وختم بها الآيات، فقال تعالى: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات١٨٢]؛ فالرسل حققوا هذه الغاية، يقول ابن سعدي: (لدلالة الحمد على الكمال المطلق من جميع الوجوه)[1]؛ ولذا يلزم التسليم والإذعان لما نزل على الرسل في الكتب السماوية، فـ(الإيمان بالكتب وخصوصا القرآن يقتضي أن يؤمن العبد بكل ألفاظها ومعانيها، وما دلت عليه من العقائد والمعاني الجليلة، فمن لم يؤمن بجميع ذلك فلن يتم إيمانه)[2].

جاء الشارح في شرحه ليبرز هذا الجانب، ومما يشير إليه بهذا الخصوص ما يلي:

١ - تطابق كلام الله وكلام رسله في العقائد، والإيمان لا يتم إلا بالتسليم لهما.

يؤكد الشيخ ابن سعدي على هذا المعنى بلفظ أوضح، فيقول: (وحكم السنة حكم القرآن- في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل، فإن السنة توضح القرآن

(١) التنبيهات اللطيفة، ص٢٤.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص٧٨، ٨٣.

وتبيـن مجمله وتقيد مطلقه، قـال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النسـاء: ١١٣])[١]، وفي مقـام آخـر يكرر هـذا الجانب المهم، فيقـول: (وهذا برهان على أن كلام الله وكلام رسوله يوصل إلى أعلى درجات العلم واليقين، ...، لا سـيما في هذا الباب الذي هو أصل الأصول كلها)[٢]، والشارح يشير إلى أن شيخ الإسلام ابن تيمية بنى مصنفه على هذا الأصل العظيم إجمالاً وتفصيلاً[٣].

٢- أصول الاعتقاد أدلتها من القرآن والسنة متكاثرة، لا يمكن حصرها.

يقرر الشـيخ السـعدي تكاثر الأدلة النقلية على أصول الاعتقاد في مواضع متعددة، فيقـول مثـلاً عنـد صفة العلـم: (وتثبت النصـوص أيضـا أن الله أثبت علمـه بالكائنات والموجـودات دقيقها وجليلها باللـوح المحفوظ في نصوص لا يمكـن إحصاؤها)[٤]، والشـيخ لا يحصر هـذا التكاثر على تعدد أفراد الأدلة، بل ينـوه على تنوع دلالاتها على مسائل الاعتقاد[٥]، وهذا مما يقوي حجة الاستدلال بهما.

وفي باب الصفات إجمالاً يقول -رحمه الله-: (ونصوص الكتاب والسنة التي يتعذر إحصاؤها كلها تشترك في دلالتها على هذا الأصل وهو: إثبات الصفات على وجـه الكمال الذي لا يشـبهه كمال أحد، ...، فكلام الله ورسـوله في غاية الوضوح والبيان وفي غاية الصدق، ... لا سيما في هذا الباب الذي هو أصل الأصول كلها)[٦].

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص٥٤.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص٢٤.

(٣) انظر: التنبيهات اللطيفة، ص٢١.

(٤) التنبيهات اللطيفة، ص٩١.

(٥) انظر: التنبيهات اللطيفة، ص١٠٠.

(٦) التنبيهات اللطيفة، ص٢٣- ٢٤.

ويؤكد الشيخ ابن سعدي ما سبق بدليل إجماع سلف الأمة على مسألة عقدية بما يوافق نصوص الكتاب والسنة، أو بتواتر النقل عنهم فيها بما فيهما[1]؛ وهذا مما يرسخ اعتمادهم دلالة القرآن والسنة في هذا الباب.

٣- أن نصوص الاعتقاد متوافقة مع دلالة العقل والإجماع والفطرة والحس والضرورة.

يقرر ابن سعدي أن دلالة القرآن والسنة مع كثرتها، وكفايتها، أنها متوافقة مع دلالة الأدلة الأخرى، ولا تعارض بينها، ويقرر ذلك إجمالاً وتفصيلاً، فيقول -مثلاً- عند صفة العلو: (الفطرة والعقول معترفة بل ومضطرة إلى الإيمان بعلو الله، إلا من غيرت فطرته العقائد الباطلة)[2]، ويقول عن اليوم الآخر: (واعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل وواقع بالسمع، فإن الله نبه العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب، وذكر بما هو مستقر في العقول الصحيحة من أنه لا يليق بحكمة الله وحمده أن يترك الناس سدى، أو أن يكونوا خلقوا عبثاً، لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، وأن العقول الصحيحة تنكر ذلك أشد الإنكار، وهذا شيء مشاهد محسوس متناقل بين الناس بالتواتر الذي لا يقبل الشك، ولا يزال الله يري عباده من آياته في الآفاق وفي أنفسهم ما يتبين به الحق لأولي العقول والألباب)[3].

ونرى الشيخ ابن سعدي يؤكد على دلالة الأدلة الأخرى، كالحس والضرورة العقلية، لما لها من دفع الشك في الأدلة النقلية، فيقول في وقوع الفعل من العبد باختياره: (وفعله المذكور بلا ريب واقع باختياره، وهو يحس ضرورة أنه غير

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص١٠٠- ١٠٩.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص٧٨.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص٨٦- ٩٢.

مجبور على الفعل، أو الترك)[1].

٤- سياق الآيات وعلاقته بالمعنى، وتضمنه.

من الضوابط التي ينوه عليها الشيخ ابن سعدي لفهم دلالة القرآن والسنة مراعاة سياق الآيات عند تحديد المراد بها في مسائل الاعتقاد، وكذلك في غيرها، فيقول مثلاً في تحديد نوع المعية: (وإذا أردت أن تعرف هل المراد المعية العامة أو الخاصة، فانظر إلى سياق الآيات)[2]، كما أن السياق والنص قد يتضمن ما يقوي الاستدلال، وخاصة إذا وجد تأملاً، وذهناً لماحاً لدى المستدل، ونجد الشيخ يطبق ذلك بتنبيهاته اللطيفة، فيقول - رحمه الله - تعليقاً على حديث الجارية: (وفي شهادة الرسول بالإيمان للجارية التي اعترفت بعلو الله ورسالة رسوله دليل على أن من أعظم أوصاف الباري الاعتراف بعلوه على خلقه ومباينته لهم، وأنه على العرش استوى، وأن هذا أصل الإيمان، وأن من أنكر علو الله المطلق من كل وجه فقد حرم هذا الإيمان)[3].

ثانياً: بيان الترابط بين الأصول والمسائل، وجمع المتشابه في موضع واحد.

اللجوء إلى التأكيد على ترابط مسائل الاعتقاد عند أهل السنة، والسعي لإبراز ذلك بجمعها -أحياناً- في موضع واحد؛ إنما هو بسبب اتحاد المصدر وإحكامه، وسلامة نقله إلينا، وبما أن صاحب المتن وهو شيخ الإسلام ابن تيمية بنى عقيدته على ذلك، فنجد الشارح ابن سعدي يجلي الجانب فيقول: (لما ذكر طريقة أهل السنة في مسائل الأصول المعينة، ذكر طريقهم الكلي في أخذ دينهم أصوله وفروعه،

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص٩٣.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص٥٠.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص٦٣.

وأنهم سلكوا في ذلك الصراط المستقيم، والعصمة النافعة للكتاب والسنة، واتبعوا أعظم الناس معرفة وعلما واتباعا للكتاب والسنة، وهم الصحابة رضي الله عنهم عمومًا، والخلفاء الراشدون خصوصًا، فسلكوا إلى الله ذلك الطريق مستصحبين هذه الأصول الجليلة، وما جاءهم مما قاله الناس أو ذهبوا إليه من المقالات وزنوه بمعيار الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة؛ فاستقامت طريقتهم، وسلموا من بدع الأقوال المخالفة لما عليه الرسول وأصحابه في الاعتقادات، كما سلموا من بدع الأعمال، فلم يتعبدوا ولم يشرعوا إلا ما شرعه الله ورسوله)[1].

ويمكن أن يبرز جهد الشيخ ابن سعدي حول هذا المعنى من أكثر من وجه، ومن ذلك ما يلي:

الوجه الأول: الاستفادة من القواعد الأصولية في الاستدلال العقدي.

من أسباب الترابط والتناسق بين المسائل العقدية عند أهل السنة حسن استدلاهم الأصولي، ومن ذلك قول الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-: (الأحكام الأصولية والفروعية تدور مع أسبابها وعللها)[2]، وكذلك ما قعدوه في أبواب الاعتقاد، كقولهم: (الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات)[3]، وينوه الشيخ إلى أن هذا وجد ابتداء من الصحابة y، فتبعهم عليه أهل السنة، (فسلكوا إلى الله ذلك الطريق مستصحبين هذه الأصول الجليلة، وما جاءهم مما قاله الناس، أو ذهبوا إليه من المقالات وزنوه بمعيار الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة؛ فاستقامت طريقتهم، وسلموا من بدع الأقوال المخالفة لما عليه الرسول وأصحابه

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص١٢٠= ١٢١، وانظر: ص٥٩- ٦٤.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص١٠١.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص٥٧.

في الاعتقادات، كما سلموا من بدع الأعمال)[1]، واتباع أهل السنة لنهجهم لكونهم أعظم الناس معرفة وعلماً، واتباعاً للكتاب والسنة، وحصل لهم من براهين الحق وطرقه ما لم يحصل لغيرهم، فهم سبقوا إلى الإيمان، وذلك من دواعي محبتهم، وسلامة القلب من الغل عليهم[2].

ومن حسن منهج أهل السنة رعايتهم لباب المصالح والمفاسد، فهم (يسلكون أقرب طريق يحصل به المقصود بالرفق والسهولة، متقربين بنصيحة الخلق إلى الله، قاصدين نفع الخلق وإيصالهم إلى كل خير وكفهم عن كل شر، ساعين في ذلك حسب وسعهم؛ وذلك لأن غرضهم الوحيد تحصيل المصالح وتكملتها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير وترغيبه فيه، قولاً وفعلاً، فيشاركون الولاة الظلمة في الخير، ويفارقونهم في الشر، ويحرصون على الاتفاق، وينهون عن الافتراق)[3].

الوجه الثاني: الترابط والتلازم في الإيمان بين تفاصيل مسائل الاعتقاد.

عند تعليق الشيخ ابن سعدي على الإيمان بالقدر، ومراتبه الأربع، يقرر أنه لا يتم الإيمان إلا بتحقيق الإيمان بمراتبه الأربع المعروفة مجتمعة؛ فيقول -رحمه الله-: (وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا، لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المنحرفة)[4]؛ ونرى الشيخ يبرز مثل هذا الترابط عند تعليقه -أيضاً- على صفات الله التي استفاضت الدلالات عليها في النصوص، وحصل الخلاف فيها

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص١٢٠- ١٢١.

(٢) انظر: التنبيهات اللطيفة، ص١٠٤.

(٣) انظر: التنبيهات اللطيفة، ص١٢٢.

(٤) التنبيهات اللطيفة، ص٩١.

مع المخالفين، كلزوم التفريق بين صفتي المشيئة والإرادة وصفة المحبة، وأن هذا من الأصول الثابتة المتفق عليها بين السلف[1]، وكذلك إثبات العلو وصفتي المعية والنزول، وأنها من الأصول الثابتة[2]، وهذا الثبات في المسائل مرتبط بثبات الأصول والأدلة.

الوجه الثالث: أن الصفات ترجع إلى قسمين، وهي تدور على اسمي (الحي القيوم).

كما يشير ابن سعدي إلى ترابط الأصول المتفق عليها بين السلف، فنجده يطبق ذلك على المسائل، فيذكر (أن صفات الباري قسمان: صفات ذاتية: لا تنفك عنها الذات كصفة الحياة، والعلم، ...، وصفات فعلية: تتعلق بها أفعاله في كل وقت وآن وزمان، ...، وقد دل على هذا الأصل الكبير ما في هذه النصوص من ذكر قال ويقول، وسمع ويسمع، وكلم ويكلم، ...، ونحوها من الأفعال المتنوعة التي تقع مقيدة بأوقاتها، كما سمعت في هذه النصوص المذكورة آنفًا، وهذا من أكبر الأصول وأعظمها)[3]، فتنوع ألفاظ الصفة كما أنه يؤكد ثبوتها فهو معيار لتنوعها: فعلية أم ذاتية.

كما يشير من وجه آخر إلى مكانة آية الكرسي، لاحتوائها لاسمين عظيمين، وينوه (بدلالة الحي على الصفات الذاتية والقيوم على الصفات الفعلية، والصفات كلها ترجع إليهما)[4]، كما أن الصفات يتفرع بعضها من بعض، فالضحك والفرح

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص٤٤- ٤٥.

(٢) انظر التنبيهات اللطيفة، ص٤٦، ٤٩، ٥٥.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص٤٣- ٤٤.

(٤) التنبيهات اللطيفة، ص٣٠.

غايتهما وسببهما الرحمة والإحسان، وتمام النعمة بدخول الجنان، كما في حديث الرجلين: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدها الآخر كلاها يدخل الجنة»[1]، لكنه: (فرح لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته ولا في أسبابه ولا في غاياته)[2].

ثالثاً: الإشارة إلى بعض آثار مسائل الكتاب وفوائدها في القلوب والأخلاق.

مما يميز شرح الشيخ ابن سعدي هو عنايته بجانب الإيمان والأخلاق، وتنبيهه اللطيف إلى بعض مقاصد الشريعة وأسرارها، ومن ذلك ما يلي:

الميزة الأولى: التسليم للقرآن والسنة ينفي الشك عند المؤمن.

الاقتصار على الكتاب والسنة كاف لغليل قلب المؤمن، وما سبق من بيان دلالتهما على أصول الاعتقاد يوضح جهد الشيخ في بيان متانة أدلة العقيدة، ودلالاتها، من خلال منهج أهل السنة والجماعة، ومن ذلك أن الشيخ ابن سعدي بعد أن رتب دلالات النصوص على مراتب القدر الأربعة؛ قال -رحمه الله-: (وبهذا ينحل عن العبد الإشكال، ويتسع قلبه للجمع بين إثبات عموم مشيئته وقدرته وشمولهما لأفعال العباد مع وقوعها شرعًا وحسًا وعقلا باختيارهم)[3]، ونجده يفصل هذا في موضع آخر، فيقول: (فإذا أردت أن تعرف أنها كذلك واقعة منهم، واعترض معترض، وقال: كيف تكون داخلة في القدر وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها، فهي بقدرتهم وإرادتهم، وهذا يعترف به كل أحد، ويقال أيضا: إن الله خلق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم. والجواب كذلك يعترف به كل أحد، وأن الله هو الذي خلق

---

(١) البخاري، ح/ ٢٦٧١، ومسلم، ح/ ١٨٩٠.

(٢) انظر: التنبيهات اللطيفة، ص٥٧.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص٩٢.

قدرتهم وإرادتهم وهو الذي خلق ما به تقع الأفعال كما أنه الخالق للأفعال، وهذا هو الذي يحل الإشكال ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار)[1].

الميزة الثانية: الأخذ بعقيدة أهل السنة أخذًا بالدين كله، ومن بركاته النصر والتمكين.

يؤكد الشيخ ابن سعدي أن الاستقامة على المعتقد الحق يثمر لأهله الطمأنينة وحسن العاقبة[2]، وكذلك العزة والنصر، وأنه (إنما حصل لهم ببركة هذه العقيدة، والعملِ بها، وتحقيقُها بالقيام بجميع أمور الدين، وأصلُها الذي تبنى عليه: هو الإيمان بهذه الأصول الستة، التي صرح بها الكتاب والسنة في مواضع كثيرة، جملة وتفصيلاً، وتأصيلاً وتفريعاً، وهي المذكورة في حديث جبريل المشهور)[3].

ويجلي الشيخ هذا الجانب بوضوح عند تعليقه المنيف على أصل الإيمان السادس، فيقول -رحمه الله-: (فإيمانهم بعموم القدر يوجب لهم الاستعانة التامة بربهم؛ لعلمهم أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن له في عباده المؤمنين ألطافاً وتيسيراً، لا يناله أحد منهم إلا بقوة الإيمان والتوكل، وأوجب لهم إيمانُهم بالشرع، والأمر، والنهي، والأسباب، وأنها مرتبطة بمسبباتها شرعًا قدرًا، الجدَّ والاجتهادَ في فعل الأسباب النافعة، وبذلك تعرف أن الإيمان الصحيح سبب لكل خير)[4].

---

(١) انظر: التنبيهات اللطيفة، ص٢٦، ٩٣.

(٢) انظر: التنبيهات اللطيفة، ص٩٥، ١٠٢.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص١٧ - ١٨.

(٤) التنبيهات اللطيفة، ص٩٤ - ٩٥.

الميزة الثالثة: التعرف على الله بأسمائه وصفاته والتوسل بها من دواعي قبول الدعاء.

يؤكد الشيخ ابن سعدي أن العبد كلما كان عارفاً بأسمائه وصفاته وأفعاله كان رجاؤه أعظم، وكان توسله بذلك أرجى لقبول دعائه، يقول الشيخ معلقاً على حديث الرقية: « ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ»[1]؛ يقول ابن سعدي -رحمه الله-: (فهذه الوسائل المتنوعة لا يكاد يرد دعاء من توسل بها؛ فلهذا دعا اللهَ بعدها بالشفاء الذي لا يدع مرضا إلا أزاله)[2].

الميزة الرابعة: من كمال الإيمان الجمع بين العقائد والأخلاق.

يقرر الشيخ ابن سعدي حسن عاقبة أهل السنة والجماعة، بسبب لزومهم الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وأنه: (بلزومهم لهذا الطريق النافع تمت لهم النعمة، وصحت عقائدهم، وكملت أخلاقهم، أما من سلك غير هذا السبيل فإنه منحرف في عقيدته وأخلاقه وآدابه)[3].

وكذا يفصل الشيخ ما قرره إجمالاً ببيان أثر المعتقد الصحيح على حسن تعبد المسلم لربه، فيعلق على حديث: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ...» الحديث[4]؛ فيقول -رحمه الله- معلقاً: (اتفق على تلقيه بالقبول والتصديق بين

---

(١) أبو داود، ح/ ٣٨٩٢ .

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص٦٣.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص٢٦.

(٤) البخاري، ح/ ١٠٩٤، ومسلم، ح/ ٧٥٨.

أهل السنةَ والجماعة، بل بين جميع المسلمين الذين لم تغيرهم البدع، وعرفوا به عظيم رحمة ربهم، وسعة جوده، واعتنائه بعباده، وتعرضه لحوائجهم الدينية والدنيوية، وأن نزوله حقيقة كيف يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي تثبت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك ...، فيجمعون بين الخوف والرجاء، ويعترفون بكمال نعمة الله عليهم، فتمتلئ قلوبهم من التعظيم والإيمان لربهم، ومن التصديق والإيقان)[1].

ومثل ما سبق تعليق الشارح على صفة المعية، فيقول ابن سعدي -رحمه الله-: (وأن تلزم الأدب مع الله، خصوصا إذا دخلت في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربه، فتخضع وتخشع وتعلم أنك واقف بين يدي الله، فتقلل من الحركات، ولا تسيء الأدب معه بالبصاق أمامك أو عن يمينك، فهذه المعية متى حصل للعبد استحضارها في كل أحواله لا سيما عباداته فإنها أعظم عون على المراقبة التي هي أعلى مراتب الإيمان، فيجمع العبد بين الإيمان بعلو الله واستحضار قربه، ولا منافاة بين الأمرين، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله)[2].

رابعاً: التنبيه إلى ما يحتاج إليه من القواعد والضوابط واللطائف.

يلمح الشيخ ابن سعدي في ثنايا شرحه إلى قواعد وضوابط ولطائف تعين الدارس والقارئ على فهم وقبول مآخذ أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد، ومن ذلك ما يلي:

١ - قاعدة: الله ليس كمثله شيء.

يورد أهل السنة لكسر دعوى تأويل الصفات قاعدة مهمة، تقطع على من يدعي

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص٥٥- ٥٦.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص٦٤- ٦٥، وانظر: ص٧٣.

أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه، وأن المثبتين للصفات الواردة مشبهة!، يقول ابن سعدي -رحمه الله- عند تقرير أن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته وصفاته؛ يقول: (وهذا الأصل ينفعك في كل ما ورد عليك من صفات الله الثابتة، فأثبتها ولا تتوقف، فإن الذي أثبتها هو الله الذي هو أعلم بنفسه، ورسوله)[1].

٢- قاعدة: النفي في الأسماء والصفات مقصود لغيره.

في معرض التأصيل والرد يورد أهل السنة هذه القاعدة: الترابط بين قاعدتي الإثبات والنفي في صفات الله، للرد على المخالفين، وبالأخص النفاة، وهي مكملة للقاعدة السابقة في الإثبات، يقول الشيخ ابن سعدي -رحمه الله -: (والنفي مقصود لغيره، والقصد منه إثبات ما لم يرد نفي شيء منه في الكتاب والسنة عن الله إلا بقصد إثبات ضده، فنفي الشريك والنديد عن الله لكمال عظمته وتفرده بالكمال؛ ونفي السِنَة والنوم والموت لكمال حياته ونفي عزوب شيء عن علمه وقدرته وحكمته، كل ذلك لإثبات سعة علمه، وتحول حكمته، وكمال قدرته؛ ولهذا كان التنزيه والنفي لأمور مجملة عامة)[2].

٣- فوائد لطيفة في فضل الصحابة، وآل البيت.

ينبه ابن سعدي إلى التفاضل بين الصحابة y بلطيفتين: إجمالية وتفصيلية، وذلك بعد ثنائه على ما جاء في الواسطية حولهم[3]، ففي الإجمالية يقول -رحمه الله-: (وقد قدم الله ذكر المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر، وهذا التفضيل للجملة على الجملة، لا لكل فرد من هؤلاء على كل فرد من الآخرين)

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص٧٥.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص٢٦.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص١١٢.

[1]، وفي التفصيلية يقول: (عائشة وخديجة هما أفضل نساء النبي ﷺ، وقد اختلف العلماء أيهما أفضل، والتحقيق أن لكل واحدة منهن من الفضائل والخصائص ما ليس للأخرى؛ فلخديجة من السبق ومعاونة النبي صلى الله عليه وسلم على أمره في أول الأمر وتثبيته، وكون أكثر أولاد النبي صلى الله عليه وسلم منها- ما ليس لعائشة، ولعائشة من العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لخديجة، رضي الله عنهما)[2].

كما ينبه على أن استقامة الصحابة وثباتهم على الدين حتى الممات من براهين صدق نبوة النبي ﷺ، لأن ثباتهم دليل على صدق شهادته لهم[3].

وفي باب آل بيت رسول الله ﷺ، ينوه إلى خلو أهل السنة مما يتهمون به في هذا الباب تحت مسمى النواصب، فيقول -رحمه الله-: (وأما النواصب فهم الذين نصبوا العداوة والأذية لأهل بيت النبي ﷺ، وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة؛ لأسباب وأمور سياسية معروفة، ومن زمن طويل ليس لهم وجود والحمد لله)[4].

٤- ضابط أعمال القلوب.

يقول ابن سعدي -رحمه الله- في التفريق بين قول القلب وعمله: (وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وضابطها محبة الخير وإرادته الجازمة، وكراهية الشر والعزم على تركه)[5].

---

(١) التنبيهات اللطيفة، ص١٠٥.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص١٠٩.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص١٠٦.

(٤) التنبيهات اللطيفة، ص١١٠.

(٥) التنبيهات اللطيفة، ص٩٧

المطلب الثاني: مزايا شرح (التنبيهات اللطيفة)

بعد استعراض تطبيقات منهج الشيخ ابن سعدي في شرحه (التنبهات اللطيفة)، أنوه بأبرز مزايا أو معالم هذا الشرح، بالنظر إليه منفرداً، من دون مقارنته بغيره، وذلك من خلال النقاط التالية:

١- الشارح لم ير أن يشغل القارئ والدارس بمقدمات المتن، كالتسمية وقصة المناظرة، وهي وإن كانت مفيدة، لكنها قد تبعد الدارس عن المقصود، وتشتت ذهنه؛ فهي ليست من مقصوده.

٢- قلة الاستطراد في الشرح، وهذا يعين على استجماع الذهن للفهم.

٣- ذكر منهج الشارح في شرحه، وذلك من خلال أربعة مطالب، ذكرها في المقدمة.

٤- استيفاء الشرح للمطالب الأربعة المذكورة في المقدمة دلالة على حسن الترتيب، وجودة العرض لدى الشارح، واستعداده للدارس والقارئ.

٥- تشويقه الدارس والقارئ بذكر مكانة المتن المشروح، فيقول ابن سعدي في مقدمته: (أما بعد: فهذا تعليق لطيف على عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة بـ (الواسطية) التي جمعت على اختصارها ووضوحها جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصحيحة، ... واضحة المعاني محكمة المباني)[1].

٦- تنبيه الشارح على صحة الأدلة النقلية المذكورة في المتن، فالقرآن محل إجماع، وأما الأحاديث فهي ما بين مستفيض، وصحيح، ومتفق عليه، وحسن.

٧- التنويه على امتلاء الكتاب والسنة بأدلة الاعتقاد.

٨- التنويه إلى تنوع الأدلة، ما بين صريحة وظاهرة، وتنوع الدلالات، ما بين

(١) التنبيهات اللطيفة، ص١٣.

دلالة مطابقة وتضمن والتزام، وإبراز ذلك تطبيقاً عند المسائل.

٩- إبراز وسطية منهج أهل السنة في قبول جميع نصوص الكتاب والسنة، وعدم رد شيء منها، وتطبيق ذلك عند ذكر الاختلاف في مسائل الاعتقاد، مثل الجبرية والقدرية في مسألة القدر، (فرد كل منهما قسمًا كبيرًا من نصوص الكتاب والسنة المؤيدة للقول الصحيح)[١].

١٠- ذكره للفروق والتقاسيم للمسائل المتشابهة والمتقاربة، كمسألة الإيمان المطلق ومطلق الإيمان[٢]، وتفاضل المؤمنين في الإيمان[٣].

١١- تركيزه على تقرير وتقريب قواعد أسماء الله وصفاته.

١٢- إبداعه في تلخيص العبارات الطويلة في عبارات وافية، فيقول الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-: (ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في أي وقت وفي أي زمن، وقد رأى الناس منها العجائب والأمور الكثيرة، ولم ينكرها إلا زنادقة الفلاسفة، وليس غريبًا عليهم، فإنه فرع عن جحودهم وإنكارهم لرب العالمين وقضائه وقدره، وقد أنكرها -أيضًا- طائفة من أهل الكلام ظنًّا منهم أن في إثباتها إبطالاً لمعجزات الأنبياء، وهذا وهم باطل، أبطله المؤلف في كتاب (النبوات) وغيره من كتبه، فأهل السنة والجماعة يعترفون بكرامات الله لأوليائه إجمالاً وتفصيلاً، ويثبتون ذلك على وجه التفصيل، كما ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم، وكما تحقق وقوعه، ولكن قد أدخل الناس في الكرامات أموراً كثيرة، اخترعوها، وافتروها، وخدعوا بها العوام والسذج من الناس، وأوهموهم بأنها من الكرامات، وليست إلا قسمًا من الخرافات والشعوذات، وأهل السنة أبعد الناس عن التصديق بالخرافات والأكاذيب

(١) التنبيهات اللطيفة، ص٩٤.

(٢) التنبيهات اللطيفة، ص١٠١.

(٣) التنبيهات اللطيفة، ص٩٨.

المفتراة، وأعرفهم بالطرق التي يتبين بها كذب الكاذبين وافتراء المفترين)[1].

١٣- تقييم الشارح لكلام صاحب العقيدة الواسطية، وثناؤه عليه في مواضع متعددة، وهو بذلك يستجلب انتباه الدارس والقارئ، فيقول عند صفة كلام الله: (ولكن المصنف ذكر في هذا الفصل كلامًا في التكلم جامعًا نافعًا مأخوذًا من الأدلة الشرعية العقلية والنقلية)[2]، ويصف ما جاء في الواسطية حول اليوم الآخر بأنه كلام نفيس واضح جامع[3]، وينوه على موضع آخر (القدر) بأنه ليس له نظير في (تحقيقه وتفصيله وجمعه وتوضيحه)[4]، وفي باب خاتمة الواسطية حول الأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الشارح: (وهذا كلام جامع واضح نادر، جمعه في موضع واحد، لا يحتاج إلى شرح ولا إلى مزيد من الإيضاح)[5].

١٤- إدخال الجدال بالحق إلى الشرح، وهو جدال محمود، ليتعود الدارس على الدفاع عن الحق، والشيخ ابن سعدي لملكته الأصولية[6] أبدع في إبراز القواعد العقدية، والدفاع عنها، ومن ذلك تقريره لمشيئة العبد واختياره لفعله، فيقول: (فإذا أردت أن تعرف أنها كذلك واقعة منهم، واعترض معترض، وقال: كيف تكون داخلة في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها، فهي بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم، وهذا يعترف به كل أحد؛ ويقال أيضا: إن الله خلق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم؛

(١) التنبيهات اللطيفة، ص١١٦- ١١٧.
(٢) التنبيهات اللطيفة، ص٧٧- ٨٧.
(٣) انظر: التنبيهات اللطيفة، ص٨٦.
(٤) التنبيهات اللطيفة، ص٩١، وانظر: ٩٦.
(٥) التنبيهات اللطيفة، ص١٢٤.
(٦) سبق التنويه على هذا الجانب في المطلب الأول، ص٩.

والجواب كذلك يعترف به كل أحد، وأن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، وهو الذي خلق ما به تقع الأفعال، كما أنه الخالق للأفعال، وهذا هو الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار)[1].

١٥- التنويه بكتب عقَدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بسط فيها ما لخصه في العقيدة الواسطية، وذلك ليربط الدارس والقارئ بين الموضعين عند رغبته في التوسع في مسألة من مسائل الواسطية، والكتب التي نوه عليها الشارح هي كما يلي:

أ- الأفعال الاختيارية: وهو في الرد على من نفى صفات الله وأفعاله التي أوردها مختصراً في الواسطية، وقد شكلت حيزاً كبيراً من العقيدة الواسطية، وهو رسالة من سبعين صفحة تقريباً باسم: (رسالة في الصفات الاختيارية)[2].

ب- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان[3]، وهو في التفريق بين الكرامات، والحيل الشيطانية، أحال الشارح إليه عند الحديث عن الكرامات، وأن من شروطها ولاية الله واقتفاء هدي نبيه ﷺ.

ج- النبوات: وهو في بيان طرق إثبات النبوة، والمعجزة، والكرامة، والفرق بينها وبين خوارق العادات، وأورده الشارح في نفس الموضع السابق من الواسطية، عند الرد على من أنكر كرامات الأولياء، بدعوى أن إثباتها معارض ومبطل لمعجزات الأنبياء.

١٦- تنويه الشيخ ابن سعدي إلى كتب أهل السنة المبسوطة حول مسائل الواسطية، وهذا برز في المواضع التالية:

---

(١) التنبيهات اللطيفة ص ٩٣.

(٢) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، ٢/ ١- ٧٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١١/ ١٥٦- ٣١٠.

العلو.

اليوم الآخر.

١٧- لم ينص الشارح على مصادره في شرحه، ولكن يظهر أن الشيخ ابن سعدي اعتمد على العقيدة الواسطية نفسها، وعلى كتب ابن تيمية التي نوه عليها بالشرح، وإن كان لم ينقل نصوصاً منها، إلا أنه ولا بد استفاد من قراءاته وتلخيصاته بنفسه لتلك الكتب، وربما تعليقاته على غيرها كما في قصيدة في القدر، وقريب من ذلك عنايته وشرحه لمنظومة الكافية الشافية، لابن القيم.

المبحث الثاني / مقارنة (التنبيهات اللطيفة) بالشروح الأخرى.

* المطلب الأول: مقارنة (التنبيهات اللطيفة) بشروح ابن سعدي الأخرى.
* المطلب الثاني: مقارنة (التنبيهات اللطيفة) بشروح الواسطية الأخرى.

المطلب الأول

مقارنة (التنبيهات اللطيفة) بشروح ابن سعدي الأخرى.

بعد أن تعرفنا على منهج الشيخ ابن سعدي في شرحه (التنبيهات اللطيفة)، الذي ألفه عام ١٣٦٩هـ[١]، فيحسن بنا أن ننظر إلى منهج الشيخ في شروحه الأخرى، ويعنينا منها الشروح العقدية، أو ما كان قريباً من موضوع الواسطية، فسأعرض عن ذكر كتب الردود مثلاً، لأن المقصود يتضح باستعراض المصنفات المتشابهة في موضوعاتها، وهذا يتضح في الكتب التالية.

الكتاب الأول: توضيح: الكافية الشافية، في الانتصار للفرقة الناجية (منظومة لابن القيم، المعروفة بالنونية)، ألفه الشيخ ابن سعدي بتاريخ ١٠/ ٦/ ١٣٦٧هـ، ويمكننا حول هذا الشرح والتوضيح أن نشير إلى ما يلي:

أ- أثنى ابن سعدي في مقدمة توضيحه على كتاب منظومة الكافية الشافية (النونية)، التي بلغت (٥٨٤٢) بيتاً[٢]، فأثنى على الكتاب باستيفائه للأصول والقواعد، واكتنازه بالفوائد والفرائد في أبواب العقائد.

---

(١) التنبيهات اللطيفة ص١٣٥، حيث يقول - رحمه الله -: (وتم الفراغ منه في ٨ جمادى الأولى عام ١٣٦٩ هجرية).

(٢) انظر: الكافية الشافية، في الانتصار للفرقة الناجية، ٣/ ١٠٦٠، والعدد ربما اختلف فيه باختلاف مخطوطات الكتاب.

ب- لما رأى الشيخ تناثر مسائل القصيدة واشتباهها، مما يصعب معه الانتفاع منها للدارس؛ فلم يرغب بشرحها شرحاً كالشروح المعتادة، يلزم منه البسط والتطويل، بل رغب الشيخ تقريبها وتوضيحها، بتحويلها إلى نثر مبسط، فلجأ إلى كل فصل منها فأعاد صياغته (من غير زيادة على ما دل عليه، إلا إذا اقتضت الحال الزيادة، أو كان المعنى يتوقف عليها)[1]، ومن أمثلة ذلك ما ذكره في ترتيب الأدلة النقلية (٢١ دليلا)، التي أوردها الناظم على إثبات صفة الفوقية، واستواء الله على عرشه[2].

ج- ترك الشيخ ابن سعدي آخر المنظومة النونية من غير توضيح وتعليق، وكانت حول نعيم الجنة، محيلاً إلى كتاب حادي الأرواح، للناظم نفسه، كالشرح لها؛ معتذراً بكونها: (واضحة المعاني، قراءتها تفسيرها)[3].

د- هدف الشيخ ابن سعدي من طريقته إلى تحقيق مقاصد الناظم، بأسلوب سهل منثور، يغني عن الأصل وشروحه، لجمعه البراهين والردود النقلية والعقلية، وجعل للقارئ أن يختبر هذا الهدف ومدى تحققه، فقال: (ومتى أردت معرفة مقداره فتأمل كل فصل من فصول الكافية، واستعن عليه بما يقابله من هذا التعليق يحصل لك المقصود، وتحظى بالمطلوب)[4].

---

(١) توضيح الكافية الشافية، ص٣.

(٢) توضيح الكافية الشافية، ص٦١، وانظر: ص٣٣، حول تصنيف اختلاف أقوال الناس في القرآن.

(٣) توضيح الكافية الشافية، ص١٧٠، وأشار فضيلة الشيخ عبدالكريم الخضير إلى اختصار الشيخ في توضيحه، وانتقائه، ودقته وتميزه، وأهميته مع اختصاره، انظر: نور على الدرب، (٧٢)، ٢/ ٣/ ١٤٣٣هـ.

(٤) توضيح الكافية الشافية ص٤.

مما سبق يتبين أن هذا الكتاب (توضيح الكافية الشافية)، أوسع وأطول من كتاب (التنبيهات اللطيفة)، بسبب اختلاف المتن المشروح، كما أن الشيخ في التنبيهات اعتني بالتأصيل والتقعيد، مكتفياً بسهولة متنه، من حيث مسائله وألفاظه، وطريقة عرضه، بينما اكتفى في توضيح الكافية بتقريب النظم لصعوبة ألفاظه، وكثرة مسائله، كما أن الشيخ راعى في عمله مستوى الكتابين للدراسين، فالواسطية للمبتدئين، بينما الكافية للمتقدمين.

الكتاب الثاني: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، ويمكن أن أنبه حول هذا الكتاب إلى ما يلي:

أ- أن الشيخ السعدي ألف هذا الكتاب بتاريخ ٣/ ٤/ ١٣٦٧هـ، أي قبل الكتاب السابق (توضيح الكافية الشافية) بشهرين، وأنه أصل له، وبداية فكرته.

ب- كتاب (الحق الواضح المبين) شرح لجزء من القصيدة النونية السابقة، واختصره ابن سعدي من أصل مطول، كما ذكر في مقدمته، ولم أجد من نوه على وجود الأصل.

ج- ابتدأ الشارح الكتاب من فصل (في أقسام التوحيد، والفرق بين توحيد المرسلين، وتوحيد النفاة المعطلين)، وختمه بذكر (النوع الثاني من توحيد المرسلين، المخالف لتوحيد المعطلين)[1]، ويعني به توحيد العبادة، وتضمن هذا الجزء شرح أسماء الله الحسنى، واستغرق غالبه.

د- أن (توضيح الكافية الشافية) كله نثر، أما (الحق الواضح المبين) فيخلط فيه بين النظم والنثر (الشرح).

---

(١) توضيح الكافية الشافية، ص١١٣ - ١٣٥، وانظر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط٢، ١٤٠٧هـ، دار ابن القيم - الدمام.

مما سبق يتبين أن الكلام على هذا الكتاب قريب عن فرعه السابق، وإن كان ثم تشابه بينه وبين (التنبيهات اللطيفة) فهو في التركيز على أدلة الأسماء والصفات في المتنين، وفي التنبيهات اللطيفة تعليق دون ذلك في بقية مسائل الإيمان، تبعا لأصله، لكن الشيخ في التنبهات في الجانب الأول اعتنى بالتقعيد، والاستدلال، والآثار.

الكتاب الثالث: القول السديد في مقاصد التوحيد، وهو تعليق على موضوعات كتاب التوحيد، لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ويمكن التنبيه حوله إلى ما يلي:

أ- تضمن الكتاب في طبعته الثانية إضافة من المؤلف، حيث كتب في أوله (مقدمة مختصرة، تحتوي على مجملات عقائد أهل السنة، في الأصول وتوابعها)[1]، وهذه المقدمة تصلح للمقارنة مع (التنبيهات اللطيفة)، فالتنبيهات إن كانت كتبت تبعاً للمتن، فهذه المقدمة كتبت استقلالا، وهي على اختصارها أشمل في موضوعاتها، ومتوازنة في تغطيتها لها، مع خلوها من ذكر الفرق والطوائف المخالفة، فهي تصلح للعوام؛ بينما التنبيهات وإن ركزت على باب الأسماء والصفات إلا أنها اعتنت بالتقعيد والتأصيل في أدلة الاعتقاد، والتنويه على وسطية أهل السنة بين مخالفيهم، وتناسب طالب العلم المبتدئ.

ب- أثنى السعدي على كتاب التوحيد، وحسن تبويبه وترتيبه، وذلك في مواضع كثيرة، ومن ذلك قوله: (كتاب التوحيد: هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أوله إلى آخره، ولهذا استغني بها عن الخطبة، أي أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الألوهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه وثمراته ومقتضياته، وما يزداد

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص١٠.

بـه ويقويـه، أو يضعفـه ويوهيه، وما بـه يتم، أو يكمـل)[1]، كما يقـرر ويؤيد وضـوح وأهمية مسـائل الكتاب، وذلك من مثل قوله حول التوسـل: (وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام)[2].

ج- اعتنى الشيخ ابن السعدي في تعليقه على كتاب التوحيد على عناوين الأبواب، ومسـائله، ولـم يتطرق إلى الأدلـة والآثار، وربما استرسـل في التعليق، حتى كأنه امتداد لمسـائل كتاب التوحيد، كما في ذكره لثمرات الإيمان، وأثره على أعمـال القلـب[3]؛ وربمـا كان -أحيانـاً- كالشـرح للكتـاب، أو مقيداً حوله الفوائد واللطائف والضوابط، وبيان الفروق والتقاسيم حول مسائله[4].

د- اعتنـى الشـيخ ابن سـعدي بالربط بين التوحيـد العملي (توحيـد الألوهية)، والتوحيد القولي القائم على معرفة الله بربوبيته وكمال صفاته وأسمائه[5].

ممـا سـبق يتبيـن أن (التنبيهـات اللطيفـة) يفـارق القـول السـديد في شـموله لأركان الإيمـان، وما يلحـق بالاعتقاد، تبعـاً لأصله، وتركيـزه كذلك على التقعيد، والاستدلال، والآثار.

للشـيخ ابن سـعدي -رحمه الله- كتب عقديـة أخرى، منها مـا كان في الردود علـى الملحدين خارج موضع الدراسـة والمقارنة، وأما بقية كتبـه العقدية فبعضها تتنـاول جزءاً واحداً مـن أركان الإيمان، وهـو الإيمان بالقضاء والقـدر، ولكن إما

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص١٧.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص٩٤، وانظر: ص٩٩.

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص٢٣، ٢٨.

(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص٥٤، ٥٨، ٦٧، وانظر: ص١١٤، ١١٩، ١٢٨، ٢١٩.

(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص٧٣، ٧٦.

بالـرد علـى الطائفة القدرية، كمـا في كتاب: (الدرة البهية شـرح القصيـدة التائية في حل المشـكلة القدرية)؛ وإما بربطه بمعالم الإيمان، كما في كتاب (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة)؛ وأقرب كتب ابن سعدي إلى موضع الدراسة هو كتاب: (التوضيح والبيـان لشـجرة الإيمان)، وهو وإن كان فيه شـمول لأبواب الاعتقـاد، ولما يتعلق بهـا من آداب السـير إلى الله، إلا أنـه لم يتضمن التأصيل والتقعيد لمسـائل الاعتقاد وأدلتهـا، كمـا في (التنبيهـات اللطيفـة)، ولم يتضمـن ذكر الطوائـف والفرق، وهو قريب في السهولة والسلاسة من المقدمة التي أضافها الشيخ ابن سعدي إلى (القول السـديد شـرح كتاب التوحيـد)[1]، إلا أن التوضيح فيه استرسـال لحقيقة الإيمان، وثمراته، ولوازمه، وأسباب زيادته، بكلام بديع، يكمل ما ذكره في بقية كتبه.

يتضـح بما سـبق أن كتـاب (التنبيهات اللطيفـة) تبقى له خصوصيـة تميزه عن بقية كتب الشـيخ ابن سعدي العقدية، وبما أنه سبق تعداد معالم ومزايا هذا الشرح، فقـد تبين مـن خلال هذا المطلب بقـاء بعض تلك المعالم والمزايـا خاصة بكتاب (التنبيهات اللطيفة)، بسـبب مناسبته لمستوى الدارس، وطبيعة المتن، وأنه مناسب لطالب العلم المبتدئ، وأنه جاء في آخر تصانيفه العقدية، وأقرب ما يكون من كتب الشـيخ إلى التنبيهـات هو تلك المقدمة التـي وضعها في القول السـديد؛ وهي وإن كانت تصلح للعوام فإنها تصلح أن تكون مدخلاً للطالب المبتدئ.

(١) سبقت الإشارة إليها قريباً.

المطلب الثاني

مقارنة (التنبيهات اللطيفة) بشروح الواسطية الأخرى.

الحديث عن مكانة شرح (التنبيهات اللطيفة) يندرج ضمن مكانة الأصل (العقيدة الواسطية) عند من أتى بعد المؤلف، وكيف خدمها العلماء، وهل للمتقدمين من أهل السنة شروح لها، أو نظم، أو اختصار، أو اقتباس ظاهر في مؤلفاتهم المخصصة لتأصيل الاعتقاد، وممن فعل ذلك من المتأخرين: العلامة الشيخ صديق حسن، في كتابه: (قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر)، المطبوع سنة ١٢٩٥هـ، حيث نقل فقرات بأكملها من الواسطية، فضلاً عن أنه استوعب جميع موضوعات الواسطية بنقل من غيرها[١]؛ ولكن الكلام عن هذا المجال مشروع آخر متعلق بالمتن، ومقصود البحث هنا مقارنة (التنبيهات اللطيفة) بالشروحات المطبوعة، وخاصة ما كان منها غير مطول، وإلا فقد اتجهت عناية العلماء في هذه البلاد إلى تدريس (الواسطية) كمتن للطلاب، وخاصة مع بداية المعاهد العلمية في الرياض عام ١٣٧١هـ[٢]، التي أنشأها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله-، وهو ممن سبق في باب تدريس وشرح الواسطية، فشرحها عام ١٣٦٧هـ[٣]، ويقول الشيخ عبدالكريم الخضير: (وقد تناول الناس هذه العقيدة بالحفظ والدرس والإقراء، والشرح، وأكثر شروحها غير مدونة، لوضوحها

---

(١) نبه إلى ذلك محقق الكتاب، د. عاصم القريوتي، انظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ص٢٢.

(٢) انظر: التنبيهات السنية شرح العقيدة الواسطية، الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد، ص٣، وقد نص في المقدمة أنه كتب الشرح نزولاً عند رغبة طلابه في المعهد العلمي، واستكمل الشرح عام ١٣٧٧هـ.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ص٦.

وسهولتها عند المتقدمين، فيفهم الطالب بمجرد قراءتها على الشيخ، وما من عالم في هذه البلاد وغيرها إلا وقد درس العقيدة الواسطية، وأملى على طلابه شرحاً، فظهرت شروحها المدونة عند المتأخرين)[1].

كتاب (التنبيهات اللطيفة) من طبقة الشروح المختصرة؛ ويعنينا هنا معرفة مكانة الكتاب بين بقية شروح الواسطية، وأثرها على بروز الكتاب والعناية به، والأثر والتأثير بينه وبين بقية الشروح الأخرى (المختصرة، أو المتوسطة، أو المطولة)، وكذلك من حيث الاحتفاء بالكتاب عند العلماء والمختصين، ممن هم في طبقة الشيخ، وفي طبقة شيوخه، وجرت بينه وبينهم مراسلات مودة ومدارسة، مما يوحي بتقارب الاهتمام وسبب التصنيف؛ وبالإضافة إلى ما جاء في المطلب السابق فلعل مقصود البحث تتضح معالمه من خلال المقارنات التالية:

١- حاشية الشيخ محمد بن عبدالعزيزِ بن مانع، ت/ ١٣٨٥هـ، والشيخ ابن مانع معدود في شيوخ ابن سعدي -رحمهما الله- [2]، وقد أثنى الشيخ ابن مانع على العقيدة الواسطية، وذكر بأنها: (من أحسن ما ألفه الأئمة في معتقد أهل السنة، فليس في يد الطلبة اليوم أحسن منها، ولا مثلها ...، فهي جديرة بالاعتناء بها تحفظاً ودرساً ومطالعة)[3]، وتعليقات الشيخ ابن مانع هي تحليل مختصر لبعض ألفاظ المتن، وربما يذكر ما يناسب ذلك من النظم، من القصيدة النونية، لابن القيم، أو من نظم الواسطية، لعبدالعزيز بن عدوان[4].

(١) التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، الخضير، ص٢٤.

(٢) انظر: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، وجهوده في توضيح العقيدة، ص٣٤.

(٣) حاشية العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع على العقيدة الواسطية، ص١٥.

(٤) انظر: حاشية العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع على العقيدة الواسطية، ص٤١؛ والناظم هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن رزين الحنظلي التميمي، من أهل أثيثة، من بلدان الوشم، ت/

التنبيهات اللطيفة لابن سعدي لا تشبه هذه الحاشية، بل هي أوسع في التقرير والتقعيد والآثار، وتشاركها في الثناء على المتن، لكن لم يظهر لي تأثر أو استفادة ابن سعدي من شيخه ابن مانع؛ فيبقى تميز ابن سعدي بأسلوبه ومنهجه ظاهراً في (التنبيهات اللطيفة).

٢- تعليقات الشيخ عبدالعزيز بن باز، ت/ ١٤٢٠هـ، وقد طبعت أولاً بهامش التنبيهات اللطيفة، وثانياً طبعت بهامش حاشية ابن مانع، وهي تعليقات يسيرة متفرقة، أو تقريرات مستقلة ألحقت بهوامش الواسطية، والكلام حولها كالكلام على حاشية الشيخ ابن مانع.

٣- التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، للشيخ فيصل آل مبارك، ت/ ١٣٧٦هـ، وهو العام نفسه الذي توفي فيه الشيخ ابن سعدي -رحمهما الله-، واستظهر محقق الكتاب أنه أول تعليق على الواسطية، وأنه أقدم من (التنبيهات السنية)[1]، وكان له عناية قريبة من عناية الشيخ السعدي، وإن كانت عنايته لم تخدم، مثل كتب الشيخ السعدي، وكان الشيخ فيصل يوصي بدراسة الواسطية ضمن الدروس التي تدرس للطلاب[2]، وحول الكتاب وطريقة الشيخ فيصل فيه يمكن أن نشير إلى الأمور التالية:

أ- لم يذكر الشيخ فيصل منهجه في الشرح بداية الكتاب، ولم يلتزم بخاتمة لكل فصل.

١١٧٩هـ، وهو له رسالة في الوقف، رد بها على إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وانتقل إلى الأحساء، كما ذكر الشيخ عبدالله البسام، انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج٣، ص٤٠٦-٤٠٩.

(١) التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، آل مبارك، ص١٨.

(٢) التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، آل مبارك، ص١٠.

ب- التعليق على المتن والأدلة -خاصة-، بتحليلها كمسائل منفردة، فعند الآيات يطيل النقل من كلام المفسرين، بما يتناسب مع المقصود من الآية.

ج- يطيل في نقل كلام أهل السنة في مصنفات الاعتقاد المسندة حول مسائل الكتاب، ثم ينقل لطائف من كلام العلماء عن الافتراق، ووسطية أهل السنة والجماعة.

د- عند كلام شيخ الإسلام في الواسطية، عن فصول: (الاستواء والعلو، والمعية والقرب، والكلام، والرؤية، واليوم الآخر، والقدر، والإيمان، والوعد والوعيد، والصحابة، والاجتماع والجماعة، والإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكارم الأخلاق)؛ لم يكن للشيخ فيصل بن مبارك إلا تعليقان يسيران فقط، والشرح بهذا ظهر وكأنه جمع لتعليق وكلام العلماء على أدلة الأسماء والصفات.

ه- تعليقات الشيخ غير شاملة، فتعليقه على النصف الثاني من الكتاب، لا يكاد يذكر.

٤- الشروح المطولة: شرحت العقيدة الواسطية بعدة شروح مطولة، وهي وإن كانت غير مقصودة بالمقارنة، إلا أن المهم التنويه إلى مناهجها ومقاصدها، ومقارنتها مع شرح ابن سعدي، والشروح المتوسطة تشارك الشروح المطولة فيما سيرد من نقاط، وذلك كما يلي:

أ- بروز الحرص على جمع الرسائل المهمة لطالب العلم في مجموع واحد، من مثل: المجموعة العلمية السعودية (١٣٦٥هـ)، والتي أشرف عليها سماحة العلامة مفتي الديار محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وهذا مما شحذ همم العلماء لشرح ما لم يشرح منها، وكان منها العقيدة الواسطية[1].

(١) انظر: المجموعة العلمية السعودية، ص٣٠، ٢٣٥.

ب- ظهور الرغبة في تقريب مسائل الاعتقاد، ولا سيما في الأسماء والصفات من خلال الشروح، وبرز هذا في مقدمات الشروح، وفي طريقة الشيخ عبدالعزيز السلمان[1].

ج- اتخاذ الشرح مدخلاً لتقرير مسائل الاعتقاد، وتحليل ألفاظ المتن بشكل موسع، وتأصيل الرد على المخالفين، ولا سيما في مسائل الأسماء والصفات، تبعاً للمتن، وهذا يظهر في مثل شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين[2].

د- بروز الاستدراك على متن الواسطية[3]، وربما ذلك تأثراً بكثرة الشروح، ورغبة في تثبيتها كمرجع للطلاب، خاصة مع وجود انشغال طلاب العلم في الجامعات بمتون وشروح لا تخلو من إشكالات، كشرح الطحاوية.

ه- حرص عدد من الشراح على ذكر قواعد الأسماء والصفات، وهذا ظهر في مثل شرح الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد (التنبيهات السنية)[4].

و- عناية الشراح وتواطؤهم على النقل من كلام الشيخين ابن تيمية وابن القيم، حتى أصبح ذلك سمة للشروح، وتبع ذلك توسع طلاب العلم وأساتذة الجامعات في البحث والتنقيب في هذا الباب، وبرز ذلك في الدراسات الجامعية العليا؛ وهذا مما أضعف من العناية بالمداخل الميسرة، كالتنبيهات اللطيفة، وربما حتى من غيرها من الشروحات.

---

(١) انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ص٤.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، العثيمين، ١/ ٥٥، ١٣٣.

(٣) انظر: مستدرك علوي السقاف على مسائل الواسطية، ملحقاً بكتاب: شرح الواسطية، للشيخ محمد خليل هراس، ص٢٦٦.

(٤) انظر: التنبيهات السنية شرح العقيدة الواسطية، ص٢٤- ٢٦.

من خلال ما سبق لم أجد ظهور تأثر أو تأثير مباشر لشرح (التنبيهات اللطيفة)؛ إلا في كتاب لتلميذ تلميذ الشيخ ابن سعدي، وهو شرح د. خالد المصلح، وقد نص في مقدمته على اقتصاره على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم، إضافة إلى التنبيهات اللطيفة، لابن سعدي، ونقل منه في عدة مواضع[1]، ولعل من أسباب ضعف التأثر والتأثير زيادة التوسع والعناية بتراث الشيخين في الفترة بعد الشيخ السعدي، والتوسع في تأصيل توحيد الأسماء والصفات، والردود على الطوائف المخالفة، مما تجاوزت الحاجة معه إلى المختصرات والمداخل، كالتنبيهات السنية، ولعل من أبرز من الكتب التي اعتنى بها طلاب العلم كتاب تلميذه: القواعد المثلى، لتلميذه النجيب فضيلة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-.

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، المصلح، ص٧.

الخاتمة

بعد هذه الجولة في ثنايا هذا البحث أحمد الله على فضله وتيسيره، ومما تبين للباحث من خلال بحثه ما يلي:

١- ظهور عناية العلماء المعاصرين بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ومن أبرز من اعتنى بها ولخص قواعدها، وقربها، هو ابن سعدي، وبروزه في الجوانب الاعتقادية والفقهية والأصولية على حد سواء.

٢- أن منهج شرح (التنبيهات اللطيفة) قام على أربع نقاط التزمها الشارح وطبقها، ويرى الباحث أن ما ورد في المطلب الأول يصلح مدخلاً لكتب الشيخ السعدي عموماً، ولشرح الواسطية خصوصاً.

٣- تميز شرح (التنبيهات اللطيفة) بعدة معالم ومزايا، لعل منها إبرازها ما يلي:

أ- توافر الأدلة النقلية والعقلية وتنوع وتطابق دلالاتها على معتقد أهل السنة.

ب- الارتباط بين مسائل الاعتقاد، ولا يكون خلاف لذلك إلا برد الحق المنزل.

ج- أثر المعتقد الصحيح على أصحابه في الانتصار والبركة والسعادة.

د- حسن الترتيب في تلخيص العبارات، وإبراز دقة عبارات صاحب المتن.

٤- التعرف على مجالات كتب الشيخ ابن سعدي العقدية، وأن لـ(التنبيهات اللطيفة) خصوصية تتميز بها، ولعل ذلك بسبب مناسبته لمستوى الدارس، وطبيعة المتن، وأن من أواخر تصانيفه العقدية.

٥- مناسبة (التنبيهات اللطيفة) لطالب العلم المبتدئ، وأن أقرب ما يكون من كتب الشيخ إليها هي مقدمة (القول السديد)؛ وتصلح مدخلاً للطالب المبتدئ، وتصلح للعوام.

٦- بروز العقيدة الواسطية كمتن يدرس، ويعتنى بشرحه برز في القرن الرابع عشر،

وتصنيف الشروح لم يظهر مطبوعاً إلا في النصف الثاني منه، ولعل من دواعي هذا ظهور طباعة الكتب، وإنشاء المعاهد العلمية، حيث شحذت همم العلماء لشرح ما لم يشرح من متون العقائد، وكان منها متن العقيدة الواسطية.

٧- مع تميز (التنبيهات اللطيفة)، وكونه في طليعة شروح الواسطية زمناً إلا أنه لم يكن بمكانة غيره من كتب الشيخ ابن سعدي، ويرى الباحث أن ذلك يرجع لأمور، منها:

أ- تأخر طباعة الكتاب في فترة حمي فيها ظهور عدد من الشروح المتميزة.

ب- زيادة التوسع والعناية بتراث الشيخين في الفترة بعد الشيخ السعدي، والتوسع في تأصيل توحيد الأسماء والصفات، والردود على الطوائف المخالفة.

التوصيات:

١- أن تصنف كتب السعدي العقدية على مراحل، يعنينا منها يلي: أولها: (مقدمة القول السديد)؛ وتصلح للعوام.؛ ثانيها (التنبيهات اللطيفة) لطالب العلم المبتدئ.

٢- تقديم دراسة علمية عن شروح الواسطية.

هذا والله أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المراجع

١- التنبيهات السنية شرح العقيدة الواسطية، عبدالعزيز ناصر الرشيد، ط٢، ١٤١٦هـ دار الرشيد - الرياض.

٢- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، عبدالرحمن ابن ناصر السعدي، ت/ ١٣٧٦هـ، ومعها تعليقات عبدالعزيز بن باز، ت/ ١٤٢٠هـ، ت. عبدالرحمن بن رويشد، وسليمان بن حماد، ط٢، ١٤١١هـ، دار الشبل - الرياض - وأعادتها دار الإفتاء، عام ١٤١٤هـ، بعد مراجعة ابن باز ١٤١٢هـ.

٣- التنبيهات اللطيفة، عبدالرحمن السعدي، ومعها تعليقات ومراجعة عبدالعزيز بن باز، عام ١٤١٢ه، ت. عبدالرحمن بن رويشد، وسليمان بن حماد، إشراف دار الإفتاء، ط ١، ١٤١٤هـ دار طيبة - الرياض.

٤- التنبيهات اللطيفة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت/ ١٣٧٦هـ، ومعها تعليقات الشيخ عبدالعزيز بن باز، ت/ ١٤٢٠هـ، ت. محمد بن سليمان البسام، ط ١، ١٤٣١هـ دار ابن الجوزي - الدمام.

٥- التنبيهات اللطيفة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت/ ١٣٧٦هـ، ومعها تعليقات الشيخ عبدالعزيز بن باز، ت/ ١٤٢٠هـ، ت. علي حسن الحلبي، ط ١، ١٤٠٩ه، دار ابن القيم - الدمام.

٦- التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، ت/ ١٣٧٦هـ، عبدالإله الشايع، ط ٢، ١٤٣٥هـ، دار الصميعي - الرياض.

٧- التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، عبدالكريم بن عبدالله الخضير، ط١، ١٤٣٨هـ، مؤسسة معالم السنن - الرياض، دار ابن الجوزي - الدمام.

٨- توضيح الكافية الشافية، عبدالرحمن السعدي، ت/ ١٣٧٦هـ، ط١، ١٤٠٧هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

٩- جامع الرسائل، ابن تيمية (ت/ ٧٢٨هـ)، د. محمد رشاد سالم، ط ١، ١٤٢٢هـ

دار العطاء - الرياض.
١٠- حاشية العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع على العقيدة الواسطية، ت/ ١٣٨٥هـ، مع تعليقات الشيخ ابن باز، ت/ ١٤٢٠هـ، أشرف عبدالمقصود، ط١، ١٤١٥هـ دار أضواء السلف - الرياض.
١١- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط٢، ١٤٠٧هـ، دار ابن القيم - الدمام.
١٢- سنن أبي داود، ت. عزت الدعاس، وعادل السيد، ط١، ١٣٩٣هـ دار الحديث - بيروت.
١٣- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن إبراهيم آل الشيخ ت ١٣٨٩هـ جمع محمد بن قاسم (١٤٢١هـ)، إخراج د. عبدالمحسن بن محمد بن قاسم، ط ٢، ١٤٢٨هـ بدون ذكر دار النشر.
١٤- شرح العقيدة الواسطية، و(ملحق الواسطية)، محمد بن خليل هراس، ت/ ١٣٩٥هـ علوي بن عبد القادر السقاف، ط ٣، ١٤١٥هـ دار الهجرة - الخبر.
١٥- شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين (ت/ ١٤٢١هـ)، سعد الصميل، ط٥، ١٤١٩هـ، دار ابن الجوزي - الرياض.
١٦- شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، خالد بن عبد الله المصلح، ط١، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.
١٧- الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، وجهوده في توضيح العقيدة، د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، ط٢، ١٤١٤هـ، مكتبة الرشد - الرياض.
١٨- صحيح البخاري، ت. د. مصطفى البغا، ط٥، ١٤١٤هـ، دار ابن كثير - دمشق، بيروت.
١٩- صحيح مسلم، ت. محمد فؤاد عبدالباقي، ط ١٤٠٠هـ، إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.
٢٠- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ط٢، ١٤١٩هـ، دار العاصمة - الرياض.

٢١- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق حسن خان القنوجي، ت/ ١٣٠٧هـ د. عاصم بن عبدالله القريوتي، ١٤٢٢هـ، وكالة المطبوعات - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض.

٢٢- القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت/ ١٣٧٦هـ)، ط٢، ١٤٢١هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض.

٢٣- العقيدة الواسطية، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (ت/ ٧٢٨ه)، ت. أشرف عبدالمقصود، ط ٢، ١٤٢٠ه، دار أضواء السلف - الرياض.

٢٤- الكافية الشافية، في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت/ ٧٥١هـ، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد - مجمع الفقه الإسلامي، ط ١، ١٤٢٨هـ، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة.

٢٥- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت/ ٧٢٨هـ، جمع: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، وابنه محمد، ط ١، ١٣٨٢هـ، مطابع الرياض.

٢٦- مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط ١، ١٤٣٢ه، دار الميمان - الرياض.

٢٧- المجموعة العلمية السعودية، مراجعة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ت/ ١٣٨٩هـ، أحمد الطويان، ط ١، ١٤١٨هـ، دار طويق - الرياض.

٢٨- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز بن محمد السلمان، ت/ ١٤٢٢هـ ط ١٠، ١٤٠٣هـ، بدون ذكر دار نشر.

كتب ومواقع إلكترونية:

١- خزانة الكتب - كتب التوحيد والعقيدة، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، إشراف علوي السقاف، على الرابط التالي: file:///C:/Users/ASUS/Downloads/Documents/tawheed-book_2.pdf.

٢- موقع نور الإسلام، الفتاوى، برنامج فتاوى: نور على الدرب، الحلقة (٧٢)، ٢/ ٣/ ١٤٣٣هـ، على الرابط التالي: http://iswy.co/e187ph

أَحْكَامُ البِدْعَةِ عِنْدَ الشَّيْخِ العَلاَّمَة عَبْدُالرَّحْمَنِ بنِ نَاصِرٍ السِّعْدِي وَمَنْهَجُه فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعْ

د. علي بن جابر بن صالح العلياني

الأستاذ المساعد وأستاذ الدراسات العليا

بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد - أبها

المقدمة

الحمد لله الذي امتن على هذه الأمة بأن قيَّض لها في كل فترةٍ زمنيةٍ من يجدد لها دينها، ويوقظها من سبات غفلتها، ويدعوها للتمسك بأصول الدين وشرائعه، ويَرُدُّ على أهل الأهواء والبدع، وخاصةً كلما بَعُدَ الناس عن زمن النبوة.

والصلاة والسلام على خير خلقه، وصفيه من عباده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»(١).

ومعنى قوله ﷺ: «**يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»: «أنه كلما انحرف الكثير من الناس عن جادة الدين الذي أكمله الله لعباده، وأتم عليهم نعمته ورضيه لهم ديناً؛ بعث إليهم علماء، أو عالماً بصيراً بالإسلام، وداعيةً رشيداً، يُبَصِّر الناس بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ الثابتة، ويجنبهم البدع، ويحذرهم محدثات الأمور، ويردهم عن انحرافهم إلى الصراط المستقيم، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فسمى ذلك: تجديداً بالنسبة للأمة، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكمله، فإن التَّغيُّر والضعف والانحراف إنما يطرأ مرة بعد مرة على الأمة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ المبينة له، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ١٧٨)(ح٤٢٩٣) والحاكم في المستدرك (ح٨٥٩٢) (٤/ ٥٦٧)، صححه السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٢٠٣)(ح٢٣٨)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٤٨)(ح٥٩٩).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة « (٢/ ٢٤٧-٢٤٨).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «قال طائفة من العلماء: الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار؛ ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف، وهذا موجود ولله الحمد والمنة إلى زماننا هذا ونحن في القرن الثامن»[1].

فالعلماء في الأرض كما قال ابن القيم -رحمه الله-: « بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب»[2].

ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم جهود واضحة في تقرير العقيدة، ودفع كل ما يعارضها، والرد على أهل الأهواء والبدع، المخالفين لأهل السنة والجماعة: الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- تعالى.

وسأتناول في هذا البحث بمشيئة الله تعالى: منهج الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي في الرد على أهل الأهواء والبدع.

أهداف البحث:

يهدف البحث لأمور منها:

١. بيان المنهج الذي سار عليه الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- في الرد على أهل الأهواء والبدع.
٢. إبراز جهود الشيخ عبدالرحمن السعدي في الرد على أهل الأهواء والبدع.
٣. المساهمة في إبراز بعضٍ من معالم التراث العلمي الزاخر الذي تركه الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله-.

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢٨٧) باختصار.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨).

منهج البحث:

لقد استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع ردود الشيخ -رحمه الله- على أهل الأهواء والبدع، وبيان المنهج الذي سار عليه في ذلك.

خطة البحث:

ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

- المقدمة.
- المبحث الأول: تعريف الهوى والبدعة وأنواع البدعة.
- المبحث الثاني: الأحكام المتعلقة بالبدع وأهل البدع عند الشيخ السعدي.
- المبحث الثالث: معالم منهج الشيخ السعدي في الرد على أهل الأهواء والبدع.
- الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف الهوى والبدعة وأنواع البدعة

المطلب الأول: تعريف الهوى لغة واصطلاحاً:

الهوى في اللغة له معنيان: المعنى الأول: مِنْ هَوَى -بالفتح- يَهْوِي هَوِيًّا وهُوِيًّا وهَوَيانـاً، بمعنى: سـقط من علو إلى سُـفْل، يقـال: أَهْوَيْتُه؛ إذا أَلْقَيْتَه من فوق، ومنه قوله ﷻ: ﴿هَوَىٰ﴾ [النجم:٥٣]؛ أي أَسْقَطَها فَهَوَت؛ أي سَقَطَت [١].

المعنى الثاني: من هَوِيَ يَهْوَى، بمعنى: أحبَّ وأراد واشتهى[٢]، قال أهل اللغة: «الهوى: محبةُ الإنسـانِ الشـيءَ وغَلَبَتُهُ على قلبِه، قال الله تعـالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعـات: من الآية ٤٠] معناه: ونهى النفس عن شـهواتها، وما تدعو إليه من معاصي الله ﷻ»[٣].

والهـوى المقصود هنـا يجمع المعنيين جميعـاً فإنه يميل بالنفس لما تشـتهي، ويَهْوِي بصاحبه فيما لا ينبغي.

الهوى اصطلاحاً:

اختلفـت عبارات العلماء رحمهم الله في بيان معنـى الهوى، وكلها تدور حول معنى واحد وهو: ميل النفس إلى شهواتها في حلال أو حرام، إلا أنه غلب استعمال

---

(١) انظـر: معجـم مقاييس (٦/ ١٥)، الصحـاح (٦/ ٢٥٣٨)، المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٤٥٠) مادة (هوى).

(٢) انظر: كتاب العين (٤/ ١٠٥)، الصحاح (٦/ ٢٥٣٨)، المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٤٥٢).

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٢٥).

هـذا المصطلـح على الميل المذموم الـذي يكون على غير هدى مـن الله تعالى[1]، ومن أجمع ما عُرِّف به الهوى أنه :» كل ما خالف الحق، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد«[2].

ومعنى الهوى عند الشـيخ السعدي -رحمه الله-: شـهوات النفس المعارضة للحـق، حيث قال في تفسـير قولـه تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾[النسـاء: ١٣٥] أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عـن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحـق باطلاً والباطل حقـاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سـلم من هوى نفسه وُفِّق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم«[3].

وأهـل الأهواء: هم: المتَّبِعُون لأهوائهم، السـائرون خلف رغباتهم، وصاحب الهـوى هـو: «الذي يعتقد ويقول ويعمـل بما يهواه، لا بما قامت بـه الحجة، وأقرَّه الدليل من دين الله تعالى»[4].

قال شـيخ الإسلام ابن تيمية: « كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسُّنة والشـريعة في مسائل الاعتقاد الخبرية، ومسائل الأحكام العملية؛ أهل الأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسُّنة جهلٌ لا علم، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير علم»[5].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥ / ٤٠٧)، المفردات في غريب القرآن (ص ٥٤٨)، مجموع الفتاوى (٤ / ١٨٩).

(٢) الهوى وأثره في الخلاف (ص ١٧) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص٢٠٨).

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١ / ٦٦١).

(٥) جامع الرسائل (٢ / ٢٠٥).

وقال الشيخ السعدي عن أهل الأهواء:» الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ هواه وإرادته؛ فإنه من أهواء الذين لا يعلمون«(٦).

وقال أيضاً: « كل من لم يستجب للرسول ﷺ، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول ﷺ؛ فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى"(٧).

ومصطلح أهل الأهواء يُطلق على أهل البدع كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية: «كان السلف يعدُّون كل من خرج عن الشريعة في شيءٍ من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء، ويذمونهم بذلك، ويأمرون بألا يُغْترَّ بهم؛ ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام»(٨).

المطلب الثاني: تعريف البدعة لغة واصطلاحاً:

البدعة في اللغة: مصدر بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابتداعاً(٩)، ولها في اللغة معنيان:

الأول: بمعنى أنشأه وابتدأه على غير مثال سابق.

والثاني: بمعنى الانقطاع والكَلال والهُزال.

قال ابن فارس:» الباء والدال والعين (بدع) أصلان: **أحدهما**: ابتداء الشيء

---

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص٧٧٧).

(٧) المصدر نفسه (ص٦١٧).

(٨) الاستقامة (١ / ٢٥٤) .

(٩) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢ / ٣٣)، لسان العرب (٨ / ٦) مادة (بدع).

وصنعُـه لا عَـنْ مِثال، والآخر: الانقطاع والكَلال، فالأول قولهم: أبْدعْتُ الشـيءَ؛ قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأتَه لا عن سابق مثال، والأصل الآخر قولهم: أُبْدِعَتِ الراحلةُ، إذا كَلَّت»[1].

ولفظ البدعة يدخل فيما تخترعه القلوب، وفيما تنطق به الألسـنة، وفيما تفعله الجوارح[2].

وهي في اللغة عامةٌ في كل ما استحدث من الدين وغيره[3]، ثم غَلَب استعمالها على ما هو زيادةٌ في الدين، أو نقصان منه[4].

والبدعة في اللغة عند الشـيخ -رحمه الله-: «ما أُحْدِثَ على غير مثال سـابق»، ونأخـذ هـذا المعنى عنـده -رحمه الله- من تفسـيره لقولـه تعالى﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[البقـرة من الآيـة: ١١٧]، حيث قال: «أي: خالقها على وجه قد أتقنهما، وأحسنهما على غير مثال سبق»[5].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩ - ٢١٠) باختصار، مادة (بدع).

(٢) انظر: كتاب الحوادث والبدع (ص٢١).

(٣) انظـر: كتاب العين (٢/ ٥٤)، المحكـم والمحيط الأعظم (٢/ ٣٣)، المحيـط في اللغة (١/ ٤٣٠) مادة بدع.

(٤) انظر: المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب (١/ ٦٢)، المصباح المنير (١/ ٣٨).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٦٤).

البدعة في الاصطلاح:

عرفها الشيخ -رحمه الله- بأنها: « كل بدعة أحدثت في الدين ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة، سواء كانت من البدع القولية الكلامية، كالتجهم والرفض والاعتزال وغيرها، أو من البدع العملية كالتعبد لله بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله»[1].

وعرفها كذلك بأنها: «الابتداع في الدين، فإن الدين هو: ما جاء به النبي ﷺ في الكتاب والسنة، وما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة فهو من الدين، وما خالف ذلك فهو البدعة، هذا هو الضابط الجامع"[2]، وقال أيضاً: « البدعة هي: خلاف السنة»[3].

والمبتدع هو: من أحدث في الدين مالم يكن فيه.

قال الطبري: «سمي المبتدعُ في الدين :مبتدعاً؛ لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره، وكذلك كلُّ مُحْدِثٍ فعلاً أو قولاً لم يتقدمه فيه متقدم؛ فإن العرب تسميه مبتدعاً «[4].

والمبتدع عند الشيخ السعدي هو:» من أَخْبَرَ بغير ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، أو تعبد بشيء لم يأذن الله به ورسوله، ولم يشرعه»[5].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار(ص١٧).

(٢) الفتاوى السعدية (ص٦٣).

(٣) سؤال وجواب في أهم المهمات (ص٢٢).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٥٤٠).

(٥) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار(ص١٧).

وقال أيضاً: «فمن تعبد بغير الشرع، أو حرم ما لم يحرمه الشارع فهو مبتدع»[1]؛ بل إنه أضاف -رحمه الله- إلى المبتدعة من حرَّم المباحات[2].

أما مصطلح أهل الأهواء فإنه يُطلق على كل من زاغَ عن الطريقة المثلى من أهل القِبلة[3].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- : « كان السلف يعدُّون كل من خرج عن الشريعة في شيءٍ من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء، ويذمونهم بذلك، ويأمرون بألا يُغْترَّ بهم؛ ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام »[4].

وقال الشاطبي -رحمه الله-: « سُمِّي أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتَّبَعُوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها؛ حتى يصدروا عنها؛ بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك »[5].

---

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات (ص٢٣ - ٢٤).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار(ص ١٧).

(٣) انظر: المُغرِب في ترتيب المُعرِب (٢ / ٣٩٢).

(٤) الاستقامة (١ / ٢٥٤).

(٥) الاعتصام (١ / ٦٨٣).

المطلب الثالث: أنواع البدعة:

ذكر الشيخ -رحمه الله- أن البدعة نوعان[1]:

النوع الأول: البدع الاعتقادية: ويقال لها: البدع القولية، كالتجهم والرفض والاعتزال وغيرها.

وهي -كما ذكر الشيخ -رحمه الله-- المذكورة في قوله ﷺ: «**وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة كُلُّهَا فِي النَّار إِلَّا وَاحِدَة، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَارَسُولَ الله ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[2]، فأهل السنة المحضة: السالمون من البدع الذين تمسكوا بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الأصول كلها، أصول التوحيد والرسالة والقدر، ومسائل الإيمان وغيرها.

وغيرهم من خوارج ومعتزلة وجهمية وقدرية ورافضة ومرجئة ومن تفرع عنهم، كلهم من أهل البدع الاعتقادية"[3].

النوع الثاني: البدع الفعلية العملية: وهي: التعبُّد بغير ما شرع الله ورسوله ﷺ،أو تحريم ما أحل الله ورسوله ﷺ، وهي داخلة في قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فمن تعبَّدَ بغير الشرع، أو حرَّم ما لم يحرمه الشارع فهو مبتدع[4].

---

(١) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار(ص ١٧)، الفتاوى السعدية (ص٦٣)، القول السديد في مقاصد التوحيد(ص ٢٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨) (ح٤٤٤)، وابن بطة العكبري في الإبانة (١/ ٣٦٩) (ح٢٦٥).

(٣) انظر: الفتاوى السعدية(ص٦٣-٦٤)، سؤال وجواب في أهم المهمات(ص ٢٣).

(٤) انظر: سؤال وجواب في أهم المهمات (ص٢٣-٢٤)، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة (ص ١٥٧).

وهذا النوع -أي: التعبد لله بعبادات لم يشرعها- على نوعين كذلك[1]:

الأول: التعبد لله بعبادة لم يشرعها أصلاً.

الثاني: التعبد لله بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصفة.

ثم أشار الشيخ -رحمه الله- إلى أن من قصور العلم لدى بعض الناس إدخال بعض العادات التي ليست عبادات في باب البدع حيث قال: «ولهذا من قصور العلم جعل بعض العادات التي ليست عبادات بدعاً لا تجوز، مع أن الأمر بالعكس؛ فإن الذي يحكم بالمنع منها وتحريمها هو المبتدع، فلا يحرم من العادات إلا ما حرمه الله ورسوله؛ بل العادات تنقسم إلى أقسام: ما أعان منها على الخير والطاعة؛ فهو من القرب، وما أعان على الإثم والعدوان؛ فهو من المحرمات، وما ليس فيه هذا ولا هذا؛ فهو من المباحات»[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٦).

(٢) الفتاوى السعدية (ص٦٤).

المبحث الثاني: الأحكام المتعلقة بالبدع وأهل البدع عند الشيخ السعدي

لقد أمرنا الله ﷻ بالاتباع، وترك الابتداع، والتسليم الكامل لما جاء في كتابه العزيز، وسنة نبيه ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر من الآية: ٧]، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[١].

قال الشيخ -رحمه الله- في منظومة القواعد الفقهية:

وليس مشروعـًا من الأمور غيرُ الذي في شرعنا مذكور[٢]

المطلب الأول: الأحكام المتعلقة بالبدع في الدنيا:

١. أن البدعة ضلالة:

فبعد أن نقل الشيخ -رحمه الله- قوله ﷺ عن الفرقة الناجية: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي[٣]»، قال: «فمن كان على هذا الوصف فهو صاحب سُنَّة محضة، ومن كان من بقية الفرق فهو مبتدع، وكل بدعة ضلالة»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نَقْض الأحكام الباطلة، وردّ مُحْدَثات الأُمُور (ح١٧١٨) (٣/ ١٣٤٣).

(٢) (ص١٣٠).

(٣) سبق تخريجه (ص٤) من هذا البحث.

(٤) سؤال وجواب في أهم المهمات (ص ٢٢-٢٣).

٢. **أن البدع سببٌ في العناء وحصول الشر، كما أنها سببٌ كذلك في التخبط:**

وقد جعل -رحمه الله- البدع سبباً في العناء وحصول الشر حيث قال في تفسير قوله تعالى﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة من الآية: ١٥٨]، قال: «ودل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه لا يحصل له إلا العناء، وليس بخير له؛ بل قد يكون شراً له؛ إن كان متعمداً، عالماً بعدم مشروعية العمل»(١).

وجعل البدع سبباً كذلك في التخبط في الظلمات، كلٌّ بحسب ما معه من موادها، فقال: «والكافر، أو المنافق، أو المعارض، أو المعرض الغافل كل هؤلاء يتخبطون في الظلمات، كل له من الظلمة بحسب ما معه من موادها وأسبابها»(٢).

٣. **أن البدع تتفاوت بحسب قربها أو بعدها عن الحق:**

ومن أحكام البدع كذلك: أنها ليست على درجة واحدة؛ بل تتفاوت بحسب قربها أو بعدها عن الحق قال الشيخ السعدي -رحمه الله- عن أهل البدع: من الخوارج والمعتزلة والجهمية والقدرية والرافضة والمرجئة ومن تفرع عنهم، قال: "كلهم من أهل البدع الاعتقادية، وأحكامهم متفاوتة بحسب بعدهم عن أصول الدين وقربهم، وبحسب عقائدهم أو تأويلهم، وبحسب سلامة أهل السنة من شرهم في الأقوال والأفعال وعدمه"(٣)، وقال أيضاً: «وتتفاوت البدع بحسب بُعدها عن السنة»(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص٧٦).

(٢) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية (ص ٩٥).

(٣) الفتاوى السعدية (ص٦٣ - ٦٤).

(٤) سؤال وجواب في أهم المهمات (ص٢٣).

وقال كذلك: «فكل الطوائف الثلاث[1] خاضوا في القدر خوضاً منحرفاً، وبعضهم أغلظ من بعض، وكلهم عن الصراط ناكبون»[2].

وقال -رحمه الله- عن قول الجبرية في القدر: «وهذا القول من أشنع البدع وأنكرها، وهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأئمة المهتدين، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومخالف للعقول والفطر، ومخالف للمحسوس، وكل قول يمكن صاحبه أن يطرده إلا هذا القول الشنيع، فإنه لا يمكن أن يعمل به ويطرده»[3].

وحكم -رحمه الله- على الرافضة والجهمية بأنهما أشر أهل البدع، فقال: «الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع؛ بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهما: الرافضة والجهمية»[4].

المطلب الثاني: الأحكام المتعلقة بأهل البدع في الدنيا:

١. **أقسام أهل الأهواء والبدع**: قسم الشيخ -رحمه الله- أهل الأهواء والبدع في الدنيا إلى أقسام متنوعة:

« **القسم الأول**: من هو كافرٌ بلا ريب كغلاة الجهمية، الذين نفوا الأسماء والصفات، وقد عرفوا أن بدعتهم مخالفةٌ لما جاء به الرسول ﷺ، فهؤلاء مكذبون

---

(١) القدرية النفاة، والقدرية المجبرة، والقدرية المشركين، ويقصد بالقدرية المشركين: الذين اعتذروا عن شركهم وتحريمهم ما أباح الله بالمشيئة، وجعلوا مشيئة الله هي محبته، فقالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾(الأنعام من الآية: ١٤٨).

(٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص ١٦).

(٣) المصدر نفسه (ص ٢٤).

(٤) القول السديد في مقاصد التوحيد (ص ٨١).

للرسول عالمون بذلك"[1].

ولكنه -رحمه الله- يذهب إلى عدم تكفير أهل البدع على التعيين؛ وإن كانت المقالة أو الاعتقاد كفراً، وإنما يقال: من اعتقدها أو عمل بها فهو كافر- كما هو منهج السلف من أهل السنة والجماعة -.

قال -رحمه الله-: «وعلى هذا[2] عمل الصحابة والتابعين، فإن البدع التي ظهرت في زمانهم كبدعة الخوارج والمعتزلة والقدرية ونحوهم مشتملة على رد النصوص من الكتاب والسنة، وتكذيبها وتحريفها، وذلك كفر، لكن امتنعوا من تكفيرهم بأعيانهم؛ لوجود التأويل، فلا فرق بين تكذيب الخوارج لنصوص الشفاعة، وتكذيبهم للنصوص الدالة على إسلام وإيمان أهل الكبائر، واستحلالهم لدماء الصحابة والمسلمين، وتكذيب المعتزلة بالشفاعة لأهل الكبائر، ونفي القدر، والتعطيل لصفات الله، وغير ذلك من مقالاتهم، وبين تأويل من أجاز دعاء غير الله والاستغاثة به، فاتضح لنا من ذلك أن من وقعت منه مثل هذه الأمور جهلاً وتقليداً، أو تأويلاً من غير عناد؛ أنه لا يُحكم بتكفيره بعينه وإن كانت هذه الأمور الواقعة منه كفراً»[3].

« القسم الثاني: من هو مبتدعٌ ضالٌّ فاسقٌ، كالخوارج المتأولين، والمعتزلة المتأولين، الذين ليس عندهم تكذيبٌ للرسول ﷺ، ولكنهم ضلوا ببدعتهم، وظنوا أن ما هم عليه هو الحق، ولهذا اتفق الصحابة رضي الله عنهم في الحكم على بدعة الخوارج ومروقهم؛ كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة فيهم، واتفقوا على عدم خروجهم من الإسلام؛ مع أنهم استحلوا دماء المسلمين وأموالهم،

---

(١) توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص٢٤٥).

(٢) أي: عدم تكفير المعين إلا بعد توفر شروط التكفير، وانتفاء موانعه.

(٣) الفتاوى السعدية (ص٥٨٠-٥٨١) باختصار.

وأنكروا الشفاعة في أهل الكبائر، وكثيراً من الأصول الدينية، ولكن تأويلهم منع من تكفيرهم.

القسم الثالث: من هو دون هؤلاء ككثير من القدرية والكلابية والأشعرية؛ فهؤلاء مبتدعةٌ ضالون في الأصول التي خالفوا فيها الكتاب والسنة، وهي معروفة مشهورة، وهم في بدعهم مراتب بحسب بعدهم عن الحق وقربهم، وبحسب بغيهم على أهل الحق بالتكفير والتفسيق والتبديع، وبحسب قدرتهم على الوصول إلى الحق، واجتهادهم فيه، وضد ذلك»[1].

وقد وصف الشيخ -رحمه الله- أهل الأهواء والبدع بالضلال؛ حيث قال: «كان السلف يقولون: أهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم؛ قعدت بهم عقائدهم، ووجه الاعتبار أن أهل السنة مهتدون، وأهل البدع ضالون»[2].

وجعل -رحمه الله- اجتناب البدع من أحسن الطرق التي يسلكها العبد في أمور الدين، فقال: «أحسن طريق يسلكه العبد في أموره الدينية: الاجتهاد في تفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتحقيق الإخلاص للمعبود في كل عمل وقول وعقيدة وطريقة، وتحقيق متابعة الرسول ﷺ، واجتناب البدع الاعتقادية، والبدع العملية»[3].

٢. جواز قتل الدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم:

ومن الأحكام المتعلقة بأهل الأهواء والبدع في الدنيا: أنه يجوز قتل دعاة

---

(١) توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص٢٤٥-٢٤٦).

(٢) الفتاوى السعدية (ص٤٤).

(٣) المصدر نفسه (ص٢٨).

البدع الذين لا ينكف شرهم، وهذا ما ذهب إليه الشيخ -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

قال: «ودلت الآية على أن القتل يجوز بأحد أمرين: إما أن يقتل نفساً بغير حق متعمداً في ذلك، فإنه يحل قتله، إن كان مكلفاً مكافئاً، ليس بوالد للمقتول.

وإما أن يكون مفسداً في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم إلا بالقتل»[1].

وهذا حكم السلف رحمهم الله تعالى مع دعاة البدع، فقد قتل خالد بن عبدالله القسري؛ الجعد بن درهم، وقتل سلم بن الأحوز الجهم بن صفوان[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحرورية والرافضة ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء هما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد فإن النبي ﷺ قال: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**»[3]، وقال: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٢٢٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٩/ ٢٤٦) (٩/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (ح٦٥٣١) (٦/ ٢٥٣٩).

لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1]، ولأن علي بن أبي طالب ﷺ طلب أن يُقتل عبد الله بن سبأ، أول الرافضة، حتى هرب منه، ولأن هؤلاء من أعظم المفسدين في الأرض، فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا، ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يُظهر هذا القول، أو كان في قتله مفسدة راجحة، ولهذا ترك النبي ﷺ قتل ذلك الخارجي ابتداءً؛ لئلا يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه، ولم يكن إذ ذاك فيه فسادٌ عام، ولهذا ترك علي ﷺ قتلهم أول ما ظهروا؛ لأنهم كانوا خلقاً كثيراً، وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهراً، لم يحاربوا أهل الجماعة ولم يكن يتبين له أنهم هُم"[2].

وتنفيذ هذا الحكم - أعني قتل دعاة البدع - منوطٌ بولي أمر المسلمين، فهو من اختصاص الإمام المسلم، والحاكم الشرعي، وليس ذلك لآحاد الناس.

المطلب الثالث: الأحكام المتعلقة بأهل الأهواء والبدع في الآخرة:

ومن أحكام أهل الأهواء والبدع - الذين يفرحون ببدعهم ويَدْعُون إليها - في الآخرة استحقاقهم للعذاب يوم القيامة، فالمبتدع الذي يفرح ببدعته، ويدعو إليها، فإنه مستحق للعذاب يوم القيامة، كما ذكر الشيخ -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران الآية:١٨٨].

قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾أي: بمحل نجوة منه وسلامة؛ بل قد استحقوه، وسيصيرون إليه، ولهذا قال﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ويدخل في هذه الآية

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله ﷻ: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٦] (ح ٣١٦٦) (٣/ ١٢١٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٩- ٥٠٠).

الكريمـة :كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفـرح بها، ودعا إليها، وزعم أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل البدع"[1].

وذكر -رحمه الله- أن «العمل المبني على سوء القصد، وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين»[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٦٠) باختصار.

(٢) المصدر نفسه (ص ٣٥٢).

المبحث الثالث: معالم منهج الشيخ السعدي في الرد على أهل الأهواء والبدع:

تنوع منهج الشيخ -رحمه الله- في عرضه لأقوال أهل الأهواء والبدع، والرد عليهم فيما خالفوا فيه منهج أهل السنة والجماعة، ويتجلى معالم منهج الشيخ -رحمه الله- فيما يلي:

المطلب الأول: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في الرد على أهل الأهواء والبدع:

لقد اتسم منهج أهل السنة والجماعة بالاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في كل زمان ومكان، في شتى مناحي الحياة؛ ففيهما صلاح الدين والدنيا، وفيهما الهداية من كل ضلالة، والرشاد من كل غواية؛ بخلاف منهج أهل الأهواء والبدع، الذين أعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة، واعتمدوا على العقل بديلاً للنقل، فضلوا وأضلوا.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: «لقد وضَّح الله ﷻ ورسوله ﷺ في الوحيين؛ المسائل والدَّلائل، والحقائق اليَقِينِيَّة، والبراهين القطعِيَّة، فمن تَمسَّك بهما، واهتدى بِهَدِيهِمَا سعد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنهما، أو عارضهما؛ ضلَّ عن الهُدَى وشَقِيَ، ونال الصَّفقة الخاسرة»[1].

فأهل الأهواء والبدع كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية «لا يعتمدون على الكتاب والسنة وإجماع السلف، وإنما يعتمدون على العقل واللغة، يتأوَّلون القرآن برأيهم وفهمهم؛ بلا آثارٍ عن النبي ﷺ وأصحابه، وإذا تَدبَّرت حُججهم وجدت

(١) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين(ص ٣).

دعاوى لا يقوم عليها دليل»[1].

والشيخ السعدي -رحمه الله- في الرد على أهل الأهواء والبدع؛ سار على منهج السلف الصالح في الاعتماد على الكتاب والسنة، والاستدلال بنصوصهما، امتثالاً لقوله تعالى﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء من الآية: ٥٩].

قال -رحمه الله-: « والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حَكَماً، وأن يَرُدَّ ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله، وبذلك يكون دين العبد كله لله، وتوحيده خالصاً لوجه الله»[2].

« فإنه لا أصدق من الله ورسوله قيلاً وحديثاً، ولا أعظم وأوضح من بيان الله ورسوله، وقد تكفل الكتاب والسنة - على وجه التفصيل - ببيان جميع ما يحتاجه العباد من العقائد، والأخلاق، والأعمال، والحقوق، والمعاملات تفصيلاً وتوضيحاً لو اجتمعت العقلاء كلهم من أولهم إلى آخرهم لم يقدروا أن يأتوا بشيء يُقاربه في الحسن، والتوضيح، والإحكام»[3].

وذكر -رحمه الله- أن المعرفة النافعة، هي المعرفة المتلقاة من الكتاب والسنة، «فينبغي للمؤمن أن تكون معرفته سالمة من داء التعطيل، ومن داء التمثيل؛ اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ؛ بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان،

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١١٩).

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد (ص١٣٦)، وانظر كذلك: الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص ٦٦).

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة (ص ١٥٧).

فهذه المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة في يقينه، وطمأنينة في أحواله"[1]، «فكلما ازداد العبد معرفةً بكتاب الله وسنة رسوله، ازداد إيمانه ويقينه، وقد يصل في علمه وإيمانه إلى مرتبة اليقين»[2]؛ بل جعل الشيخ -رحمه الله- الكتاب والسنة المصدران الموصلان للحق، وما سواهما باطل وضلال حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤] «هذه الآية جمعت كل علم صحيح، وذلك أن العلم: إما مسائل نافعة، وإما دلائل مصيبة؛ فأنفع المسائل المشتملة على الحق - وهو الصدق والعدل والقسط والاستقامة ظاهراً وباطناً - وأهدى الدلائل وأرشدها ما هدى السبيل الموصل إلى المطالب العالية، والمراتب السامية، فالكتاب والسنة كفيلان بهذين الأمرين على أكمل الوجوه، وأتمها وأبينها، وما سوى ذلك فهو باطل وضلال؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال، وما بعد الهداية إلى السبيل المستقيم إلا الهداية إلى سبيل الجحيم، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان من الآية: ٣٣]»[3].

وهذا المنهج ظاهر في كتب الشيخ -رحمه الله- تعالى في تقرير العقيدة بشكل عام، وعند الرد على أهل الأهواء والبدع على وجه الخصوص، فإنه يندر أن يتناول مسألة من مسائل الاعتقاد إلا ويستشهد على ذلك بأدلة الكتاب والسنة المطهرة.

وهذا المنهج في كتب الشيخ أعظم وأوضح من أن يُستدل عليه، ولكن سأذكر هنا بعض الأمثلة التي تبين هذا المنهج عند الشيخ -رحمه الله-؛ على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص٤٥).

(٢) المصدر نفسه (ص٤٦).

(٣) المواهب الربانية من الآيات القرآنية(ص٥٠).

- قال -رحمه الله-: «وفي قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة من الآية: ٢٤] ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافاً للمعتزلة، وفيها أيضاً: أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار؛ لأنه قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ فلو كان عصاة الموحدين يخلدون فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة»[1].
- وقال عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ البقرة من الآية: ١٤٣] «وفي هذه الآية، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة: أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح»[2].
- وقال -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة الآية: ٢١٠] قال: «وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان»[3].
- وقال الشيخ -رحمه الله- في تفسير قول الحق I: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٦).

(٢) المصدر السابق (ص٧١).

(٣) المصدر نفسه (ص٩٤).

وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم الآية:٥٢] «والفرق بين النداء والنجاء، أن النداء هو الصوت الرفيع، والنجاء ما دون ذلك، وفي هذه إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه: من النداء، والنجاء، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً لمن أنكر ذلك، من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم»[1].

- وعند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير الآيتان: ٢٨-٢٩] قال: «فهذه الآية فيها: رد على القدرية النفاة، وعلى القدرية المجبرة، وإثبات للحق الذي عليه أهل السنة والجماعة.

فقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ أثبتت أنه لهم مشيئة حقيقية، وفعلاً حقيقياً، وهو الاستقامة باختيارهم، فهذا رد على الجبرية، وقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن ﴾ أخبر أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله، وأنها لا توجد بدونها، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ففيها رد على القدرية القائلين: إن مشيئة العباد مستقلة، وليست تابعة لمشيئة الله؛ بل عندهم: يشاء العباد ويفعلون ما لا يشاؤه الله ولا يقدره»[2].

والأمثلة على هذا المنهج عند الشيخ -رحمه الله- كثيرة جداً، لا يمكن حصرها.

---

(١) المصدر نفسه (ص٤٩٦).

(٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص ٢٣).

المطلب الثاني: الاستشهاد بأقوال السلف في الرد على أهل الأهواء والبدع:

كان الشيخ -رحمه الله- يستشهد بأقوال السلف الصالح الذين عُرف عنهم الاتباع لنصوص الشرع، وسلامة المعتقد.

قال -رحمه الله-: «ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد، وغيره، يقولون: (ناظروا القدرية بالعلم، فإن أنكروا العلم كفروا، وإن اعترفوا به خصموا)، يعني: أن القدرية النافين لعلم الله بأفعال عباده، جاحدون لنصوص الكتاب والسنة، المصرحة بإحاطة علم الله، بما كان وما يكون من أعيان وأوصاف، وأفعال، مما دق وجل، فمن أنكر ذلك فقد كَذَّب الكتاب والسنة صريحاً، وذلك هو الكفر، وإن اعترفوا بإحاطة علم الله بكل شيء، وبأفعال العباد قبل وقوعها - كما هو القول الذي استقر عليه مذهبهم - خصموا»»[1].

واستشهد بقول الإمام مالك في مسألة الاستواء فقال: « قال الإمام مالك لمن سأله عن كيفية الاستواء على العرش: (الاستواء معلوم. والكيف مجهول. والإيمان به واجب. والسؤال عنه بدعة)، فمن سأل عن كيفية علم الله، أو كيفية خلقه وتدبيره، قيل له: فكما أن ذات الله تعالى لا تشبهها الذوات، فصفاته لا تشبهها الصفات، فالخلق يعرفون الله، ويعرفون ما تعرف لهم به، من صفاته وأفعاله. وأما كيفية ذلك فلا يعلم تأويله إلا الله»[2].

وكان -رحمه الله- كثيراً ما ينقل إجماع السلف من أهل السنة والجماعة في المسألة التي يناقشها مع أهل الأهواء والبدع:

---

(١) المصدر السابق (ص ٢١).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص ١٨٤).

قال -رحمه الله-: «وأما تقسيم بعض أهل الكلام الباطل: أن صفات الأفعال لا تقوم بذات الله؛ بل الفعل عندهم عين المفعول؛ فهذا قولٌ باطلٌ بالكتاب والسنة والإجماع من السلف»(١).

ونقل اتفاق المسلمين على أن الله خلق للعباد من القدرة والإرادة ما به يفعلون الطاعة أو المعصية فقال: «وهؤلاء القدرية أثبتوا أن الله خالق للعباد لأعيانهم وأوصافهم، ولم يثبتوا أنه خالق لأفعالهم، فأخرجوا أفعال العباد عن قدر الله، ولم يهتدوا إلى ما اهتدى إليه أهل السنة، من أن الله كما أنه الذي خلقهم، خلق ما به يفعلون من قدرتهم وإرادتهم، ثم فعلوا الأفعال المتنوعة من طاعة، ومعصية بقدرتهم وإرادتهم اللتين خلقهما الله باتفاق المسلمين»(٢).

وقال أيضاً: «كما أجمع المسلمون: أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»(٣).

وقال -رحمه الله- في حكم المتأول المخطئ: «اختلف الناس في المتأول المخطئ في الأصول من المؤمنين؛ فكثير من أهل الكلام والبدع فسقوه أو كفروه، وتبعهم من أخذ بقولهم على عِلاَّته.

ومذهب جمهور الأمة، وسائر الأئمة المقتدى بهم؛ أن الخطأ في المسائل العلمية كالخطأ في المسائل العملية، أن الله رفع المؤاخذة فيها عن المؤمنين المجتهدين، وإنما اللوم والإثم في ترك الواجب لغير عذر، أو التجرؤ على المحرم الذي يعلمه محرماً، والله تعالى أعلم»(٤).

---

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين الكافية الشافية (ص ١٠١).

(٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص ١٨).

(٣) المصدر نفسه (ص: ١٨).

(٤) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد(ص١٢٧).

ونقل الإجماع كذلك على أنه لا يُثبت لله من الأسماء والصفات إلا ما ورد في الكتاب والسنة فقال: «ومما يجب أن يُعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنى، والصفات العلى على الباري جل وعلا إذا ورد بها الإذن من الشارع، وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه»(١).

المطلب الثالث

الاستدلال بالعقل في الرد على أهل الأهواء والبدع:

الشيخ -رحمه الله- - كما سبق - سار على منهج السلف في الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في الرد على أهل الأهواء والبدع امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء من الآية:٥٩]، إلا أنه في مناقشة أهل البدع؛ كان يستدل بالحجج والبراهين العقلية لبيان صحة مذهب أهل السنة والجماعة، وفساد مذهب أهل الأهواء والبدع.

فالعقل كما ذكر الشيخ -رحمه الله- « هو الدليل للعبد، وهو المرشد له في جميع المطالب، فما دام العقل عقلاً حقيقياً، فلا يترتب عليه إلا كل خير ونفع عاجل وآجل، وإنما يُخشى الشر والضرر من أحد أمرين: إما قصوره وتقصيره، وإما تعديه ومجاوزته الحد الذي حُدَّ له؛ إذا كان صاحبه في الحالين يعتقد استقامته وكماله، فحينئذ عليه أن يحترز من كل حالة منهما بما يليق بها ويناسبها»(٢).

إلا أن العقل يجب أن يكون مرتبطاً بالشرع، ومعتمداً عليه، قال الشيخ -رحمه

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (ص١١).

(٢) الفتاوى السعدية (ص٥٣).

الله-: «ولكن العقل مُؤَيدٌ للشرع، ومعترفٌ بكمال الشرع وهدايته، وأنه مضطر إلى الشرع، ومُكْتمِلٌ بإرشاداته، ومُهْتدٍ بأنواره، فالعقول لا تستنير، ولا تستقيم حق الاستقامة؛ إلا بالدين والشرع»(١).

وكان الشيخ -رحمه الله- يرى أن الأدلة العقلية المذكورة في الكتاب والسنة أعظم مما عند المتكلمين من الأدلة؛ مع وضوح الدلالة، والسلامة من النقص، حيث قال:» فإن ما في الكتاب والسنة من البراهين العقلية، والأدلة الحسية، وتنبيه العقول على جميع المطالب العالية؛ ما لو جمعت جميع ما عند النظَّار والمتكلمين من البراهين لكان جزءاً يسيراً بالنسبة لما في الكتاب والسنة، مع وضوح دلالته، وسلامته من الغلط والنقص، والاختلال بوجه من الوجوه، وهي براهين يفهمها العالم والجاهل، والذكي والبليد»(٢).

قال -رحمه الله- في الرد على من ينفي صفات الله ﷻ من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية ونحوهم، ويتأول لأجلها الآيات القرآنية، قال: «فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي؛ بل ولا دليل عقلي، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها؛ بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل أن تخرج عن ظاهرها، ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأما العقل فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات؛ بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قيل لهم: الكلام

---

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة (ص ٢٣٠).

(٢) المصدر السابق (ص ١٥٧ - ١٥٨).

علـى الصفـات، يتبع الكلام على الـذات، فكما أن لله ذاتا لا تشـبهها الذوات، فلله صفات لا تشـبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه، تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه»[1].

وقد ذكر الشـيخ السـعدي -رحمـه الله- أن إبطـال قول الخصـم يكون بأحد الأمور التالية:

- إبطال الدليل الذي استدل به.
- أو بإبطال دلالته على مطلوبه.
- وقد يكون بإبطال نفس المقالة التي ينْصُرُها وإفسادِها.
- وقد يكون بإثبات نقيض ما قاله الخصم قولاً ودليلاً؛ لأن النقيض للشـيء متى صح أحدُهما بطل الآخر»[2]

ومـن البراهيـن والحجج العقلية التي كان يعتمد عليها الشـيخ -رحمه الله- في نقض عقائد أهل الأهواء والبدع ما يلي:

١. **ذكـر اللوازم الفاسـدة على العقائد المبتدعة:** فـكان -رحمه الله- يرد على أهل الأهـواء والبـدع بذكر اللوازم الفاسـدة الباطلة؛ التي فيها مُشـاقَّةٌ لله ورسـوله، وفيها فسادٌ للدين والدنيا والآخرة.

- ومـن ذلـك ما ذكـره -رحمه الله- عنـد عرضه لمعنـى الإيمان عنـد الجهمية، وتفسـيرهم له: بأنـه المعرفة فقـط، وإخراجهم أعمال الجوارح وقول اللسـان من مسمى الإيمان، قال -رحمه الله-: «فمن لوازم هذا القول الفاسد، المعلوم فسـاده بالضـرورة: أن إبليس وفرعون وقـارون، وقوم عاد وثمـود، وقوم نوح

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٩٤-٩٥).

(٢) انظر: المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص٤٩).

ونحوهم، وإيمان أبي جهل وأبي لهب ونحوهما من أئمة الكفر وسائر الكفرة الذين يعرفون أن الله خلقهم ليسوا كفاراً، وهذا اللازم لهذا القول الباطل؛ معلومٌ عند كل أحد أنه باطلٌ منكرٌ»[1].

- وقال -رحمه الله- في الرد على الجهمية الذين ينفون فعل العبد: «فلزمهم على تقريرهم هذا أمران باطلان:

أحدهما: أن تُنفى عن العباد قدرتهم على أفعالهم.

ثانياً: أن يُنفى صدورها منهم.

فيقال على قولهم: لم يقدروا على الإسلام والإيمان، ولا الصلاة والصيام ونحوها، وإذا فعلوها يصح أن يقال: لم تصدر منهم، وإنما يُقال ذلك على وجه المجاز لا الحقيقة.

فتصور قولهم بلوازمه المذكورة تعرف به فساده وبطلانه»[2].

- وقال -رحمه الله- في الرد على الجبرية القائلين: بأن العبد مجبور على أفعاله: «ويلزم على قول الجبرية أيضاً: إسقاط الأمر والنهي؛ لأنه كيف يؤمر وينهى من لا قدرة له على امتثال الأمر، واجتناب النهي؟.

ويلزم أيضاً على قولهم: إسقاط الحدود عن جميع أهل الجرائم؛ إذ كيف يعاقبون وتقام عليهم الحدود، وهم غير قادرين؛ بل مجبورون؟! فهذا القول الباطل مخالف لجميع أصول الدين وفروعه.

ويلزم أيضا على قول الجبرية: تعطيل الأسباب الدينية والدنيوية، وذلك: أن الله تعالى جعل الأسباب موصلة إلى مسبباتها؛ وأمر العباد بسلوك كل سبب نافع

(١) توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص ١٦ - ١٧).

(٢) المصدر نفسه (ص ٢٦) باختصار.

لهم في دينهم ودنياهم[1].

وهذه اللوازم التي ذكرها الشيخ -رحمه الله- في غاية القوة والوضوح في نقض عقائد أهل الأهواء والبدع، فالمبتدعة لا يستقيم لهم قول، ولا يصح لهم دليل؛ لمخالفتهم الصريحة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢. ضرب الأمثال ليحصل المقصود ويزول الإشكال:

وهذا المنهج الذي سار عليه الشيخ -رحمه الله-، هو طريقة الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة، يحصل به البيان والمقصود، ويزول به الشك والحيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «والله سبحانه ضرب الأمثال للناس في كتابه لما في ذلك من البيان، وضَرْبُ الأمثال مما يَظْهَر به الحال، وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده»[2].

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله-:» فهذه الطريقة من طرق التعليم العالي، ولهذا ضرب الله الأمثال في كتابه للأمور المهمة، وكذلك النبي ﷺ قد ضرب الأمثال ليحصل البيان ويزول الإشكال"[3]، كما أن «الأمثلة تزيد البصير بصيرة، وتزيل عن الشاك، الطالب للحق؛ الريب والحيرة»[4].

ثم ضرب -رحمه الله- بعض الأمثلة المتنوعة، والمتعلقة بمسألة القضاء والقدر، وهي[5]:

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص ٢٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٤٧- ٣٤٨) باختصار.

(٣) توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص ٣٣).

(٤) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص ٨١).

(٥) المصدر نفسه (ص ٨٢ - ١٠٢)، وقد آثرت عدم ذكر تفاصيل هذه الأمثلة خوفاً من الإطالة.

المثال الأول: المحاورة بين رجل عاصٍ مسرف، وصاحبه الناصح.

المثال الثاني: رجل جاء لبعض العلماء، فقال له: أحب أن ترشدني إلى أمر يطمئن له قلبي، وتقنع به نفسي، من جهة القضاء والقدر.

المثال الثالث: قضية الرجل الجبري الذي كان يعتذر بالقدر عند كل جليل وحقير، حتى آلت به الحال إلى الاستهتار، وانتهاك أصناف المعاصي، وكلما نُصح ولِيمَ[1] على أفعاله، جعل القدر حجة له في كل أحواله.

المثال الرابع: مخاصمة بين القدري والجبري، فالقدري يعتقد: أن أفعال العباد لا تتعلق بها مشيئة الله وبين جبري يعتقد ضد ذلك، وأنهم مجبورون على أفعالهم، واقعة بغير اختيارهم؛ لأنهما متباعدان في طرفي نقيض، فاتفقا على التحاكم إلى عالم من علماء أهل السنة، يعرفان كمال معرفته، وكمال دينه.

المثال الخامس: في الآجال والأرزاق، وأنهما كسائر الأشياء؛ مربوطة بقضاء الله وقدره، فالله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر؛ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف الآية: ٣٤]، فهذا أمر لا ريب فيه ولا شك، ومع ذلك فهي أيضاً كغيرها: لها أسباب دينية، وأسباب طبيعية مادية، والأسباب تبع قضاء الله وقدره.

---

(١) من اللوم، يعني: لامه أحد على فعله.

المطلب الرابع: عرض أقوال أهل الأهواء والبدع وشبههم ثم الرد عليها:

كان الشيخ -رحمه الله- يعرض أقوال أهل الأهواء والبدع، وشبههم، ثم يشرع في الرد عليها ونقضها، وتفنيدها بالنصوص الشرعية، والدلائل العقلية، وهذا المنهج شائع وظاهر في كتبه -رحمه الله-.

- قال -رحمه الله- في عرضه لمذهب الجبرية: « الجبرية القائلين: إن العبد مجبور مقهور على جميع أقواله وأفعاله؛ وإنه لا قدرة له على شيء منها؛ بل هي عندهم واقعة بغير اختياره.

وهذا القول باطل بالكتاب والسنة، وباطل بالعقل والحس، وجميع المسلمين من جميع الطوائف أهل السنة وغيرهم ينكرون هذا المذهب ويتبرؤون منه.

فيقول هذا المشبه على المسلمين، المشكك لهم: إذا كان الله قضى عليَّ بالكفر، وقدَّر عليَّ ألا أكون مسلماً، أو قدَّر عليَّ المعاصي، وألا أكون طائعاً؛ فكيف لي الخلاص من الكفر والمعاصي؟.

وكيف أتمكن من الإيمان والطاعة بعدما قضى عليَّ الكفر والمعصية؟ فهل أكون معذورا إذا تجرأت على الكفر والفسوق والعصيان، وأنا لا حيلة لي في الانفكاك عنها؟.

وكيف أجمع بين الرضا بالقضاء، وبين الرضا بالمقضي، من الكفر والمعاصي؛ فإن الله لا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان، فكيف قدرها علي، وهو لا يرضاها؟.

وجوابه على وجه الإجمال بسيط ولله الحمد، فإنه لا يَرِدُ على مذهب جمهور طوائف المسلمين، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الهدى المشهود لهم بالعلم والإيمان؛ بل ولا على مذهب المعتزلة والقدرية والخوارج وغيرهم من

أهل البدع، فإن الجميع يقولون بما جاء به الكتاب والسنة من إثبات الأصلين:

أحدهما: الاعتراف بأن جميع الأشياء كلها أعيانها، وأوصافها وأفعالها بقضاء وقدر، لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته؛ بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والأصل الثاني: أن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي وغيرها واقعة بإرادتهم وقدرتهم؛ وأنهم لم يجبروا عليها؛ بل هم الذين فعلوها؛ بما خلق الله لهم من القدرة والإرادة.

فهذا الإيراد الذي أورده هذا المشكك وما أشبهه من الإيرادات التي يحتج بها أهل المعاصي بالقدر، يجيبونهم بهذا الجواب المفحم فيقولون: دلت أدلة الكتاب والسنة الكثيرة على أن الله خالق كل شيء، وعلى كل شيء قدير، وأنَّ كل شيء بقضاء وقدر: الأعيان والأوصاف والأفعال.

ودلت أيضاً أدلة الكتاب والسنة: أن العباد هم الفاعلون لفعلهم حقيقة بقدرتهم واختيارهم، فإنه تعالى نسب إليهم، وأضاف إليهم كل ما فعلوه من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية، وإنه تعالى مكَّنَهم من هذا ومن هذا، ولكنه تعالى حبب إلى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وولى الآخرين ما تولوا لأنفسهم، حيث اختاروا الشر على الخير، وأسباب العقاب على أسباب الثواب، وهذا كما أنه معلوم بالضرورة من الشرع، فهو معلوم بالحس الذي لا يمكن أحدا المكابرة فيه، فإن العبد يفرق بين أفعاله التي يقسر ويجبر ويقهر عليها، وبين أفعاله التي يختارها ويريدها، ويحب حصولها[1].

- وقال في مذهب القدرية النفاة: «وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون: إن أفعال العباد، وطاعاتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره.

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص ٩ - ١٣) باختصار.

فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يُرِدْهَا ولم يَشَأْها منهم؛ بل هم الذين أرادوها وشاؤوها، وفعلوها استقلالاً بدون مشيئة الله.

ويزعمون أنهم بهذا القول ينزهون الله عن الظلم؛ لأنه لو قَدَّر المعاصي عليهم، ثم عذبهم عليها، لكان ظالماً لهم، وللزم من إثبات قدرة الله على أفعالهم الجبر، الذي هو باطل بالشرع والعقل.

ولكنهم بهذا القول الباطل ردوا نصوصاً كثيرة من الكتاب والسنة، تُثبت وتُصرِّح أن جميع أعمال العباد من خير وشر، وطاعة ومعصية؛ بقضاء الله وقدره، كما أجمع المسلمون أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[1].

المطلب الخامس: العدل والإنصاف في الرد على أهل الأهواء والبدع:

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: «قد أمر الله بالعدل في مواضع كثيرة من كتابه، وأمر بالعدل بين الناس في المقالات، والمذاهب، والدماء، والأموال، والأعراض، وسائر الحقوق، ونهى عن الظلم في كل شيء، وذم الظالمين، وذكر عقوباتهم»[2].

وهذا منهج رباني، وسنة نبوية؛ يجب مراعاته مع القريب والبعيد، وفي حال المحبة، أو العداوة والبغض، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة الآية:٨].

(١) المصدر السابق (ص ١٧ - ١٨) باختصار.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة (ص ٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومعلوم أنا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة مثل الملوك المختلفين على الملك والعلماء والمشايخ المختلفين في العلم والدين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل لا بجهل وظلم، فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح قط بحال، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾، وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغضٌ مأمور به، فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نُهى صاحبه أن يظلم من أبغضه؛ فكيف في بغض مسلمٍ بتأويلٍ وشبهةٍ، أو بهوى نفس، فهو أحق أن لا يُظلم بل يعدل عليه، وأصحاب رسول الله ﷺ أحق من عدل عليهم في القول والعمل، والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته، والثناء على أهله ومحبتهم، والظلم مما اتفقوا على بغضه وذمه وتقبيحه وذم أهله وبغضهم»[1].

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢] قال: «﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ قولاً تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾ في قولكم، بمراعاة الصدق في من تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه، أو في مقالته؛ من الظلم المحرم؛ بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يُعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبُعدها منه»[2].

ومن الأدلة كذلك على وجوب العدل والإنصاف، قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٢٦- ١٢٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٢٨٠).

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء الآية: ١٣٥].

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- :»يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ والقوَّام صيغة مبالغة، أي: كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط، الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته؛ بل تصرف في طاعته، والقسط في حقوق الآدميين أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك، كما تطلب حقوقك، ومن أعظم أنواع القسط: القسط في المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما؛ بل يجعل وجهته العدل بينهما"[1].

وقد جعل -رحمه الله- اتباع الهوى سبباً وعائقاً مانعاً من العدل والقسط مع الناس، حيث قال: «والقيام بالقسط من أعظم الأمور، فيتعين على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نُصْب عينيه، ومحل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به، وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ النساء الآية: ١٣٥]، أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه؛ حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم»[2].

وبين -رحمه الله- أن هذا المنهج المعتدل عند أهل السنة والجماعة سببه التسليم والاتباع للكتاب والسنة حيث قال: « فأهل السنة والجماعة عندهم من

---

(١) المصدر نفسه (ص ٢٠٨) باختصار.

(٢) المصدر نفسه (ص ٢٠٨ - ٢٠٩).

الأصـول الصحيحة، وملازمة مـا دل عليه الكتاب والسـنة، والتصديق بذلك كله، والخـوف من الله ما يمنعهم مـن التعدي على الخلق، وعلى أعدائهم من أهل البدع والكلام الباطل، ولا يحملهم بغضهم وعداوتهم على مجاوزة الحد فيهم؛ بل ينزلون كلاً من أقسامهم منزلته، متبعين في ذلك ما جاء به الوحي، وما دلت عليه أصوله»[1].

وقـال -رحمـه الله- في شـرحه للكافية الشـافية: « أمـا أهل السـنة والجماعة فيسـلكون معهم ومع جميع أهل البدع المسـلك المسـتقيم، المبني على الأصول الشـرعية، والقواعـد المرضيـة، ينصفونهـم، ولا يكفـرون منهـم إلا مـن كفره الله ورسوله»[2].

فمـن إنصافـه -رحمـه الله- في عرضـه لمقـالات أهل الأهـواء والبـدع أنه لا يسـتخدم أسـلوب التعميم على كامل من ينتسـب إلى الفرقة التـي يعرض أقوالها، يقول -رحمه الله- عن مذهب القدرية: «فأما القدرية النفاة؛ فهم الذين يُطلق عليهم أكثر العلماء اسم القدرية، وأكثر أهل المعتزلة على هذا المذهب الباطل»[3].

فلـم يجعـل هذا القـول - أي نفي القدر - قـولاً للمعتزلة كافة، ولم يسـتخدم منهـج التعميم؛ الذي يسـير عليه من قلت بضاعته من العلـم، وهذا يدل على عدله وإنصافه في نسبة المذهب إلى أصحابه.

ومـن إنصافه -رحمه الله- أنه يذكر ما عنـد أهل الأهواء والبدع من الحق، ولا يقصره على أهل السـنة والجماعـة فقط، فعندما ذكر مذهـب الجبرية القائلين: إن العبد مجبور مقهور على جميع أقواله وأفعاله؛ وأنه لا قدرة له على شيء منها، قال:

---

(١) توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (ص٢٤٤).

(٣) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص١٧) باختصار.

«وهـذا القـول باطل بالكتاب والسـنة، وباطل بالعقل والحس؛ وجميع المسـلمين مـن جميع الطوائف - أهل السـنة وغيرهم - ينكرون هـذا المذهب ويتبرؤون منه، مذهـب الجبريـة الذي يتبرأ منه جميع الطوائف سـوى غلاة الجهميـة، فإنه - أي : مذهـب الجبريـة - لا يرد علـى مذهب جمهور طوائف المسـلمين، مـن الصحابة والتابعين لهم بإحسـان، وأئمة الهدى المشـهود لهم بالعلم والإيمان؛ بل ولا على مذهب المعتزلة والقدرية والخوارج وغيرهم من أهل البدع»[1].

ومـن عدله وإنصافـه -رحمه الله- مع الأشـخاص بأعيانهم، ما ذكـره عن ابن الجـوزي -رحمه الله-[2] في مسـألة الصفات، وما وقع منـه في كتابه (صيد الخاطر) حيث قال الشـيخ -رحمه الله-: «ابن الجوزي -رحمه الله- وغفر له إمامٌ في الوعظ والتفسـير والتاريخ، وكذلك هو أحد الأصحـاب المصنفين في فقه الحنابلة، ولكنه -رحمـه الله- خلـط تخليطـاً عظيمـاً في بـاب الصفـات، وتبـع في ذلـك الجهمية والمعتزلة، فسـلك سـبيلهم في تحريف كثير منها، وخالف السـلف في حملها على ظاهرها، وقدح في المثبتين، ونسبهم إلى البلاهة، وهذا الموضوع من أكبر أغلاطه، ومع ذلك فإن له تصانيف كثيرة جداً حسنة، فيها علم عظيم، وخير كثير، وهو معدودٌ من الأكابر الأفاضل»[3].

---

(١) المصدر نفسه (ص١٠).

(٢) وإن كان ابـن الجـوزي -رحمه الله- لا يصنف ضمن أهل البدع، وإنما كما ذكر الشـيخ أن كل أحد مأخوذ من كلامه ومتروك سوى النبي ﷺ، ولولا أن هذه الكتب موجودة بين الناس؛ لكان الإنسان في مندوحة عن الكلام فيه، لأنه من أكابر أهل العلم وأفاضلهم، وهو معروف بالدين والورع والنفع، ولكن لكل جواد كبوة. انظر: الفتاوى السعدية (ص٧٥).

(٣) الفتاوى السعدية (ص ٧٥- ٧٦) باختصار.

الخاتمة

وبعـد: فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحـات، أحمده ﷻ على فضله وإنعامه، وأشـكره علـى توفيقـه وامتنانه، وأصلي وأسـلم علـى خير خلقه ﷺ، وأسـأل الله ﷻ كمـا أعانـني على إكمال هـذا البحث وإتمامـه؛ أن يتقبلـه، وأن يجعله خالصـاً لوجهه الكريم.

أهم نتائج البحث:

أما أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث فهي كالتالي:

- أن البدعة عند الشيخ السعدي: « كل ما أُحدِث في الدين ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، سواء كان من البدع القولية الكلامية، أو من البدع العملية».

والمبتـدع عنده:» من أَخْبَر بغير ما أخبر الله به ورسـوله ﷺ، أو تعبد بشـيء لم يأذن الله به ورسـوله، ولم يشـرعه، أو حرَّم ما لم يحرمه الشـارع، وأضاف -رحمه الله- إلى المبتدعة من حرَّم المباحات.

- أن البدع تتفاوت بحسب قربها أو بعدها عن الحق.
- جواز قتل الدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شـرهم، واسـتحقاقهم للعذاب يوم القيامة، وتنفيذ حكم القتل على دعاة البدع منوطٌ بولي أمر المسلمين.
- التزام الشـيخ عبدالرحمن السـعدي -رحمه الله- بمنهج أهل السنة والجماعة في مسـائل الاعتقـاد عمومـاً، وفي الـرد علـى أهل الأهـواء والبـدع على وجه الخصـوص، وفي هذا أكبر دليل، وأبلغ رد على من يكيل الاتهامات لعلماء هذه البلاد المباركة، ويصفهم بالتشدد والتطرف، والبعد عن منهج الوسطية.
- براعة الشـيخ -رحمه الله- في عرض أقوال أهل الأهواء والبدع، واستقرائه لها،

وبراعته كذلك في الاستدلال بالعقل للرد على أهل الأهواء والبدع، كل ذلك بألفاظ سهلة واضحة، يفهمها العالم والجاهل.

- أن منهج الشيخ -رحمه الله- اتسم بالعدل والإنصاف في رده على أهل الأهواء والبدع.
- أن الذي يقرأ في كتب الشيخ -رحمه الله- يجد لذلك أثراً في نفسه، وكأنك تقرأ لعلماء السلف المتقدمين، ولا أرى جامعاً في ذلك؛ إلا الإخلاص الذي جعل على كلامه نوراً، وقبولاً عند من يقرأه، وصدق والله عندما قال: "كل ذلك لا بد فيه من الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ؛ فمن جمع الله له الأصلين أفلح وسعد، ومن فاته الأمران أو أحدهما خسر خسراناً مبيناً، ومن كان تارة وتارة استحق من الخير والثواب والمدح بقدر إخلاصه ومتابعته قلة وكثرة، وقوة وضعفاً؛ فلا أنفع للعبد من جعل الإخلاص والمتابعة نصب عينيه في كل ما يأتي وما يذر، وفي كل ما يقول ويفعل؛ حتى يكون الإخلاص له نعتاً والمتابعة له وصفاً، وتضمحل عن قلبه جميع المقاصد والأغراض المنافية للإخلاص"[1].

رحم الله الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء، وجعل ما كتبه وسطره رفعة في درجاته، وعُلوّاً في منزلته.

كما أسأل الله ﷻ للقائمين على هذا المؤتمر أن يبارك لهم في أعمارهم وأوقاتهم، وأن يُصلح لهم النية والذرية، وأن يجزيهم خيراً على جهدهم ووقتهم،

---

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي (٢١/ ١٢٧).

وألا يحرمهم الأجر والمثوبة، لقاء ما قاموا به لإقامة هذا المؤتمر، والذي سيسهم بلا شك في إبراز التراث العلمي الزاخر الذي تركه الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- تعالى .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين

المراجع

- الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد حمدان العُكْبَري، تحقيق/ رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
- الاستقامة لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق/ د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة الأولى/ ١٤٠٣هـ.
- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان - الخُبر، الطبعة الأولى/ ١٤١٨هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق/ محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الخامسة/ ١٤٢٤هـ.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، لأبي عبد الله عبدالرحمن ابن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق/ عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- تفسير أسماء الله الحسنى، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد، الناشر/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ.
- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق /

أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى / ١٤٢٠ هـ .

- توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية، للشيخ/ عبدالرحمن ابن ناصر السعدي، اعتنى به ونسَّقه وعلق عليه/ أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م .
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به/ ياسر ابن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٣٦هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق/ عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى/ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري دار الجيل - بيروت، دار الأفاق الجديدة - بيروت .
- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن القيم، الطبعة الثانية/ ١٤٠٧ه - ١٩٨٧م .
- الحوادث والبدع، لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق/ بشير محمد عيون، الطبعة الثانية/ ١٤١٢هـ، مكتبة المؤيد - الطائف .
- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق/ أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار المنهاج - القاهرة، الطبعة الأولى/ ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م .
- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة/ بدون.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة/ بدون.
- سؤال وجواب في أهم المهمات، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى بنشرها وتحقيقها وتخريج أحاديثها/ عبد السلام بن برجس العبد الكريم، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثالثة/ ١٤٠٨هـ.
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق / د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - بيروت، الطبعة الثالثة/ ١٤٠٧ه .
- الفتاوى السعدية، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الثانية/ ١٤٠٢ه - ١٩٨٢م .
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب/ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، لناشر/ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع - الرياض .
- القواعد الفقهية (المنظومة وشرحها)، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى بها/ محمد بن ناصر العجمي، إصدار المراقبة الثقافية - إدارة مساجد محافظة الجهراء، الطبعة الأولى/ ١٤٢٨ - ٢٠٠٧م .
- القول السديد في مقاصد التوحيد، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به/ د. المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤١٦ه - ١٩٩٦م.
- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق / د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الطبعة بدون .
- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي المصري، الطبعة الأولى/ ١٩٩٧م، دار صادر - بيروت.
- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى/ ١٤٣٢ه - ٢٠١١م.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق / عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر ٢٠٠٠م.
- المحيط في اللغة، لأبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس، تحقيق/ الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١١ه- ١٩٩٠م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة : بدون.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية / ١٣٩٩هـ.
- المُغْرب في ترتيب المُعْرب لناصر الدين بن عبد السيد بن علي المُطَرِّزِيّ، تحقيق/ محمود فاخوري، و عبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد - حلب، الطبعة الأولى/ ١٩٧٩م.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق/ محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، الناشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به/ عمر بن عبدالله المقبل، دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الهوى وأثره في الخلاف، لعبدالله بن محمد الغنيمان، دار ابن الجوزي - الدمام، القاهرة، الطبعة الأولى/ ١٤٢٩هـ

جهود العلامة عبد الرحمن السعدي

في الرد على المخالفين (الملاحدة أنموذجاً)

(ورقة عمل)

أ.د. علي بن عمر بن محمد السحيباني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

المقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، واشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وبعد:

فإنه مما لا شك فيه أن هناك طرقا وأبوابا عديدة للدعوة إلى عقيدة السلف؛ فكل يسلك الطريق الذي ييسره الله له؛ إلا أن الله قد بارك لبعض خلقه، فاستعملهم في نشر العقيدة الصحيحة، ويسر لهم كل الطرق وفتح لهم جميع الأبواب.

وكان من هؤلاء؛ العلامة عبد الرحمن السعدي الذي بارك الله له؛ فلم يترك الشيخ طريقا يوصل إلى المعتقد الصافي إلا سلكه.

ومن أبرز الطرق التي سلكها الشيخ والأبواب التي فتحها في نشر دعوته لعقيدة السلف هو التصدي بالرد على المخالفين لمعتقد أهل السنة، وذلك بدحض شبههم وإبطال حججهم.

وإبرازا لهذا المسلك الهام الذي سلكه الشيخ ضمن جهوده لنشر عقيدة السلف أذكر بعضاً من ردوده لشبهات الملاحدة كنموذج لهذا المسلك.

ولبيان جهود الشيخ عملت وفق الخطة التالية:

المبحث الأول: الرد على المخالف، وفيه:

- أهمية الرد على المخالفين.
- أقسام الناس في الرد على المخالف.

- **المبحث الثاني: جهود الشيخ ابن سعدي في الرد على الإلحاد، وفيه:**
- نماذج عامة من جهود الشيخ في التصدي للإلحاد.
- سبب الإلحاد، ودواعي انتشاره.
- الوقاية من خطر الإلحاد.
- الإلحاد المعاصر.
- رد المذهب الإلحادي، والمنهج العام للشيخ في بيان ذلك.
- **المبحث الثالث: مصنفات الشيخ في مناقشة الملحدين ومنهجه في الرد عليهم:**
- وقفات مع رسالة: "تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله".
- وقفات مع رسالة "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين".
- وقفات مع رسالة "انتصار الحق".
- **الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.**

وقبل أن أنهي هذه المقدمة أتقدمُ بأزكى الشكرِ وأطيبه لجامعتنا المباركة، على ما تقدمه من عونٍ وجهدٍ في سبيلِ نشرِ العلمِ والمعرفةِ، وأخصُ بالشكرِ والتقديرِ القائمين على هذا المؤتمر جزاء ما يبذلونه من جهودٍ مباركةٍ آتت ثماراً يانعة، للتعريف بهذا الإمام وجهوده للأمة فجزاهم الله خيرَ الجزاء.

هذا وأسألُ الله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل، كما أسأله سبحانه بأسمائِه الحسنى وصفاته العلا أن يوفقنا جميعاً للعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، وأن يعيننا جميعاً على ما قصدنا من خدمةِ الدين والعلم بهذا المؤتمر، والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: الرد على المخالف:

أهمية الرد على المخالفين.

إن مناظرة المخالفين والرد عليهم من الأصول العظيمة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ومعلوم أن هذا أصل مهم، وبه حُفظت بيضة السنة، وكان-بعد توفيق الله- درعاً متيناً تكسرت عليه رماح المبتدعة وسهامهم المغرضة، حتى كان بعض السلف يُعرض نفسه للقتل لعدم تركه الرد على المخالف.

قال ابن طاهر المقدسي الحافظ: سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري يقول: "عُرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت"(١).

أقسام الناس في الرد على المخالف.

وقد كثر اليوم الخوض في مسألة الرد على المخالف، وصار الناس في هذه المسألة وأشباهها من المسائل الشرعية إلى ثلاثة أقسام؛ طرفان ووسط.

فقسم غالٍ: ما إن يرَ من طائفة أو فرد -كائناً من كان- بدعة أو مخالفة، إلا وينتصب للرد عليه وإيقاع أحكام المبتدعة والضالين على ذلك المخطئ، متدرعاً بمقالات السلف في الرد على المخالف وعقوبته وزجره، دون مراعاة للشروط والضوابط الشرعية، بل ربما اشتط وزاد على ذلك بإغلاق باب الاجتهاد، ومنع التقليد لغيره في ذلك، وصار يوالي ويعادي على قوله، فيجره ذلك إلى مفاسد أعظم من مفسدة الخطأ والبدعة التي تصدى لإنكارها، كإحداث الفرقة بين أهل السنة، والتنفير منهم، ونشر الضغائن والأحقاد بين المنتسبين للعلم، وغير ذلك.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٠٧).

وقسم ثانٍ: لا يقل خطراً عن الأول: تجافى عن العمل بهذا الأصل العظيم والجهاد الكبير، وعما يترتب عليه من العقوبات الشرعية للمخالفين بحجة جهاد الكفار، ووحدة صف المسلمين، وترك الاختلاف والتفرق وغير ذلك، فأدى ذلك إلى مفسدة أكبر مما خاف من وقوعه، كانتشار البدع، وظهور رؤوس الفرق، ورواجهم بين عامة أهل السنة، واختلاط السنة بالبدع ومحدثات الأمور، وغير ذلك.

وهذان القسمان: قال في شأنهما ابن تيمية: "قد يبغى بعض المستنة -يعني أهل السنة- إما على بعضهم، وإما على نوع من المبتدعة، بزيادة على ما أمر الله به، وهو الإسراف، المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾

وبإزاء هذا العدوان تقصير آخرين فيما أمروا به من الحق، أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في هذه الأمور كلها، فما أحسن ما قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين، لا يبالي بأيهما ظفر غلواً أو تقصيراً"(١).

وقسم ثالث: هم الوسط: آمنوا بمشروعية الرد على المخالف وضرورة القيام به، لكن بفقه وعلم وحكمة، وفق أحكامه وضوابطه الشرعية وهؤلاء هم أتباع سنة النبي ﷺ، والسلف الصالح حقاً(٢).

وكان من هذا القسم في هذه العصور المتأخرة؛ الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي، الذي اتبع منهج الله المتمثل في كتابه وسنة نبيه ﷺ، ملتزما في ذلك نهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) الفتاوى (١٤/ ٤٨٣).

(٢) ينظر: مقدمة كتاب شذور ولطائف في آداب الرد على المخالف لحمد بن عبد العزيز ابن عتيق.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في شرحه لحديث: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[1]: «فيدخل في ذلك التفقه في العقائد، ومعرفة مذهب السلف فيها، والتحقق به ظاهرا وباطنا، ومعرفة مذاهب المخالفين، وبيان مخالفتها للكتاب والسنة»[2].

وفي هذا البحث المختصر أعرض ما تيسر من جهود الشيخ ومنهجه في ردوده على المخالفين من خلال رده على الملاحدة خصوصا، مستلهماً ذلك من بعض كتابته ورسائله.

(١) البخاري (١٠٣٧).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٢٢).

المبحث الثاني: جهود الشيخ ابن سعدي في الرد على الإلحاد.

نماذج عامة من جهود الشيخ في التصدي للإلحاد.

إن الناظر في كتب ورسائل العلامة عبد الرحمن السعدي يجد أنه كان حريصا كل الحرص على منازلة أهل الإلحاد؛ فكلما سنحت له فرصة في الرد عليهم انتهزها ووجه إليهم ردودا تقضي على ما يبثونه من شبهات، وما ينطقون به من ضلالات.

وفيما يلي استعراض بعض النماذج من ردود الشيخ على الإلحاد، والملحدين، وهي قليل من كثير؛ توضح للقارئ كم كان الشيخ غيورا على دينه، بصيرا بمواضع الخطر، قويا في الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، حريصا على الدعوة لله تعالى، ناصحا للإسلام وأهله.

مع ما تميز به الشيخ السعدي رحمه الله بإدراك الواقع من حوله، وكان شأنه كشأن الربانيين من العلماء يستشعر الخطر الزاحف على أمة الإسلام ويعلم من أي الأبواب يأتي الخطر، وما ذلك إلا لسعة اطلاعه وفهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولاقتفائه أثر العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولا سيما شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

وبهذا الإدراك استشعر الشيخ قدوم الإلحاد غازياً أفكار المسلمين وأراضيهم.

يقول الشيخ رحمه الله: «نبغت في هذه الأزمان المتأخرة فرقة خبيثة زنادقة أنكروا جميع ما جاءت به الرسل، وأنكروا وجود الباري، ولم يثبتوا من العلوم إلا العلوم الطبيعية التي وصلت إليها معارفهم القاصرة، فبناء على هذا المذهب الذي هو أبعد المذاهب عن الحقيقة شرعا وعقلا أنكروا آدم وحواء، وما ذكره الله ورسوله عنهما، وزعموا أن هذا الإنسان كان حيوانا قردا، أو شبيها بالقرد، حتى

ارتقى إلى هذه الحال الموجودة، وهؤلاء اغتروا بنظرياتهم الخاطئة المبنية على ظنون عقول من أصلها فاسدة، وتركوا لأجلها جميع العلوم الصحيحة، خصوصا ما جاءتهم به الرسل، وصدق عليهم قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [غافر: ٨٣]، وهؤلاء أمرهم ظاهر لجميع المسلمين، ولجميع المثبتين وجود الباري، يعلمون أنهم أضل الطوائف، ولكن تسرب على بعض المسلمين من هذا المذهب الدهري بعض الآثار والفروع المبنية على هذا القول»[1].

- **سبب الإلحاد، ودواعي انتشاره:**

قرر الشيخ في كثير من المواضع أن سبب الإلحاد هو اتباع العقل وإعماله فيما لا اختصاص له فيه، وبين أن العقول قاصرة وغير مؤهلة لاكتشاف جميع العلل والحكم للكون وحوادثه، وأن العقول مهما نضجت لابد لها من الزلل والاضطراب في ظل بعدها عن خالقها.

يقول الشيخ رحمه الله: «إن ملاحدة الفلاسفة المعطلين لله ولكتبه ورسله، المكذبين لهم أوقعتهم عقولهم الفاسدة في الهلاك، حيث حكموها في البحث عن علة إيجاد هذا الكون فلم تهتدِ لذلك لقصورها وتقصيرها، فزعم كثير منهم أن هذا العالم قديم، وأنه لم يزل ولا يزال؛ وبذلك أنكروا وجود الرب العظيم. ومن باب أولى أنكروا رسله، وكتبه وتضاربت نظرياتهم الفاسدة فضلوا وأضلوا. ولقد صدق عليهم قوله تعالى﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر:٨٣] ثم إن هؤلاء الفلاسفة الملاحدة في هذه الأوقات أبطلوا بأنفسهم نظرية أسلافهم وأحدثوا لهم نظريات متعددة متضاربة،

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ١٧٨).

مبنيـة على الخرص، والجهـل المركب ولم يزالوا في اضطراب. وهذه حالة كل من تـرك الحق واسـتكبر عنه وتاه بعقله، قال تعالـى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾ [ق:٥]»[1].

- **أما عن دواعي انتشار الإلحاد.**

يقرر الشيخ أن سبب انتشار الإلحاد هو كثرة الفتن في آخر الزمان، وإقبال الناس على الدنيا وزهدهم في العلم والتفقه في الدين، وارتباطهم بالمادة، وكذلك وقوعهم في الشهوات المحرمة، وملابستهم الشبهات بغير علم.

يقول الشـيخ رحمه الله: «فإنه ﷺ أخبر، أنه في آخر الزمان يقل الخير وأسـبابه، ويكثر الشـر وأسـبابه، وأنه عند ذلك يكون المتمسك بالدين من الناس أقل القليل، وهـذا القليـل في حالة شـدة ومشـقة عظيمة، كحالـة القابض على الجمـر، من قوة المعارضيـن، وكثـرة الفتـن المضلـة، فتن الشـبهات والشـكوك والإلحـاد، وفتن الشـهوات وانصـراف الخلق إلـى الدنيا وانهماكهـم فيها، ظاهـرا وباطنا، وضعف الإيمـان، وشـدة التفـرد؛ لقلة المعين والمسـاعد؛ ولكن المتمسـك بدينـه، القائم بدفـع هذه المعارضات والعوائق التي لا يصمد لها إلا أهل البصيرة واليقين، وأهل الإيمان المتين، من أفضل الخلق، وأرفعهم عند الله درجة، وأعظمهم عنده قدرا.

وأما الإرشـاد، فإنه إرشـاد لأمتـه، أن يوطنوا أنفسـهم على هـذه الحالة، وأن يعرفـوا أنـه لا بد منها، وأن مـن اقتحم هذه العقبات، وصبر علـى دينه وإيمانه -مع هـذه المعارضـات- فإن له عند الله أعلى الدرجات، وسـيعينه مـولاه على ما يحبه ويرضاه؛ فإن المعونة على قدر المؤنة.

وما أشـبه زماننا هذا بهذا الوصف، الذي ذكره ﷺ، فإنه ما بقي من الإسلام إلا

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية (ص: ٤٨-٤٩).

اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، إيمان ضعيف، وقلوب متفرقة، وحكومات متشتتة، وعداوات وبغضاء باعدت بين المسلمين، وأعداء ظاهرون وباطنون، يعملون سرا وعلنا للقضاء على الدين، وإلحاد وماديات، جرفت بخبيث تيارها وأمواجها المتلاطمة الشيوخ والشبان، ودعايات إلى فساد الأخلاق، والقضاء على بقية الرمق، ثم إقبال الناس على زخارف الدنيا بحيث أصبحت هي مبلغ علمهم، وأكبر همهم، ولها يرضون ويغضبون، ودعاية خبيثة للتزهيد في الآخرة، والإقبال بالكلية على تعمير الدنيا، وتدمير الدين، واحتقاره والاستهزاء بأهله، وبكل ما ينسب إليه، وفخر وفخفخة، واستكبار بالمدنيات المبنية على الإلحاد التي آثارها وشرها وشرورها قد شاهده العباد. فمع هذه الشرور المتراكمة، والأمواج المتلاطمة، والمزعجات الملمة، والفتن الحاضرة والمستقبلة المدلهمة -مع هذه الأمور وغيرها- تجد مصداق هذا الحديث. ولكن مع ذلك، فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصورا على الأسباب الظاهرة. بل يكون ملتفتا في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب، الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه، ووعده الذي لا يخلفه، بأنه سيجعل له بعد عسر يسرا، وأن الفرج مع الكرب، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات، وحلول المنغصات. فالمؤمن من يقول في هذه الأحوال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» و «حسبنا الله ونعم الوكيل. على الله توكلنا. اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى. وأنت المستعان. وبك المستغاث. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ويقوم بما يقدر عليه من الإيمان والنصح والدعوة. ويقنع باليسير، إذا لم يمكن الكثير. وبزوال بعض الشر وتخفيفه، إذا تعذر غير ذلك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢-٤] "[1].

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص: ٢٢٠-٢٢١).

- الوقاية من خطر الإلحاد:

أكد الشيخ أن أهم الأسباب التي تقي المسلم من ولوج باب الإلحاد هو حراسة الخواطر والأفكار عن الاسترسال مع العقل فيما يلقيه الشيطان في النفس، وما يتعرض له الإنسان من شبهات، وأن الأمر يحتاج إلى الاستعاذة بالله والاستعانة به، ثم الانتهاء والتوقف عن ذلك، لأن العقل له حد معين لا يتعداه ولا يتخطاه.

يقول الشيخ رحمه الله في شرحه لحديث «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته»[1]: «احتوى هذا الحديث على أنه لا بد أن يلقي الشيطان هذا الإيراد الباطل: إما وسوسة محضة، أو على لسان شياطين الإنس وملاحدتهم، وقد وقع كما أخبر، فإن الأمرين وقعا، لا يزال الشيطان يدفع إلى قلوب من ليست لهم بصيرة هذا السؤال الباطل، ولا يزال أهل الإلحاد يلقون هذه الشبهة التي هي أبطل الشبه، ويتكلمون عن العلل وعن مواد العلم بكلام سخيف معروف.

وقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم إلى دفع هذا السؤال بأمور ثلاثة: بالانتهاء، والتعوذ من الشيطان، وبالإيمان.

أما الانتهاء - وهو **الأمر الأول** -: فإن الله تعالى جعل للأفكار والعقول حدا تنتهي إليه، ولا تتجاوزه. ويستحيل لو حاولت مجاوزته أن تستطيع، لأنه محال، ومحاولة المحال من الباطل والسفه، ومن أمحل المحال التسلسل في المؤثرين والفاعلين. فإن المخلوقات لها ابتداء، ولها انتهاء. وقد تتسلسل في كثير من أمورها حتى تنتهي إلى الله الذي أوجدها وأوجد ما فيها من الصفات والمواد والعناص ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ فإذا وصلت العقول إلى الله تعالى وقفت وانتهت، فإنه الأول

(١) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء. فأوليته تعالى لا مبتدأ لها مهما فرضت الأزمان والأحوال. وهو الذي أوجد الأزمان والأحوال والعقول التي هي بعض قوى الإنسان. فكيف يحاول العقل أن يتشبث في إيراد هذا السؤال الباطل؟ فالفرض عليه المحتم في هذه الحال: الوقوف، والانتهاء.

الأمر الثاني: التعوذ بالله من الشيطان، فإن هذا من وساوسه وإلقائه في القلوب؛ ليشكك الناس في الإيمان بربهم، فعلى العبد إذا وجد ذلك: أن يستعيذ بالله منه، فمن تعوذ بالله بصدق وقوة أعاذه الله وطرد عنه الشيطان، واضمحلت وساوسه الباطلة.

الأمر الثالث: أن يدفعه بما يضاده من الإيمان بالله ورسله، فإن الله ورسله أخبروا بأنه تعالى الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه تعالى المتفرد بالوحدانية، وبالخلق والإيجاد للموجودات السابقة واللاحقة.

فهذا الإيمان الصحيح الصادق اليقيني يدفع جميع ما يضاده من الشبه المنافية له، فإن الحق يدفع الباطل. والشكوك لا تعارض اليقين.

فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ تبطل هذه الشبه التي لا تزال على ألسنة الملاحدة، يلقونها بعبارات متنوعة، فأمر بالانتهاء الذي يبطل التسلسل الباطل، وبالتعوذ من الشيطان الذي هو الملقي لهذه الشبهة، وبالإيمان الصحيح الذي يدفع كل ما يضاده من الباطل، والحمد لله، فبالانتهاء: قطع الشر مباشرة، وبالاستعاذة: قطع السبب الداعي إلى الشر. وبالإيمان اللجأ والاعتصام بالاعتقاد الصحيح اليقيني الذي يدفع كل معارض.

وهذه الأمور الثلاثة هي جماع الأسباب الدافعة لكل شبهة تعارض الإيمان. فينبغي العناية بها في كل ما عرض للإيمان من شبهة واشتباه يدفعه العبد مباشرة بالبراهين الدالة على إبطاله، وبإثبات ضده وهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال،

وبالتعوذ بالله من الشيطان الذي يدفع إلى القلوب فتن الشبهات، وفتن الشهوات، ليزلزل إيمانهم، ويوقعهم بأنواع المعاصي. فبالصبر واليقين ينال العبد السلامة من فتن الشهوات، ومن فتن الشبهات. والله هو الموفق الحافظ»[1].

- **الإلحاد المعاصر:**

لعله لم ينتشر الإلحاد في زمن من الأزمنة انتشاره في هذا الزمان الذي تيسرت فيها وسائل التواصل بين الشعوب والأفراد وتمكن الجميع من بث أفكاره ونشرها، وقد بين الشيخ رحمه الله أن الملحدين في هذا العصر روجوا للإلحاد بصورة تبدو مقبولة لدى المتلقين لسمومهم.

يقول الشيخ رحمه الله: «وقد عرف هؤلاء الأعداء المتأخرون مكابرة إخوانهم الذين باشروا تكذيب الرسول، ورأوا أن مقالتهم قد بطلت واضمحلت، وبان زورها لكل أحد، صاغها هؤلاء المكذبون بعبارة موهوهماً وظنوا أنها بهذا التمويه تروج، فزعموا - وما أسمجه وأكذبه من زعم - أن محمدا كان يتعلم من نفسه؛ وأنه كان يخلو بالطبيعة؛ السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم، فيعطيها لبه، ويناجيها بقلبه، فيخيل إليه أصناف التخاييل، فيأتي بها إلى الناس زاعما أنها من وحي الله على يد جبريل، وأن هذه التخيلات من الأمور العالية التي يعتاد الإتيان بها أهل الرأي والحجى. ولما رأوا آثارها الجليلة في الإسلام وأهله، وتعاليمه وتقويمه للأمم، وبهرهم هذا النور العظيم لجأوا إلى هذا التحذلق الذي منتهاه وغايته أنهم صوروا النبي ﷺ ورقوه إلى رجل من الطبيعيين، كما قال هذا القول الباطل أحد ملاحدة الإفرنسيين، وتلقاها عنه بعض الملاحدة العصريين، وهو مبني على إنكار وجود رب العالمين، وأنه ما ثم إلا عمل الطبيعة، وقد علم الناس أن هذا القول المزور

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٢٧-٢٨).

أعظم مكابرة ومباهتة من قول الأولين، وأن هذا الافتراء الذي ولدوه بعد مئات السنين أوضح ضلالا وظلما وجراءة ووقاحة من زور الأولين، وأن هؤلاء الأراذل الذين أعجبوا بآرائهم وتاهوا بعقولهم قد بين الله كذبهم فيما قالوه، وأن عقولا ولدت هذه الأقوال المؤتفكة والخيالات الفاسدة والمقالات الفاسدة لعقول سافلة وآراء ساقطة، يعرف فسادها بنتائجها ومكابرتها، وإنكارها أجلى الحقائق، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الفرقان: ٦]؛ فالرب القادر العظيم، الذي أحاط علمه بجميع الأسرار، وعلم أحوال العباد حاضرها ومستقبلها، فأنزله لهدايتهم، وجعله منارا وعلما يهتدي به المهتدون في كل وقت وحين. فجميع الحقائق التي دعا إليها هذا الرسول وهذا القرآن حقائق ثابتة نافعة للعباد، لا يأتي من الحقائق ما يغيرها، ومحال أن يأتي شيء أصلح منها أو مثلها أو يقاربها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، ومن كمال علمه وقدرته أنه لو تقول عليه أحد بمثل هذه المقالة لعاجله بالعقوبة، فلما أيد من جاء بها بنصره وحججه، ورأى العباد آياته في الآفاق وفي أنفسهم، التي يتبين بها أنه الحق، وما سواه ضلال، علم بذلك أن هذا الرسول أصدق الخلق وأنصحهم وأبرهم وأعلمهم وأخشاهم وأتقاهم لربه، وأن أعداءه المكذبين له أكذب الخلق وأغشهم، وأعظمهم جهلا وضلالا وغيا وفسادا في كل زمان ومكان"[1].

- رد المذهب الإلحادي، والمنهج العام للشيخ في بيان ذلك:

لما كان أهل الإلحاد منكرين لوجود الحق سبحانه ولا يؤمنون بكتابه ولا بسنة رسوله ﷺ، كان لزاما ألا يحتج عليهم أحد بقول الله ولا بقول رسوله ﷺ، وقد انتهج الشيخ رحمه الله هذا المنهج، فناقش الملحدين من منطلق العقل والمنطق، واحتج عليهم بما لا يستطيع عقل سليم أن ينكره.

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ٣٦-٣٧).

يقول الشيخ رحمه الله: «فوجود جميع الأشياء في العالم العلوي والسفلي وبقاؤها وما هي عليه من الأوصاف المتنوعة، كل ذلك من الأدلة والبراهين على وجود مبدعها ومعدها وممدها بكل ما تحتاج إليه، ومن أنكر هذا فقد باهت وكابر وأنكر أجلى الأمور وأعظم الحقائق. ومن هاهنا تعلم أن الماديين الملحدين أضل الخلق وأجهلهم وأعظمهم غرورا واغترارا حيث اغتروا حين وقفوا على بعض علوم الكون الأرضي المادي الطبيعي، وقفت عقولهم القاصرة عندها، واستولت عليهم الحيرة وتكبروا بمعارفهم الضئيلة وقالوا: نثبت ما وصلت إليه معارفنا وننفي ما سواه، فتعرف بهذا أن نفيهم هذا جهل وباطل باتفاق العقلاء، فإن من نفى ما لا يعرفه فقد برهن على كذبه وافترائه، فكما أن من أثبت شيئا بلا علم فهو ضال غاو، فكذلك من نفى شيئا بلا علم، وتعرف أيضا أن إثباتهم لعلوم الطبيعة التي عرفوها وانتهت إليها معارفهم أن هذا الإثبات منهم قاصر لم يصلوا إلى غايته وحقيقته، فلم يصلوا بذلك إلى خالق الطبيعة ومبدعها، ولم يعرفوا المقصود من نظامها وسببيتها؛ بل عرفوا ظاهرا منها وهم عن النافع غافلون، فأثبتوا بعض السبب وعموا عن المقصود، وهم في علمهم هذا حائرون، لا تثبت لهم قدم على أمر من الأمور، ولا تثبت لهم نظرية صحيحة مستقيمة، فهم دائما في خلط وخبط وتناقض، وكلما جاءهم من البراهين الحق ما يبطل قولهم قالوا: هذا من فلتات الطبيعة، وكلما برز مبرز من فحولهم وأذكيائهم ابتكر له طريقة غير طريقة إخوانه؛ فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[ق: ٥] وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[غافر: ٨٣] والمقصود أن هذا الأصل العظيم قد دلت عليه جميع الأدلة بأجناسها وأنواعها، ودل عليه الشرع المحكم والقدر العام المنظم، ولم يقدح فيه إلا هؤلاء الضُّلَّال الذين كان قدحهم فيه أسقط اعتبارهم، وبرهن على فساد عقولهم"[1].

(١) تفسير السعدي (١/ ٣٤٠-٣٤٢).

المبحث الثالث: مصنفات الشيخ في مناقشة الملحدين ومنهجه في الرد عليهم:

لم يقتصر دور العلامة عبد الرحمن السعدي في التصدي للإلحاد وأهله على مجرد ردود متفرقة في مؤلفاته وكتابته المختلفة، حيث كان رحمه الله يعلم- بما حباه الله من بصيرة- مدى هذا الخطر الزاحف إلى ديار المسلمين، وأنه يشبه المرض الخبيث الذي يداهم صاحبه دون أن تظهر له أي أعراض ظاهرة حتى يتمكن من القضاء عليه.

ومن منطلق هذه البصيرة أفرد الشيخ هذا الموضوع بالتصنيف؛ لينبه من ناحية على هذا الخطر المتسلل من الخارج إلى عقر ديار المسلمين، ومن ناحية أخرى ينصح من ابتلاهم الله بهذا الداء العضال بسرعة الفيء والتوبة، وثالثا ليحذر أبناء المسلمين أن يتسلل الشك إلى عقولهم فيجد الإلحاد طريقا سهلا لاختراق قلوبهم.

وقد صنف الشيخ ثلاثة كتب -فيما وقفت عليه- تتناول الرد على الملحدين، وهدم أصولهم، وهي:

- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.
- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.
- انتصار الحق.

وفيما يلي وقفة سريعة مع كل رسالة من هذه الثلاث حتى نتعرف على ما بذله الشيخ من جهود في هذا الأمر العظيم، والمنهج الذي اتبعه في الرد على دعاة الإلحاد

وقفات مع رسالة: «تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله».

تعد هذه الرسالة نموذجا عمليا يجسد شخصية الشيخ في ميدان الرد على المخالفين، وتبين مدى غيرته على الدين، ومقدار نصحه للإسلام وأهله، وقوته

في الحق، ورسوخه في العلم، وبيان حجته، كل ذلك مع سهولة العرض، وجزالة الأسلوب، ووضوح العبارة، ودقة المعاني، وإسهاب الرد.

وفيما يلي استعراض أهم العناصر التي اشتملت عليها هذه الرسالة.

- سبب تصنيف هذه الرسالة:

من منهج الشيخ رحمه الله في الرد على المخالف أن يبين سبب الرد وأن الأمر لا يعدو النصح لله وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو شعار دين الإسلام الحنيف. ولا يغفل حق المخالف من ذكر محاسنه والثناء عليه إن وجد إلى ذلك سبيلا.

يقول الشيخ رحمه الله: «فإني قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي، سمَّاه: (هذه هي الأغلال)؛ فإذا هو محتو على نبذ الدين، والدعاية إلى نبذه والانحلال عنه من كل وجه، وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروف بالعلم والانحياز لمذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة، فلم يرع الناس في هذا العام حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً..... فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين وجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوي عليه كتابه من العظائم خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه»[1].

- نظرة اجمالية في كتاب القصيمي:

ومن منهج الشيخ رحمه الله أن يتكلم عن منهج المخالف على وجه الإجمال قبل التصدي والرد المفصل على بدعه وافترائه.

---

(١) تنزيه الدين (ص:٣-٤).

قال رحمه الله: «من نظر في كتاب القصيمي وتأمله حق تأمله؛ عرف أنه ما كُتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفرا منه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل، ولا افترى مفتر على الدين كافترائه، ولا حرف أحد له نظير تحريفاته، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته؛ فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابذته ومنافقته ثلاثة لا تبقى من الشر شيئا إلا تضمنته؛ فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية، وخروج تام عن عقائده وأصوله؛ فضلا عن فروعه، وهو أكبر دعاية للإلحاد، ومقاومة للدين وأهله، وفيه من البهرجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾... إلخ»[1].

وقال رحمه الله: «...وهذا القصيمي يقول: ما هي إلا الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدير أمر العالم وتدبره وتنظم الأمور الجليلة والدقيقة وأنكر قضاء الله وقدره ورجع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة وهذا إنكار منه لله ولأفعاله ولصفاته، وكما أنكر توحيد الربوبية، فقد أنكر توحيد الإلهية والعبادة ولم يرتض بما قاله المشركون، بل أنكر عبادة الله بالكلية، وأنكر الافتقار إليه وتهكم بالمفتقرين إلى ربهم الداعين لله المخلصين لربهم، وملأ كتابه من السخرية بهم، وكما أنكر الربوبية والألوهية والرسالة إذ فسرها بذلك التفسير الخبيث الذي يرجع إلى نفي الرسالة، فقد أنكر عقوبات الله ومثوباته الدنيوية والأخروية، وأنكر أسبابها وسخر بالمؤمنين بها، وكذلك رمى جميع طبقات الأمة وخص منهم العلماء الأعلام وهداة الأنام بضعف العلم والعقل والرأي، وأوجب الكفر بهم وبعلومهم وبما قالوه وصنفوه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والفروع، وجعلهم مجرمين يستحقون

(١) تنزيه الدين (ص: ٦).

العقوبة وأهدر فضائلهم بالكلية، وأكبر من ذلك وأطم أنه باهت وصرح بتحقير الأنبياء تحقيرا لم يصل إليه ملحد، إذ صرح بأن جميع الرسل والأنبياء والهداة من أتباعهم لم ينفعوا الناس في الحياة بشيء من النفع، ولم يقدروا أن يصيروا فيها مخلوقات متألقة لهم فضائل يهتدي بها، وكما رمى الأنبياء وأهل الأديان الصحيحة كلهم، ولم يستثن منهم أحدا فإنه عظم زنادقة الملحدين الأوليين منهم والآخرين وأوجب الأخذ عنهم والحذو على منوالهم... إلخ»[1].

- إشارة لطيفة إلى محاسن الإسلام:

عقد الشيخ رحمه الله قبل الرد على القصيمي وإبطال زعمه فصلا تكلم فيه عن محاسن الإسلام وأنه دين شامخ لا تتأثر أصوله بحقد الحاقدين ولا بشبه المبطلين.

فقال رحمه الله: «ولما كان هذا الكتاب- يعني أغلال القصيمي- موجها إلى قلب الدين وروحه، وإلى هدم علومه وأصوله وقواعده وجميع مقوماته، وكان هذا الدين العظيم بذاته وحقيقته واشتماله على أعظم الحقائق وأجلها وأنفعها وعلى البراهين الساطعة والأنوار المتلألئة؛ يدفع ويبطل كل ما يقوم في وجهه الشبهات ويقاومه من الأقوال الباطلة؛ أحببت أن أشير إشارة لطيفة قبل إبطال قول هذا الكتاب إلى بعض محاسن هذا الدين وأنه لا سبيل لأحد من الخلق أن يعطل شيئا من أصوله وقواعده وأسسه، وأن هذا الدين العظيم تزول السموات والأرض والجبال وأصوله راسيات وقواعده ثابتات وأنواره مشرقة وبراهينه للباطل محرقة، فهو الميزان الأعظم الذي توزن به الأمور العقلية والأمور الدنيوية وأبين عند ذلك منافتها لقول هذا الكتاب... إلخ»[2].

---

(١) نفس المصدر (ص: ٧-٨).

(٢) تنزيه الدين (ص: ٩).

دعاء الشيخ للقصيمي:

ثم استهل الشيخ رده على القصيمي بكلمة تدل على مدى إنصافه رحمه الله وأن الغاية من الرد هي الدفاع عن الدين ليس غير، وأنه ليس بينه وبين أحد أي عداوات إلا ما يوجبه الدين، ثم ختم كلمته بدعاء للقصيمي أن يرده الله للحق.

فقال رحمه الله: «ونحن نكتب ما يجب علينا كتابته من رد اعتداءاته على الدين، والتنبيه على بطلانها، كما هو الواجب المتعين على كل مسلم، ونرجو الله أن يعيده إلى الحق بالتوبة، والتنصل ونقض ما كتبه واجترأ عليه»[1].

الأصلان اللذان بنى عليهما القصيمي باطله:

ومن منهجه رحمه الله أن يؤصل منهج المخالف ويجمع شتات قوله تحت أصول عامة يسهل الرد عليها؛ لذلك شرع في بيان الأصلين اللذين بنى عليهما القصيمي بحوثه الباطلة:

فقال رحمه الله: «واعلم أن مدار ما بنى عليه بحوثه الباطلة واحتج لها وبرهن عليها؛ أمران:

أحدها: أن المسلمين في هذه الأوقات الأخيرة متأخرون عن غيرهم في الفنون العصرية والاختراعات والصناعات الراقية وعلوم الطبيعة بأنواعها.

الثاني: أن غيرهم في هذه الأمور مهر في هذه الأمور مهارة لا تتصورها الأفكار.

ثم بنى على هذين الأمرين جميع بحوثه الباطلة ورتب على ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال»[2].

---

(١) نفس المصدر (ص: ٩).

(٢) تنزيه الدين (ص: ٩-١٠).

بداية الرد على ضلالات القصيمي:

الرد على إنكار القصيمي للقضاء والقدر:

ومن منهجه رحمه الله في رده على المخالف أن يبدأ بقضايا الإيمان؛ الأهم فالمهم، فبعد رده على المخالف إجمالا وعلى وجه العموم بدأ يرد على أمهات قضايا الإيمان.

قال الشيخ رحمه الله: «... هذا الكاتب الذي يقول إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه يوهن المسلمين ويضعفهم وأنه يجب عليهم ترك ذلك وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر كما صرح بذلك في صفحات (١٧)، (٢٩)، (٢٦٨)، (٣١٥) من كتابه، ويتضح بذلك أن المسلمين حقيقة المتبعين لإرشادات دينهم وتعالميه هم المتوكلون على الله حقيقة، وأنهم أقوى الخلق على فعل الأسباب امتثالا لأمر ربهم وطلبا لمصالحهم واستمدادا من قوته وارتقابا لثوابه، وأن الدين الإسلامي يبطل الطريقين الذميمين:

-طريق العجز والضعف الذي يتعلل صاحبه أنه متوكل على الله وإنما هو مهين ساقط الهمة معتذر بما لا يعذر به.

- وطريق الملحدين المعطلين الذين يعتمدون على الأسباب عندهم بإيجاد ولا تقوية ولا إضعاف ولا بمنعها ولا له قدرة على معارضتها كما قرره صاحب هذا الكتاب في ثنايا كتابه خصوصا في الفصل الأخير المعنون ب (مشكلة لم تحل) ... إلخ»[1].

الرد على إنكاره الثواب والعقاب:

قال الشيخ رحمه الله: «وقد سلك أيضا مسلك الدهريين الذين يقولون {ماهي

(١) تنزيه الدين (ص: ١٢).

إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا}؛ المنكرين للثواب والعقاب؛ حيث أنكر أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح سبب للثواب العاجل والآجل، وأن الكفر والفسوق والعصيان أسباب للعقوبات العاجلة والآجلة، وتهكم بذلك وبالقائلين به المعتقدين له، كما صرح به ورده في الصفحات (٣٥)، (١٦٥)، (١٧٨)، (٣١٥)، (٣١٩)، (٣٢٥)، والسبب الوحيد عنده في المصائب الدنيوية وضدها إنما هي الأسباب المادية فقط، وعمل الطبيعة... إلخ»[١].

الرد على زعمه أن علماء المسلمين سلفا وخلفا لم يفهموا الدين:

قال الشيخ رحمه الله: «وزعم من بهرجته التي لا تروج على أحد أن المسلمين على اختلاف طبقاتهم من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأصناف المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين وسائر طبقات الأمة كلهم زعم أنهم لم يفهموا الدين وأنه مستحيل أن يسعوا في مصالحهم، وغير ممكن لهم ذلك إلا بنبذه وأنه قيود تمنع التقدم كما صرح بذلك في صفحات (١٧)، (٣٦)، (٦٧)، (٦٨)، (٧٧)، (٩٧)، (١٤٠)، (٣١٥)، من كتابه، وهذه دسيسة خبيثة، فإن كل أحد عنده أدنى تمييز يعلم حق العلم أن هذه المباحث التي اشتمل عليها كتابه منافية للدين بالكلية، ومناقضة له من كل وجه، ولكنه جاء بهذه الوسيلة ليقول: ليس دين الإسلام ما فهمه المسلمون والأئمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم، وإنما هو شيء آخر مجهول عندهم، وقد علمه هذا الكاتب وهو ما أراده وسعى إليه من معانقة دين الملحدين ورفض دين المسلمين وسائر المرسلين... إلخ»[٢].

---

(١) تنزيه الدين (ص: ١٢-١٣).

(٢) تنزيه الدين (ص: ١٦).

الرد على زعمه أن الدين قيود وأغلال:

قال الشيخ رحمه الله: «وزعم هذا الكاتب أن التقييد بالإيمان بالله وبما أخبر الله به على ألسنة رسله قيد وغل يحول بين الإنسان وبين المطالب العالية النافعة، ويقيده عن عبادة الطبيعة التي هي الغاية عند أمثال هؤلاء، فيحق لمن كان هذا منتهى مراده وطلبه أن يكون أول من يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ وفي قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا﴾ إلى آخر الآيات، ثم إن هؤلاء المنحرفين الملحدين الذين انخدع هذا الكاتب بدعايتهم الخبيثة يدعون إلى نبذ كل قديم واعتناق كل جديد، وقد أبدى هذا الكاتب في هذا وأعاد وكرر ذلك؛ مريدا بهدم القديم هدم أصول الدين وقواعده، كما تجده في صفحات (١٦)، (٣٧)، (٦٤)، (٦٩)، (٧٠)، (٩٦)، (١٦٠)، (٣٠٢)، من كتابه، وغيرها من الصفحات وهذه الدعاية الخبيثة مقصودها الأعظم وأساسها الذي بنيت عليه رفض الشرائع والأديان، والانحلال من قيود الدين وحله وتحريمه وجميع أحكامه، والانخراط في سلك المعطلين لرب العالمين المنحلين من جميع شرائع الدين، وأول ما يُدخلون في هذا الأصل الباطل رفض ما جاء به الرسول ﷺ من أصول وأخلاق وأعمال وغيرها، وتوصلوا بهذا إلى الطعن في خير القرون وإهدار أقوالهم وعقائدهم وعلومهم، بل وجميع محاسنهم والحمل على حمله الشريعة وأئمة الهدى ومصابيح الدجى.... إلخ»[1].

الرد على زعمه أن المسلمين يطلبون الفقر والضعف ويحثون عليه:

قال الشيخ رحمه الله: «ومن تمويهاته الشنيعة التي يريد بها محاربة الدين وأهله

---

(١) تنزيه الدين (ص: ٢٠-٢١).

أن يزعم أن المسلمين يحثون على الفقر والبأساء والضراء وأنواع المصائب ويطلبونها ويسعون في تحصيليها بكل طريق، ويسخر منهم ومن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على فضيلة الصبر على الفقر والأمراض وأنواع المصائب كما صرح بذلك في الصفحات (١٢٦)، (١٤٠)، (٣١٩)، وكذلك جميع النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة، وهذا من باب قلب الحقائق فإن ذلك من أعظم محاسن الدين الإسلامي، حيث أرشد أهله إلى التربية العالية التي هي أنفع التربيات وأجلها وأكثرها آثارا حميدة فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة في فصل الصبر على المصائب والأمراض وأنواع المحن التي لابد للخلق كلهم منها في هذه الدار وذكر فضائل الصابرين وما لهم عند الله من الثواب، وذلك ليوطنوا أنفسهم على تقلبات هذه الحياة الدنيا من غنى وفقر، ومن يسر إلى عسر، ومن بأساء إلى خير وسراء، ومن عافية إلى مرض، ويعلمهم كيف يتقبلون هذه الأمور اللازمة للبشر في أطوار حياتهم... إلخ»[1].

الرد على زعمه أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق:

قال الشيخ رحمه الله: «ومن مباحث هذا الكتاب الضارة التي بلغت في الفظاعة وبلغت في الخلاعة مبلغا ما وصل إليه ولا تجرأ عليه أحد له أدنى عقل وبصيرة من الأولين والأخرين ما يبديه ويعيده ويكرره أن الإنسانية لا تزال في تطورها وترقيها حتى تصل إلى الاتصاف بصفات الرب العظيم- إن كان يثبته بلفظه- فالإنسان بزعمه يمكنه أن يكون بكل شيء عليما، وعلى كل شيء قديرا، وأنه قد علم ما كان في أول الموجودات وما يكون من آخرها، وأنه علم مبدأ هذه الخليقة، وخلَّف علوم الرسل خلف ظهره، وهو يحاول علم ما سيكون في هذا العالم؛ بل علم مقدار ما بقي من عمر هذا العالم، وقد علم حالة العالم السفلي وهو يحاول وسيدرك علم العالم العلوي، وصنع الصور والأجسام وهو يحاول أن ينفخ فيها الروح؛ فهو لا يستبعد

(١) تنزيه الدين (ص: ٢٤- ٢٥).

إيجاده للحيوان الصناعي والإنسان الصناعي؛ غير مبال بتكذيبه لله ورسله؛ فقد زعم أنه قد يتمكن أن يُوجد الحيوانات، ويزعم أن التفريق بين الخالق والمخلوق أكبر الأغلاط، وأنه يجب أن لا نفرق بين الرب العظيم وبين الإنسان وأن من فرق بينهما فلجهله وضلاله وغلطه؛ كما صرح بذلك في هذه الصفحات من كتابه المذكور (٣٨)، (٥٨)، (٦٧)، (٧٠)، (٧٧)، (٧٨)، (٩٧)، فانظر كيف رمى بهذا الأمر الفظيع- وهو تضليله للمفرقين بين الله وبين خلقه- كل رسول أرسله الله إلى الخلق وفي مقدمتهم محمد ﷺ فضلا عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى؛ فإن زبدة ما جاءت به الكتب السماوية والرسل العظام هو توحيد الباري واعتقاد انفراده بجميع معاني الكمال المطلق الذي لا تدركه العبارات ولا تتصوره الأفكار... إلخ»[1].

الرد على زعمه أن إثبات وجود الرب مشكلة لا حل لها:

قال الشيخ رحمه الله: «ثم انظر إلى المبحث الأخير من كتابه الذي عنوانه: (المشكلة التي لم تحل) في صفحة (٣١٥)، وما بعدها إلى آخر كتابه؛ كيف أتى فيه بالطامات والفظائع وأنكر المنكرات، وكيف حاول وصرح بأن الإيمان بالله وإثبات وجوده وربوبيته وأفعاله من أشكل المشكلات، وهي أصل الأمور وأوضحها وأجلاها براهين، ثم صرح بهذه الجراءة التي ما وصل إليها أحد من البشر إلا فرعون وأشباهه الذين أنكروا رب العالمين وجحدوه بالكلية، وقد صرح أن الأولين والآخرين لم يحلوا هذه المشكلة فجميع الكتب المنزلة من الله؛ التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وجميع ما قالته الرسل عموما وقاله سيدهم وإمامهم خصوصا وجميع العلماء الربانين والهداة المهتدين والحكماء والأساطين؛ الجميع عنده لم يعرفوا الإيمان بالله ولم يحلوا هذه المشكلة التي زعمها فبقيت عند هؤلاء مشكلة الإيمان في غاية الإشكال والتعقيد عند هذا الكاتب .... إلخ».

(١) تنزيه الدين (ص: ٣٠- ٣١).

وقفات مع رسالة «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين».

وهي رسالة صغيرة اعتنى فيها الشيخ بالرد على الملاحدة المنكرين لوجود الله عز وجل، وكان أكثر عنايته في هذه الرسالة بنقض أصل فاسد أصّلَهُ معلمهم الأول «أرسطو»، وقد نقض الشيخ هذا الأصل، وبين بطلانه من ثلاثة وثمانين وجها. وهذه الرسالة مع أنها صغيرة الحجم فإنها عظيمة النفع لما اشتملت عليه من ردود رصينة وقوية تكشف بطلان دعوى هؤلاء الملاحدة الكفرة. وقد فرغ الشيخ ابن سعدي من تأليف هذه الرسالة في ١٤ رجب سنة ١٣٧٢هـ[١].

منهج الشيخ في هذه الرسالة:

بين الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة أن الأصول التي بنى عليها الملاحدة بنيانهم ترجع إلى أصل واحد فاسد؛ فقال: «وأعظمها عندهم أصل خبيث منقول عن معلمهم الأول أرسطو اليوناني المعروف بالإلحاد والجحد لرب العالمين والكفر به، وهو: «أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه»، وكملوا هذا الأصل الخبيث بحصرهم للمعلومات بالمحسوسات، وما سوى ما أدركوه بحواسهم نفوه»[٢].

ثم ذكر الشيخ أنه سيقوم بالرد على هذا الأصل من خلال كلام شيخ الإسلام أولا، ثم يتم هو من كلامه ما تيسر معللا ذلك بقوله: «فإنه -أي شيخ الإسلام- بين عدة وجوه في فسادها وبطلانها، وكل وجه منها كاف في إبطالها؛ فكيف إذا اجتمعت

---

(١) ينظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، (ص:٤٤).

(٢) الأدلة القواطع (ص: ٤).

فننقل كلامه عليها ثم نتم ذلك بما ييسره الله»[1].

ثم ذكر الشيخ خمسة أوجه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وزاد هو عليها ثمانية وسبعين وجها، يتخلل بعضها كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية، فكان حاصل هذه الأوجه ثلاثة وثمانين وجها.

وكانت هذه الأوجه بمجموعها تمثل جبهة قوية لضرب أصول الإلحاد في كل زمان ومكان، ولا غنى لأهل العلم عن دراستها والنظر فيها، ولا غنى كذلك للعامة عن دراستها وفهمها على يد الناصحين من أهل العلم وطلبته.

ذكر بعض الأوجه التي ذكرها الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة ردا على الملاحدة:

- اضطرار الناس إلى الرسل والرسالات:

قال رحمه الله في الوجه السابع: «فإن الإنسان خلق ظلوما جهولا ليس فيه هدى، ولا علم صحيح، ولا برهان ويقين في المطالب العالية المقصودة، إلا من جهة الطرق التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولهذا كانت النبوة والرسالة يضطر إليها المكلفون أعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب، وما به من قوام حياتهم المادية؛ فالعلم والهدى الإجمالي والتفصيلي هو هدى الله، فلا يليق برحمة الله وحكمته وحمده أن يترك العباد مهملين سدى بلا رسالة وتعريف لهم ما يصلحهم حالا ومآلا؛ فأرسل الرسل وأنزل الكتب حكمة منه ورحمة، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ فيقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾فجميع الهدى والعلوم النافعة الموجودة في الأرض، والمعارف النافعة،

(١) المصدر السابق.

والإيمان الصحيح، وتوابع ذلك من آثار النبوة والرسالة»[1].

- حقيقة قول الملاحدة:

قال رحمه الله في الوجه الحادي عشر: «إن هؤلاء - يعني الملاحدة- يعاندون الله ورسوله أعظم معاندة فالله يقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾، وفي الصحيح أنه قال لمن قال له: قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك؛ قال: " قل: آمنت بالله، ثم استقم"[2] أي على الإيمان، وهؤلاء الملحدون يقولون: امحوا هذه الأصول والعقائد- التي لا أصح منها ولا أنفع ولا يسعد العبد غيرها- من قلوبكم وشُكوا لتستحدثوا علوما وعقائد جديدة، تجيش بها القلوب المنحرفة والآراء الفاسدة والضمائر التي أعرضت عن الحق وعارضته وتوجهت إلى الباطل، وهذا لا ريب أنه مشاقة ومحاربة لله ورسله»[3].

---

(١) الأدلة القواطع (ص: ٧).

(٢) مسلم (٣٨).

(٣) الأدلة القواطع (ص: ١٠).

تناقض الملحدين:

قال رحمه الله في الوجه الثالث عشر: «أن المقصود الأعظم من هذا الأصل الخبيث[1] الكفر بما جاءت به الرسل والانحلال عنه، وإلا فأهله من أكذب الناس؛ فإنهم متمسكون غاية التمسك بما عليه أئمتهم الملحدون، وأقوالهم وعقائدهم مقدمة عندهم على ما جاءت به الرسل، ويتعصبون لها غاية التعصب؛ فلو كانوا صادقين محقين لوجب عليهم أن يمحوا من قلوبهم أقوال أئمتهم وعقائدهم التي مازالوا متمسكين بها ومقلدين لها تقليدا أعمى، فالغرض من كلامهم معروف، وهو قصدهم الانحلال من الدين الصحيح والتمسك بأقوال هؤلاء الضالين»[2].

ماذا لو عمل الناس بأصل الملاحدة؟:

قال رحمه الله في الوجه الخامس عشر: «لو فرض وقدر أن الإنسان يمحو من قلبه كل عقيدة ويصير القلب خاليا من الحق والباطل ثم يزن بعقله المستقيم العقائد الصحيحة النافعة التي جاءت بها الرسل بما يضادها من العقائد الأخرى، ويزنها بحق وعدل وإنصاف وفهم صحيح فإنه يظهر له الفرق العظيم، ويتضح له أن من سوَّى بين ما جاءت به الرسل وبين غيره كالمسوِّي بين الليل والنهار والضياء والظلمة، فكيف بمن فضل الإلحاد على دين رب العباد فإن الحق بطبيعته وبراهينه يمحق الباطل ولا يبقى له معه قرار»[3].

---

(١) يعني قولهم «أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه».

(٢) الأدلة القواطع (ص: ١١).

(٣) الأدلة القواطع (ص: ١١).

قول الملاحدة باطل شرعا وعقلا:

قال رحمه الله في الوجه العشرين: «هؤلاء الملحدون حصروا العلوم المدركة في دائرة ضيقة؛ فما أدركوه بحواسهم وتجاربهم أثبتوه، وما لم يدركوه بذلك نفوه وأنكروه؛ فأنكروا من أجل ذلك علوم الغيب كلها، وجحدوا ربوبية الله وأفعاله، وعطلوه من صفاته وأفعاله، إذ لم يدخل ذلك تحت مداركهم القاصرة، وهذا باطل شرعا وعقلا.

أما الشرع: فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل تبطل قولهم وحصرهم العلوم بمدركات الحس الظاهرة ونفيهم لما عداها، وتثبت بالبراهين اليقينية من علوم الغيب ومن العلوم التي لا تدرك إلا بالوحي من الحقائق النافعة الصحيحة والمعارف الصادقة مالا نسبة لعلومهم كلها إليها من أولها إلى آخرها.... إلخ.

وأما العقل: فجميع العقلاء المعتبرين يثبتون للعلوم مدارك غير مدارك الحس، فإن مدارك العلوم: الحس، والعقل، والأخبار الصادقة؛ فالأخبار الصادقة أعلاها وأصدقها وأحقها بالحق خبر الله وخبر رسله، وفي ذلك تبيان لكل شيء، وهدى للخلائق، وتوضيح للحقائق، وتنبيه للعقول على توجيهها لكل علم نافع، ويلزم على قول هؤلاء الملحدين إبطال ذلك كله حتى يدركوه بحواسهم، وهذا ميراث محقق من مكذبي الرسل؛ الذين ردوا ما جاءت به الرسل بمجرد استبعادات، ونكروا ما لم يحيطوا به علما، وهم لا يزالون ينقضون دليلهم الذي تمسكوا به فيثبتون تجارب ونظريات أخرى لهم ولقومهم تنفي ما أثبتوه وتثبت ما نفوه ولا يزالون هكذا في أمر مريج حين كذبوا بالحق.

وقد ذكر الله الأسباب التي دعت أمثال هؤلاء إلى تكذيب الحق؛ وهو الجهل بما لم يحيطوا بعلمه، والتبجح بما عندهم من العلوم المخالفة لعلوم الرسل، والكبر

الذي في قلوبهم ما هم ببالغيه، وتقليد أئمتهم الضالين؛ فضعف التمييز، وتقليد أئمة الملاحدة، والإعراض عما جاءت به الرسل من أكبر الأسباب التي مكنت هؤلاء من لزوم الباطل»[1].

المقارنة بين علوم الرسل وعلوم الملاحدة الماديين:

قال رحمه الله في الوجه الرابع والعشرين: «انظر على أحوال الرسل وأتباعهم كيف هدوا إلى كل عقيدة صالحة نافعة وإلى كل خلق جميل وعمل صالح؟ وكيف نهوا وحذروا عما يضاد ذلك ويناقضه، وكيف نشروا الصلاح والرحمة والحكمة على البلاد والعباد؟ وكيف تم بإرشادهم الصلاح الذي ليس بعده صلاح والسعادة العاجلة والآجلة والفلاح؟ فهل تجد علما نافعا أو خلقا فاضلا أو خيرا ناميا أو شرا مدفوعا أو ضرارا مرفوعا؟ إلا بسبب الرسل وإرشادهم وهدايتهم وسعيهم.

أما هؤلاء الملحدون الماديون فعلى العكس من ذلك فإن آثار علومهم وأعمالهم هبطت بالبشر والإنسانية إلى أسفل سافلين، وشقُوا في دنياهم كما شقوا في دينهم وعقولهم، وهذه المخترعات التي تكبروا بها وطغوا وبغوا؛ هل توسلوا بها إلى الخير والحياة الطيبة والرحمة، أم صارت أكبر نكبة على البشر وأعظم مصيبة عليهم وعلى غيرهم؟ فأين الرشد وأين العقول وأين الأحلام الصحيحة من قوم هذا وصفهم، ووصف أعمالهم المطابق لأحوالهم الذي لا يمكن أحد إنكاره؟ ولكن الكبر والأشر والنظر القاصر والبهرجة روجت باطلهم فجرفت جمهور البشر الذين لا بصيرة لهم ولا عقول صحيحة، وإنما معهم التقليد الأعمى والزهور والغرور»[2].

---

(١) الأدلة القواطع (ص: ١٥-١٦).

(٢) الأدلة القواطع (ص: ١٩).

أصل بلاء الملحدين:

قال رحمه الله في الوجه الرابع والعشرين:» أصل بلاء المشركين والملحدين قياس الرب العظيم بالمخلوق الناقص الحقير، ولم يعترفوا أن الله ليس كمثله شيء، وأن له المثل الأعلى في السموات والأرض، وأن له العظمة كلها والكبرياء كله والمجد والحمد والجلال، وأن ما للخلق من أولهم إلى آخرهم من قوة وعظمة وأوصاف فإنها تضمحل غاية الاضمحلال ولا يبقى لها نسبة بوجه من الوجوه إذا نسبت إلى عظمة الله وجلاله وكماله، وإلا فلو علموا أن الله تعالى هو الخالق لجميع الموجودات أعيانها وأوصافها وأفعالها ومن سواه مخلوق، وأنه مالك الملك المطلق ومن سواه عبد مملوك، وأنه العليم الذي أحاط علمه بكل شيء، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، العزيز الذي علا على كل شيء، وقهر المخلوقات كلها ودانت لعزته وقدرته، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، الحكيم في كل ما خلقه وحكم به شرعا وقدرا وجزاء إلى آخر ما وصلت إليه معارف الرسل وأتباعهم من أوصافه فلا يحصي أحد ثناء عليه، لو علموا شيئا من ذلك لعرفوا أن قولهم واعتقادهم أبطل الباطل وأشنع الكذب وأعظم الجراءة على الله والمكابرة لآياته وبراهينه التي خضعت لها الخليقة ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾ فهؤلاء الملحدون لما لم تصل معارفهم الضئيلة إلى شيء من ذلك وحصروها في بعض الأسباب ولم ترتق إلى مسبب الأسباب، ولم يصلوا من المخلوقات إلى خالقها، ظنوا أن ما وصلوا إليه هو غاية العلم ونهاية المعرفة جهلا وضلالا، ومنهم من كان كذلك ظلما وعنادا، فيا

أيها المؤمن بالله احمد الله على هذه النعمة التي هي أكبر النعم والسلامة من عقوبة الإلحاد التي هي أكبر النقم"[1].

- الحيرة والشك هما حصاد الملاحدة:

قال رحمه الله في الوجه الأخير (الثالث والثمانين): «قد تقرر مما تقدم أن أهل الجحود والإلحاد لم يصلوا في علومهم إلا إلى جهل مركب أو جهل بسيط، أو جحود مع العناد، لأن رؤساءَهم وأساطينهم أهل الذكاء والفطنة الذين أفنوا أوقاتهم في هذه البحوث لم يصلوا إلى يقين تطمئن له قلوبهم، بل إما إلى حيرة وارتياب، وإما إلى اختلاف كثير واضطراب، وإما إلى مكابرة من هؤلاء الأحزاب، كما عرف ذلك من مقالاتهم؛ فإذا كان هؤلاء هم الرؤساء فكيف بمقلديهم الذين لم يبلغوا عشر معشارهم في الذكاء والفطنة والبحث، فهم كما قال عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ ﴾ إلى أخر الآيات، والمؤمنون بالله وكتبه ورسله على نور من ربهم ويقين من إيمانهم حيث بنوا علومهم ومعارفهم وإيمانهم وأعمالهم على الأصول الصحيحة الثابتة، وهي نصوص الكتب المنزلة ونصوص الأنبياء وآيات الله في الأنفس والآفاق والعقول السليمة والفطر المستقيمة، ففازوا بخير الدنيا والآخرة، ورجع الآخرون بالصفقة الخاسرة"[2].

ثم ختم الشيخ رسالته بدعاء جامع. سائلاً الله أن يرزقنا علما ويقينا وإيمانا وطمأنينة به وبذكره وسلوكا للصراط المستقيم المشتمل على العلم بالحق والعمل به الموصل إلى كل خير وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

---

(١) الأدلة القواطع (ص: ٢٩-٣٠).

(٢) الأدلة القواطع (ص: ٨٥-٨٦).

وقفات مع رسالة «انتصار الحق»:

ومن بديع ما كتب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي ضمن جهوده في التصدي للإلحاد وأهله رسالة بعنوان «انتصار الحق» وهي عبارة عن مناظرة لطيفة بين رجلين مسلمين يشتغلان بطلب العلم؛ أحدهما تسلل إليه الإلحاد من جراء انبهاره بالحضارات الغربية، والآخر متمسك بعقيدته لا يعتريه شك ولا يجتاحه وساوس.

فجاءت هذه المناظرة بديعة في أسلوبها وعميقة فيما ترمي إليه من معاني وأهداف، وقد كانت هذه المحاورة في أصلها مقالات نشِرت في أعداد من مجلة المنهل (عام ١٣٦٧هـ)، حتى جمعها الأستاذ الدكتور عبد الله الطيار في رسالة لطيفة وطبعت لأول مرة بتاريخ (٤/ ٤/ ١٤١٢هـ)، وكتب في مقدمتها: «... وهذه المحاورة التي بين أيدينا تمثل نمطًا جديدًا من الكتابة طرَقه ابنُ سعدي قبل ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وهذه المحاورة اللطيفة الهادئة جمعت بين قوة الحجة ووضوح المحجة وسلامة المنهج، وبعد النظر، والبحث عن الأسباب وعلاجها ثم الوصول إلى الثمرة المرجوة، كل ذلك في صفحاتٍ يسيرةٍ لا تتجاوزُ العشرين صفحة»[1].

منهج الشيخ في رسالته «انتصار الحق»:

قال الشيخ رحمه الله في المقدمة موضحا منهجه في رسالته: «هذه صورة محاورة بين رجلين كانا متصاحبين رفيقين مسلمين، يدينان بالدين الحق، ويشتغلان في طلب العلم جميعًا، فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا، فإذا هذا الغائب قد تغيرت أحواله وتبدلت أخلاقه، فسأله صاحبه عن ذلك، فإذا هو قد تغلَبت عليه دعايةُ الملحدين الذين يدعون لنبذ الدين ورفض ما جاء به المرسلون؛ فحاوره

(١) مقدمة الطبعة الأولى من انتصار الحق (ص: ١-٢).

صاحبه لعله يرجع عن هذا الانقلاب الغريب فأعيته الحيلةُ في ذلك، وعرف أن ذلك علةٌ عظيمةٌ ومرض يفتقِرُ إلى استئصال الداء ومعالجته بأنفع الدواء وعرف أن ذلك متوقف على معرِفة الأسباب التي حولته والطرق التي أوصلته إلى الحالة المخيفة وإلى فحصها وتمحيصِها وتخليصها وتوضيحها، ومقابلتِها بما يضادُها ويقمعُها على وجه الحكمة والسداد»[1].

ملخص المناظرة البليغة:

-سؤال من المسلم لصديقه الملحد عن سبب إلحاده:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له صاحبه- مستكشفاً له عن الحامل له على ذلك-: يا أخي، ما هذه الأسباب التي حملتك على ما أرى؟ وما الذي دعاك إلى نبذ ما كنت عليه؟ فإن كان خيرا كنتُ أنا وأنت شريكين، وإن كان غير ذلك فأعرف من عقلك ودينك وأدبك أنني وأنك لا ترضى أن تقيمَ على ما يضرك»[2].

-احتجاج الملحد بضعف المسلمين وقوة الكفار:

يقول الشيخ رحمه الله: «فأجابه صاحبه قائلاً: لا أكتمك أني قد رأيتُ المسلمين على حالةٍ لا يرضاها ذوو الهمم العالية؛ رأيتُهم في جهل وذل وخمول، وأمورهم مدبرة، وفي الجانب الآخرِ هؤلاء الأجانب قد ترقوا في هذه الحياة وتفننوا في الفنونِ الراقيةِ والمخترعاتِ العجيبةِ المدهشةِ والصناعاتِ المتفوقةِ، رأيتُهم قد دانت لهم الأممُ، وخضعت لهوم الرقابُ، وصاروا يتحكمون في الأمم الضعيفةِ بما شاؤا ويُعدونهم كالعبيدِ والأُجراءِ، فرأيتُ فيهم العزَ الذي بهرني، والتفنن الذي أدهشني فقلتُ في نفسي: لولا أن هؤلاء القوم هم القوم، وأنهم على الحقِ والمسلمون على

(١) انتصار الحق (ص: ٨).

(٢) انتصار الحق (ص: ١٠).

الباطلِ لما كانوا على هذا الوصفِ الذي ذكرتُ لك .فرأيتُ أن سلوكي سبيلهم واقتدائِي بهم خير لي وأحسنُ عاقبة، فهذا الذي صيَرني إلى ما رأيت»[1].

رد المسلم الناصح على شبهة صديقه الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له صاحبه حين أبدى ما كان خافياً: إذا كان هذا هو السبب الذي حوَّلك إلى ما أرى فهذا ليس من الأسباب التي يبني عليها أولوا الألباب والعقول عقائدَهم وأخلاقهم وأعمالهم ومستقبل أمرهم، فاسمع يا صديقي تمحيص هذا الأمر الذي غرك وحقيقَته:

إن تأخر المسلمين فيما ذكرت ليس ناشئاً عن دينهم، فإنه قد عِلم كلُ من له أدنى نظر وبصيرة أن دينَ الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح في أمورِ الدين وفي أمور الدنيا، ويحث على الاستعدادِ من تعلم العلوم والفنون النافعة، ويدعو إلى تقوية القوة المعنوية والمادية لمقاومة الأعداء، والسلامة من شرهم وأضرارهم، ولم يستفد أحد منفعة دنيوية فضلاً عن المنافع الدينية إلا من هذا الدين، وهذه تعاليمه وإرشاداته قائمة لدينا تنادي أهلهَا :هلُم إلى الاشتغال بجميع الأسبابِ النافعة التي تعليكم وترقيكم في دينكم ودُنياكم؛ أفبتفريط المسلمين تحتجُّ على الدين؟! إن هذا لهو الظلمُ المبينُ.!

أليس من قصور النظر ومن الهوى والتعصب، النظر في أحوال المسلمين في هذه الحقبة من الزمن التي تدهورت فيها علومهم وأعمالهم وأخلاقهم، وفقدوا فيها جميع مقوماتِ دينهم، وترك النظر إليهم في زهرة الإسلام والدين في الصدر الأول، حيث كانوا قائمين بالدين، مستقيمين على الدين، سالكين كل طريق يدعو إليه الدين، فارتقت أخلاقهم وأعمالهم حتى بلغت مبلغًا ما وصل إليه ولن يصل إليه

(١) انتصار الحق (ص: ١١).

أحـد من الأولين والآخرين، ودانت لهم الدنيا من مشـارِقها إلى مغاربها وخضعت لهـم أقـوى الأمم وذلك بالديـن الحق والعـدل والحكمة والرحمـة، وبالأوصاف الجميلة التي كانوا عليها؟! .... إلخ»[1].

إصرار الملحد على مذهبه:

يقول الشـيخ رحمه الله: فقال المنصوح: الأمر هو ما ذكرتُ لك، ونفسي تتوق إلى أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعات، وترقوا في هذه الحياة.

نصيحة جديدة من المسلم لصديقه الملحد:

يقول الشـيخ رحمه الله: فقال له صاحبه وهو يحـاوره: رفضت دينا قيما كامل القواعـد ثابـت الأركان مشـرق البرهان، يدعو إلـى كل خير ويحث على السـعادة والفلاح، ويقول لأهله هلم إلى كل صلاح وإصلاح، وإلى كل خير ونجاح، واسلكوا كل طريق يوصلكم إلى السعادة الدنيوية والأخروية. دينا مبنيا على الحضارة الراقية الصحيحة التي بنيت على العدل والتوحيد، وأسست على الرحمة والحكمة والعلم والشفقة وأداء الحقوق الواجبة والمستحبة، وسلمت من الظلم والجشع والأخلاق السافلة، وشملت بظلها الظليل وإحسانها الطويل وخيرها الشامل، وبهائها الكامل، ما بين المشـارق والمغارب، وأقر بذلك الموافق والمنصـف المخالف ...أتتركُها راغبـا في حضـارات ومدنيـات مبنيـة على الكفـر والإلحاد، مؤسسـة علـى الظلم والجشـع والقسـوة وظلم العباد، فاقدة لـروح الإيمان ورحمته، عادمـة لنور العلم وحكمتـه حضارة ظاهرها مزخرف مـزوق، وباطنها خراب، وتظنها تعمر الوجود، وهي في الحقيقة مآلها الهلاك، والتدمير؟ ألم تر آثارها في هذه الأوقات، وما احتوت عليه من الآفات والويلات، وما جلبته للخلائق من الهلاك والفناء والتدمير؟ .....

---

(١) انتصار الحق (ص: ١١-١٥).

إلخ.

تردد الملحد بعد سماعه لنصيحة صديقه المسلم:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له المنصوح: لقد صدقتَ فيما قلتَ، ولكن لي على هذا المذهب أصحاب مثقفون، ولي على هذا الرأي شبيبة مهذبون، قد تعاقدت معهم على التمسك بالإلحاد واحتقار المستمسكين بدين رب العباد، قد أخذنا نصيباً وافرًا من اللذات، واستبحنا ما تدعو إليه النفوس من أصناف الشهوات فأنى لي بمقاطعة هؤلاء السادة الغرر؟ وكيف لي بمباينتهم وقد اتصلت بهم غاية الاتصال؟! فالآن يتنازعني - بعدما بان سبيله واتضح دليله - داعيان: داعي الحق وداعي النفس والاتصال بهؤلاء الأصحاب المنافي للحق غاية المنافاة، فكيف الطريق الذي ينيرني ويشفيني، وما الذي عن هذا الأمر يسليني؟»[1].

نصيحة جديدة من المسلم الناصح إلى صديقه الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له صاحبه الناصح: ألم تعلم أن من أوجب الواجبات وأكبر فضائل الرجل اللبيب أن يتبع الحق الذي تبين له ويدع ما هو فيه من الباطل، وخصوصا عند المنازعات النفسية والأغراض الدنيوية؟ وأن الموفق، إذا وقع في المهالك، طلب الوسيلة إلى تحصيل الأسباب المنجية؟ أما علمت أن من نعمة الله على العبد أن يقيض له الناصحين الذين يرشدونه إلى الخيْر ويأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر ويسعون في سعادته وفلاحه؟ ثم من تمام هذه النعمة أن يوفق لطاعتهم ولا يتشبه بمن قال الله فيهم: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ثم اعلم أنه ربما كان الإنسان إذا ذاق مذهب المنحرفين وشاهد ما فيه من الغي والضلال ثم تراجع إلى الحق، الذي هو حبيب القلوب، كان أعظم لوقعه وأكبر لنفعه! فارجع

---

(١) انتصار الحق (ص: ١٥).

إلى الحق صادقًا وثق بوعد الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ "[1].

الملحد يسأل عن كيفية رد الشبهات:

يقول الشيخ رحمه الله: فقال له المنصوح:» لا يخفى عليك يا أخي أن الباطل إذا دخل في القلوب وتمكن منها لا يخرج بسهولة، فأريد أن توضح لي توضيحا تاما بطلان ما عليه هؤلاء الملحدون فإنهم يقيمون الشبه المتنوعة في ترويح قولهم ليغتر به من لا بصيرة له»[2].

إجابة شافية من المسلم:

يقول الشيخ رحمه الله:» فقال له الناصح: اعلم أن الحق والباطل متقابلان، وأن الخير والشر متنافيان، وبمعرفة واحد من الضدين يظهر حسن الآخر أو قبحه، فأنبئك على وجه الإجمال والتنبيه اللطيف؛ إذا أردت أن تقابل بين الأشياء المتباينات؛ فانظر إلى أساسها الذي أسست عليه، وإلى قواعدها التي انبتت عليها، وانظر إلى آثارها ونتائجها وثمراتها المتفرعة عنها، وانظر إلى أدلتها وبراهينها التي بها ثبتت، وانظر إلى ما تحتوي وتشمل عليه من الصلاح والمنافع، ومن المفاسد والمضار؛ فعند ذلك إذا نظرت لهذه الأمور بفهم صحيح وعقل رجيح، ظهر لك الأمر عيانا؛ فإذا عرفت هذه الأصول فهذا الدين الحق الذي دعت إليه الرسل عموما وخاتمهم وإمامهم محمد ﷺ خصوصا، قد بني وأُسس على التوحيد والتأله لله وحده لا شريك، حبا وخوفا، ورجاء، وإخلاصا، وانقيادا، وإذعانا لربوبيته، واستسلاما لعبوديته، قد دل على هذا الأصل الذي هو أكبر جميع أصول الأدلة العقلية والفطرية، ودلت عليه جميع الكتب السماوية وقرره جميع الأنبياء

(١) انتصار الحق (ص: ١٨).

(٢) انتصار الحق (ص: ٢٠).

والمرسلين وأتباعهم من أهل العلوم الراسخة، والألباب الرزينة، والأخلاق العالية، والآداب السامية، كل أولئك اتفقوا على أن الله منفرد بالوحدانية، منعوت بكل صفة كمال، موصوف بغاية الجلال والعظمة والكبرياء والجمال، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، وأنه منزه عن كل صفة نقص وعن مماثلة المخلوقين، وأنه لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر إلا هو؛ فالدين الإسلامي على هذا الأصل أُسِّس، وعليه قام واستقام.

وأما ما عليه أهلُ الإلحاد فإنه ينافي هذا الأصل غاية المنافاة فإنه مبني على إنكار البارئ رأسًا، فضلا عن الاعتراف له بالكمال وعن القيام بأوجب الواجبات وأفرض الفروض وهو عبوديته وحده لا شريك له، فأهل هذا المذهب أعظم الخلق مكابرة وإنكارا لأظهر الأشياء وأوضحها، فمن أنكر الله فبأي شيء يعترف؟ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾. وهؤلاء أبعدُ الناس عن عبودية الله والإنابة إليه، وعن التخلق بالأخلاق الفاضلة التي تدعو إليها الشرائع، وتخضع لها العقول الصحيحة ومع خُلو قلوبهم من توحيد الله والإيمان به وتوابع ذلك فهم أجهَل الناس، وأقلهم بصيرة ومعرفة بشريعة الإسلام وأصول الدين وفروعه، فتجدهم يكتبون ويتكلمون ويدعون لأنفسِهم منَ العِلْومِ والمعرفة والثقافة واليقين ما لا يصل إليه أكابر العلماء .....

أما الأخلاق فلا تسأل عن أخلاق من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يعتقد الأديان الصحيحة، فإن الأخلاق نتائجُ الاعتقادات الصحيحة والفاسدة، فغاية ما عند هؤلاء التملُّقُ القوليِ والفعلي، والخضوع الكاذب للمخلوقين، وهم من هذا الخضوع السافل تجد عندهم من العُجب والكبْر واحتقار الخلق والاِستنكافِ عن مخالطةِ من يستنقصونهم شيئًا كثيراً، فهم أوضع خلق الله وأعظمهم كبْرا وتيها.

ثم إنهم يستعينون على هذا الخلق المسمى عنْدهم بالثقافة بالتصنع والتجمل بالملابس، والفرش، والزخارف، ويفنون كثيرًا من أوقاتهم بذلك وقلوبهم خراب

خالية من الهدى والأخلاق الجميلة، فالجمال الظاهر الباطِل ماذا يغني عن الجمال الحقيقي؟ ثم إذا لحظت غاياتهم ومقاصدهم فإذا هي أغراض دنية ومقاصد سفليةٌ ومطامع شخصية، وإذا سبرت أحوالَهم رأيتهم إذا اجتمعوا تظنهم أصدقاء مجتمعين فإذا افترقوا فهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ ..... إلخ[1].

الملحد يسأل عن سبيل النجاة:

يقول الشيخ رحمه الله: «قال المنصوح: والله ما تعديت في وصفهم مثقال ذرة، ولكني أريد أن تدلني على طريق يجمع بين السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية، لأن نفوس من تربى وتخلق بأخلاقِ هؤلاءِ لا ترجع عما ألفَته إلا بأمر قوي؛ إما بترغيب وهوى يجذبُها، وإما بترهيب وخوف يقمعها»[2].

إجابة المسلم على سؤال الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: «فقال له صاحبه الناصح: والله لقد أدركتَ في هذا الدين مطلوبك، وفيه والله كل مرادك ومرغوبك، فإنه الدين الذي جمع بين سعادة الدنيا والآخرة وفيه اللذات القلبية والروحية والجسدية، ولا تفقد من مطالب النفوس الحقيقية شيئا إلا أدركته، ولا من أنواع المسرات شيئاً إلا حصلته، ففيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وسأوضح لك ذلك.

فاعلم أن أصول اللذات المطلوبة:

أولاً: راحة القلوب وسكونها وطمأنينتها، وفرحها وبهجتها وزوال هُمومها وغمومها.

ثانياً: القناعة والطمأنينة بما أوتيه العبد من المطالب الجسدية.

---

(١) انتصار الحق (ص: ١٨-٢٤).

(٢) انتصار الحق (ص: ٢٦).

ثالثاً: استعمال ذلك على وجوه يحصل به السرور والاغتباط.

فهذِه الأمور الثلاثة، من رزقها واستعملَها على وجهها فقد نال كل ما تعلق به طمع الطامعين، فإنّ جميع اللذات ترجع إلى ما ذكرنا.

- لذات القلوب:

فأما لذات القُلوب وحصول سرورها وزوال كدرها فإنما أصل ذلك بالإيمان التام بما دعا الله عباده إلى الإيمان به من الإيمان بتوحيده بجميع نعوت الكمال وامتلاء القلوب من تعظيمه وجلاله ومن التأله له وعبُودِيته والإنابة إليه وإخلاص العمل الظاهر والباطن لوجهه الأعلى، وما يتبع ذلكَ مِن النصح لعباد الله ومحبة الخير لهم وبذل المقُدور من نفعهم والإحسان إليهم والإكثار مِن ذكر الله والاستغفار والتوبة، فمن أوتي هذه الأمور فقد حصل لقَلبه من الهداية والرحمة والنور والسرور وزوال الأكدار والهموم والغمومِ ما هو نموذج من نعيم الآخرة، وأهل هذا الشأن لا يغبطون أرباب الدنيا والملوك على لذاتهم ورياساتهم؛ بل يرون ما أعطوه من هذه الأمور يفوق ما أعطيه هؤلاء بأضعاف مضاعفة، وهذا النعيم القلبي لا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه وجربه فإنه كما قيل:

مَن ذَاقَ طَعمَ نِعيمِ القَوم يَدرِيه .... ومَن درَاهُ غدا بالروحِ يَشرَيه

فهذا إشارة لطريق هذا النعيم القلبي الذي هو أصل كل نعيم.

- القناعة والطمأنينة:

وأما الأمر الثاني فإن الله أعطى العباد القوة والصحة وما يتبع ذلك من مال وأهل وولِد وخول وغيرها. والناس بالنسبة لهذه الأشياء نوعان: قسم صارت هذه النعم في حقهم مِحنًا ونِقَماً. وقسم صار في حقهم نهما وخيرات ومنحا، أما أهل الدين الحقيقي فقد قابلوا هذه النعم وتلقوها على وجوه الشكر لله والاغتباط

بفضله وتناولوها على وجه الاستعانة بها على طاعة المنعم وعلموا أنها من أكبر الوسائل لهم إلى رضى ربهم وخيره وثوابه إذا استعملوها فيما هيِئت له وخلقت لأجله وقد رضوا بها عن الله كل الرضا، فإنهم علموا أنها من عند الله الذي له الحكمة التامة في جميع أقضيته وأقداره، وله الرحمة الواسعة في جميع تدابيرِه، وله النعمة السابغة في كل عطاياه وهو أرحم بهم من الخلق أجمعين فحيث علموا العلم اليقيني صدورها ممن هذا شأنه قنعوا بما أُعطوه منها، من قليل وكثير كل القناعة، وسكنت قلوبهم عن التطلع والتطلُب لما لم يقَدر لهم، ومتى حصلت الطمأنينة والقناعة والرضا عن الله بما أعطى فقد حصلت الحياة الطيبة، فإذا أدركت حق الإدراك نعتهم هذا عرفت أن نعيم الدنيا في الحقيقة هو نعيم القناعة برزق الله، وطمأنينة القلوب بذكر الله وطاعته، وأن الواحد من هؤلاء لو لم يكن عنده من هذه الأمور وهي القوة والصَحة والمال والأهل والولد وتوابع ذلك القَليل لكَان في راحةٍ وسرور من جهتين؛ جهة القناعة وعدم تطلع النفس وتشوقها للأمور التي تحصل، وجهة ما ترجوه من ثواب الله العاجل والآجل على هذه العبادة القلبية التي تزيد على كثير من العبادات البدنية، فإن التعبد لله بمعرفة نعمه والاعتراف بها والرضا بها والرجاء لله أن يديمها ويتمها وأن يجعلها وسيلة إلى نعم أخرى وأن يجعلها طريقا للسعادة الأبدية لا رَيب أن هَذه الأحوال القَلبية من أفضَلِ الطاعاتِ وأجلِ القرباتِ، فكم من فرق بين سرور هذا الذي تَعَبد بروح الدِين وحصلت له الحياة الطيبة، وبين من تلقى هذه النعم بالغفلة وعدم الاعتراف بنعمة المنعم وشقي بهمومها وغمومها، وكان إذا حصل له شيء من مطال النفوس لم يرض به بل تشَوَق إلى غيره وتطلّع لسواه فهذا ينتقلُ من كدر إلى آخر، لأن قَلَبه قد تعلق تعلقاً شديداً بمطَالب الجسد، فحيث جاءت على خلاف ما يؤمله ويُريده قَلق أشد القَلق، وهو لا يزال في قلق مستمر، لأن المطال النفسية متنوعة جداً، فلو وافقه واحد لم يوافقه

الآخر وربما اجتمع في الشيء الواحد سرور من وجه، وحزن من وجه آخر فصفوه ممزوج بكَدره وسروره مختَلِط بحزنه، فأينَ الحَياة الَطيبة لهذا؟! وإنما الحياة الطيبة لأرباب البصائر والحجى الذين يتلقونها كلها بالقبول والقناعة والرضا.

- جهة استعمال النعم:

وأما الأمر الثالث: وهو جهة استعمال هذه النعم، فصاحب الدين الصحيح يتناولها على وجه الشكر لله على نعمه والفرح بفضله، وينوى بها التقوي على ما خلق له من عبادة الله وطاعته، وينفقها مُحتسِبا بها رضا الله وفضوله وخلفه العاجل والآجل، ويعلم أنه إذا أنفَق على نفسه وأهله أو ولده أو من يتصل به فإنما نفقته صادفت محلها ووَقعَت موقعَها فلم يتثاقل كثرة النفقة في هذا الطَريق لأن يُقول معَتقدا: هذا أولى ما بذَلتُ فيه مالي، وهذا ألزَم ما قمت به من الواجبَات والفُروض، وهذا خير ما قمت به من المستحبات، وهذا أعظم ما أرجو له الخلف من الله حيث يقول وهو الكريم الوفي: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، ولا يزال نصب عينيه احِتساب الأجر في سعيه بكسبه وفي مصرفه أجناس ذلك وأنواعه وأفراده متفطنا لقوله: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عَليها حتى ما تجعله في فِي امرأتِكَ"؛ فمن كان هذا وصفه فإن لذاته الدنيوية هي اللذات الحقيقية السالمة من الأكدار مع ما يرجو من الثواب العاجل والآجل من الله، ومن كانت هذه صفته سهل عليه الأخذ من جلها ووضعها في محلها ويسرت له أموره غاية التيسير. وأما من استعمل هذه النعم على وجه الشره والغفلة، ويفكر في الاعتراف بفضل الله في كل الأوقات وبنعم الله، ويفرح بالنعم لأنها من فضل الله بل فرح بها فقط لموافقة عرضه النفسي ولا نوى بها الاستعانة على طاعة الله، ولا احتسب في نيلها وصرفِها على المنفق عليهم الأجر والثواب فمن كان هذا وصفه فإن الكدر

والحـزن لـه بالمرصادِ، فإنه إذا فاتته بعض الشـهوات النفسـية حـزن، وإن أدرك ما أدركـه منهـا ويكـن على ما في خاطـره من كل وجه حـزن، وإن أراد منـه ولده ومن يتصل به نفقة أو كسوة، واجبة أو مستحبة حزن، ولا تخرج منه إلا بشق الأنفس وإن خرجـت منه خرج معها بضعةٌ من سـرور قلبه، لأنه يحب بقـاء ماله ويحزَن لنقصه على أي وجهٍ كان وليس عنده من الاحتسابِ ما يهون عليه الأمر، إنْ كان غير بخيل، فإن كان شـحيح النفس مطبوعًا على البخل فإن حياته مع أولاده وأهله والمتِصلين به حياة شـقاء وعذاب وأكدار متواصلة وأحزان مسـتمرة، لا إيمان عنده يُهَون عليه النفقاتِ، ولا نفس سـخية لا تستعصي عن نيل المكرمات؛ فيا له من عذاب حاضر وعذاب مستمر، فأين هذا من ذاك الذي حصلت له الحياة الطيبة بأكملها؟ هذا كله بالنَظـرِ إلى هذه الأمور الثلاثة التي هي أصول اللذاتِ عند العقلاءِ، قد اتضح لنا أن صاحب الإيمان الصحيح هو الذي فاز باللذات الحقيقية وسلم من المكدِراتِ"[1].

خاتمة المناظرة:

يقول الشيخ رحمه الله: فلما تلا النصيح لصاحبه هذه المواضيع، وبرهن عليها، قـال له المنصوح: والله لقد انجلى عني ما أجـد في أول موضوع تلوته علي، وانزاح عني الباطل في شرحك الأول، وإن مجلسك يا أخي ونصيحتك بهذه الطريقة النافعة تعـود عندي الدنيـا وما عليها، فأَحمد الله أولاً حيث قيضك لي، وأشـكرك شـكرا كثيراً حيث وفيت بحق الصحبة، ولم تصنع ما يصنعه أهْل العقول الذِين إذا رأَوا من أصحْابهم ما يسـوؤُهم قَطعُوا عنهم حبل الوداد في الحال، وأعانوا الشيطان عليهم، فـازداد بذلك الشـر عليهـم، وضاع بينهـم التفاهم وإني لا أنسـى جميـل معروفك حيـث رأيتني سـادراً في المهامة مغروراً بنفسـي معجبًا برأيي، فأريتنـي بعيني ما أنا

(١) انتصار الحق (ص: ٢٦-٤٠).

فيه، وأوقفتني بحكمتك على الهلاك الذي وقعت فيه، فالآن أستغفر الله مما مضى وأتوب إليه، وأسأله الإعانة على سلوك مرضاته، وأفزع إليه أن يختم بالصالحات أعمالي، وأحمد الله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطنًا، فإنه مولي النِعم، دافع النقم، غزير الجود والكرم.... إلخ»[1].

هذا بإجمال أهم ما كتبه الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، في الرد على الإلحاد وأهله، وبيان الحق ونصره، حرصت على نقل كلامه ففيه البيان والكفاية، وأشرت إلى منهجه في تلك الجهود بإيجاز العبارة.

(١) انتصار الحق (ص: ٤٤).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

وبعد هذا التطواف في ميادين الشيخ: عبد الرحمن السعدي، وجهوده في الرد على الإلحاد وأهله، يطيب لي أن أسجل أهم النتائج والتوصيات، والتي كان من أهمها ما يلي:

- أهمية علم العقيدة وأنه من أولويات العلوم التي يجب على العامة والخاصة أن يبدؤوا به في تعلمهم.
- التأمل فيما منح الله الشيخ السعدي -رحمه الله- وفتح عليه، من جميل العبارة وأدب الصياغة وعمق المعني وفقه الواقع في زمنه، مما يجعل من أهم الوصايا الإقبال على تراثه والنظر فيه، والاستفادة منه علماً وعملاً.
- إعادة الطرح، والتنوع فيه، في بيان توحيد الربوبية والاهتمام به وإلقاء الضوء عليه جنبا إلى جنب توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك لمواجهة الإلحاد والملحدين.
- التأكيد على العناية بتوحيد الربوبية، سيما هذا الوقت، لوجود من ينازع الله في خلقه وتدبيره.
- على الجامعات المعنية بتدريس العقيدة أن تخصص مادة لتعليم منسوبيها فن المناظرة والرد على المخالف.
- الاهتمام البالغ بالكتب المعتمدة لدى أهل العلم والتي ناقشت موضوع الرد على المخالف في مجال الاعتقاد.
- التحذير العام من الإلحاد والملحدين من خلال وسائل الإعلام الدعوية من منابر ومدارس وجامعات وقنوات وكتب وصحف ومجلات.

- على طائفة من طلبة العلم أن تعتني بدراسة الفكر الإلحادي، واستقراء منهاجهم، والتصدي لحججهم، والرد عليهم.
- يظهر في ردود الشيخ رحمه الله: التزام الأدب والإنصاف في الرد على المخالف، وعدم التعدي عليه، والتزام الرد العلمي الرصين والحجة الدامغة، مع الشفقة عليه والدعاء له.

فهرس المراجع

- انتصار الحق- المؤلف عبد الرحمن السعدي- الناشر: (PDF-).
- الآداب الشرعية والمنح المرعية- المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، المشهور بابن مفلح (المتوفى: ٧٦٣هـ)- الناشر: عالم الكتب.
- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين- المؤلف عبد الرحمن السعدي- الناشر- مكتبة المعارف.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار- المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الكريم بن رسمي اللدريني؛ دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن المؤلف: السعدي- الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- المؤلف: السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا - الناشر: مؤسسة الرسالة.
- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي فى أغلاله - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي- الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيس البابي الحلبي وشركاه.
- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة- المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر؛ الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- شذور ولطائف في آداب الرد على المخالف- المؤلف: حمد بن عبدالعزيز بن حمد بن عتيق.
- صحيح البخاري- المؤلف: البخاري: (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة.

- مجمـوع الفتاوى- المؤلـف: ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)- المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسـم - الناشـر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشـريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.